

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ والآثار

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

## العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية 1954-1962

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوصفصاف

إعداد الطالب:

محمد شطبيبي

### أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. عبد الرحيم سكفالي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
أ.د. عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	الجامعة الإفريقية-أدرار-
د. خمري الجمعي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة أحمد لخضر-باتنة-
د. حسينة حماميد	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة أحمد لخضر-باتنة-

السنة الجامعية : 2008-2009



إلى

أعلى وأمن إنسانة في حياتي إلى من تمنيت أن تشاركني فرحة  
هذا العمل إلى القلب العنون، إلى روح أمي الغالية،  
وإلى روح أعظم أب  
عليهما الرحمة،

وإلى زوجتي الفاضلة وأبنائي الأعزاء  
إلى كل هؤلاء أهدي هذه الباكورة العلمية

# الشكر وتقدير

إذا كان لابد من الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم، فإنه لا يسعني وأنا أضع المساءة الأخيرة على هذا البحث

أن أوجه شكري وتقديري وامتناني إلى الأستاذ المشرف، الدكتور عبد الكريم بوصفصافه على الأخذ بيدي في مهامته هذا العمل العلمي المعقد، بفضل استطاع هذا البحث أن يرمي النور وأن يصبح في هذه الصورة الأكاديمية الجميلة.

فله مني جميل الشكر والعرفان دام لنا ذخرا ومرشدا إلى سبيل العلم والرشاد.

أما الشخص الثاني الذي لا يفوتني في هذا السياق إلا أن أوجه له بالشكر والعرفان أيضا فهو:

زميلي وصديقي الدكتور الطاهر حراج، الذي ما اتصل بي مرة إلا وحثني وشجعني على مواصلة المسيرة على الرغم من العقبات الكفوف التي واجهتني أثناء مرحلة إعداد هذه الرسالة، فله مني كل التقدير والاحترام.

وبجملة واحدة فإليه وإلى الأستاذ المشرف يرجع

الفضل الأول والأخير في دفعي إلى إنجاز هذا العمل.

المقدمة



## مقدمة البحث :

يعد موضوع هذه الدراسة من الموضوعات الجارية التي تركز فيها الدراسة على الروابط السياسية والثقافية والاجتماعية بين البلدان المتجاورة أو المتناغمة مع بعضها البعض، وهو من الموضوعات الحديثة التي تحاول الوصول إلى تصنيف العلاقات بين الدول والشعوب حيثما وجدت وتجاورت، وموضوع العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية (1954-1962م) هو موضوع شائك ومتداخل يتطلب من الباحث الدقة والعمق في التمييز بين الظواهر المختلفة، لأن العلاقة لم تكن منذ البداية بين دولة ودولة أو بين حكومتين متناظرتين وإنما كانت بين قيادة ثورة تحريرية يسمي رحلتها بالنضال والتضامن إزاء دولة الاحتلال وبين حكومة مستقلة، ولكنها مكيدة بمعاهدات واتفاقيات، علاوة على ضعفها الاقتصادي والعسكري، ولكنها حكومة ليبرالية تشد المزيد من الحرية السياسية والاقتصادية والسياسية الكلية في إطار مبادئ الغرب في التحرر من القيود القديمة. وعليه كانت العلاقة مشوبة بالخدر على مستوى النخبة الحاكمة، ولكنها كانت متناغمة مناسقة على مستوى الجماهير الشعبية، وأزر بعضها البعض، وتحصل هبوب أفرادها وجماعاتها على كل مستويات الحياة.

ولا شك أن الدارس مثل هذه الموضوعات يجد نفسه مجرّجا غاية الإخراج في إثبات الحقيقة التاريخية، بل وفي أهداف الموضوعية وإعطائها ما تستحقه من أحياد والعلمية المتناهية في إعطاء كل طرف من الطرفين حقه التاريخي والسياسي والعاطفي إزاء يئذه وشعبه، لأن الباحث مهما تكون موضوعه وحيادته، فإنه لا يستطيع أن يكون غير منحاز إلى الوطن الذي رضع نسيمه مع حبيب الأم، بعد أن فتح عينيه لأول وهلة في الحياة على الرغم من أن الجزائر وتونس يشكلان امتدادا جغرافيا واحدا وعنصرا بشريا واحدا وحضارة عربية واحدة، ومع ذلك فإن الانتماء السياسي والعاطفي إلى قطعة معينة من الأرض تجعل صاحبها مشاودا إليها على الدوام ولذلك سيحدثني القارئ في هذه الرسالة أحاول الوقوف دائما موقفا وسطا لا خسر ولا ضياع.

والحق أن الجزائريين والتونسيين، قد وقفوا خلال مرحلة الدراسة موقفا تاريخيا واحدا أدهل الاحتلال وأربك خططه العسكرية وأضعف آتته الحربية أمام ذلك الزخم الشعبي الطافح على حدود البلدين، بل وحتى في الأعماق التونسية ذاتها، حيث لم تكن تستطيع أن تفرق بين الجزائريين والتونسيين في حماسهما للثورة ورفضهما للممارسات الاستعمارية الوحشية، وهذا البحث هو محاولة علمية في بيان وتبيين تلك العلاقات المميزة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة العربية.

## أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب متعددة دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع بالذات منذ سنوات دراسية اجتماعية ولكنني سأشير إلى أهمها :

أولاً: لقد أثار اهتمامي بالعلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية (الجزائرية) ما كان يرويه لنا بعض المجاهدين ممن كانوا في الأراضي التونسية، وكيف كانوا يحضون بالدعم الشعبي والتأييد الحكومي بل وكيف يعتبرون أنفسهم كما لو كانوا في وطنهم الأصلي فهم يشعرون بالترحاب والتضامن من السكان ويتفاعلون معهم وسائل العيش، بل ويأثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ثانياً: شهرة جناح الشرق للثورة في تونس أكثر من الجناح الغربي جعلني أفكر جدياً في طرق هذا الموضوع منذ أن كنت في مرحلة التدرج.

ثالثاً: اهتمام الأستاذ المشرف بالعلاقات الجزائرية التونسية في الماضي والحاضر جعلني أتوجه بدون تردد إلى البحث في هذا الموضوع.

إن هذه الدوافع الثلاثة هي في الواقع دوافع حقيقية وليست من نسج الخيال .

### إشكالية البحث:

إذا كان البحث والتقصي في هذا الموضوع هما عمليتان شائكتان تتطلبان الخريطة والمدر في تقرير بعض احتكاك أو تقييد، فإن النقطة المركزية التي أحاول الوصول إليها من خلال هذا العمل هي: دراسة وضبط تلك العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية التي توطدت واتسعت كثيراً بين البلدين الجزائر وتونس إبان الثورة التحريرية، والأسئلة الآتية ستساعد على الإجابة عن مكونات هذا الموضوع بشكل أدق: كيف استقبل التونسيون الجزائريين في ظروف السهم والحرب؟ ولماذا كان الجزائريون يجدون الملجأ والمأوى أثناء الحروب في البلاد التونسية؟ والتعليم والعلم مع أشقائهم التونسيين! وهل كان ذلك لأسباب جغرافية؟ أو لعوامل حضارية وتاريخية جعلت تونس تستقطب الجزائريين لأهداف متعددة؟.

كيف استطاع الجزائريون والتونسيون أن يتعايشا معاً طوّل سبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح؟ وكيف استطاعت الإمكانيات الاقتصادية والسكانية التونسية أن تستوعب تلك الأعداد الضائلة من اللاجئين؟ بل ولماذا امتزجت الدماء الجزائرية والتونسية فوق الأراضي الجزائرية والتونسية معاً؟ وكيف استطاع الجزائريون أن يتخذوا من الأراضي التونسية قاعدة خلفية لثورة عارمة استقطبت العالم كله وبهذه المنعرج المستعمرة في المقاربات الثلاث إلى حقها في الحرية والاستقلال؟ .

### حدود البحث:

تحدد الفترة الزمنية المحددة لهذا البحث من 1954-1962م، وهي المرحلة الأكثر تمايزاً في العلاقات الجزائرية التونسية، وهو الزمن الذي احتضنت فيه العائلات الجزائرية والتونسية واقتربت من بعضها البعض بالجوار والمعاملة والمصاهرة بل فهي الفترة التي امتزجت فيها دماء الشعيين غاية الامتزاج والتسحمت فيها أفكارهم وآراءهم غاية الانسجام. حين أعلن الشعب الجزائري حريته على فرنسا مطالباً باسترجاع حريته واستقلاله بل وكرامته وسيادته، ولم يجد أذناً صاغية من قادة الاحتلال الفرنسي الذي طالما تسندقوا بنشر

أخرية والأخوة والمساواة وملطوا القمع والإرهاب المنظم على المجتمع قاضية لا فرق بين الرجل والمرأة ولا بين الصغير والكبير فلهجات مئات الآلاف من سكان الشرق الجزائري إلى الأراضي التونسية واستقبلوا من إخوانهم التونسيين باخبة والترحاب.

### مناهج البحث:

إذاً سنكت في إطار هذه الرسالة منهجين معروفين هما المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي النقدي. وقد طبقت الأول في رصد الأحداث التاريخية والعلاقات السياسية والظواهر الاجتماعية والمظاهر الثقافية التي عرفت العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية ووصف وقائعها ومعالمها المختلفة للإتيان بذلك العلاقات إلاما عموديا يعرض في أعماق ذلك التقارب والوثام اللذين حدثا بين الشعبين.

أما المنهج الثاني فقد سنكتنه في تحليل ونقد الانعطيات التاريخية السياسية منها والثقافية والاجتماعية لإبراز وسائل التقارب وحيوط الخيبة التي نسجت بين سكان البلدين على المناطق الحدودية التونسية من رجلي في أعماق مدنها الكبرى وقراها المختلفة، لفهم تلك العلاقة المنيعة على الصديق والأخوة والصداقة الدائمة، التي مهما اختلفت السياسات وأوصدت الحدود فإنها ستبقى تزهو وتفتح بين الشعبين يوما بعد يوم.

### صعوبات البحث:

كل باحث في أي ميدان من الميادين العلمية لابد أن يجد أمامه جملة من المعوقات المتنوعة، وأكتنها قد تختلف من باحث إلى آخر حسب طبيعة المادة العلمية التي يبحث عنها أو الأهداف التي يريد الوصول إليها، فالمؤرخ الذي يبحث عن الحقيقة المتوارية وراء التراكبات التاريخية المبهمة، التي تتطور بوتيرة سريعة تختلف عن الفيلسوف الذي يريد أن يوظف نظرية فلسفية معينة، في تأليف رسالة أو أطروحة عن طريق الشرح والتحليل والتعليل والاستنباط، فالأول يتطلب منه البحث والتنقيب عن الوسائل الحديثة التي لم نستغل من قبل وقد يجدها أو لا يجدها أما الثاني فيكتفيه الاعتماد على المؤلفات التي أجزت في هذا المضمار أو ذلك.

أما المؤرخ فإنه يجد على الإتيان بمعرفة تاريخية جديدة، والتي لا يجدها إلا في المصادر، والوصول إلى المصادر أحيانا يتطلب جهدا مضاعفا، وتغقات باهظة أيضا.

ومهما تكن هذه الصعوبات فإن الطالب الباحث مطالب بالصبر والجهد واقتحام المواقع الخطيرة لكي يأتي بالجديد في مجال بحثه، وقد حاولت أن أتم بأطراف الموضوع إلاما ساسلا على الرغم من اتساعه وتعقده بسبب الحرب التي أتت على الأخضر واليابس، وأن أضيف إلى المكتبة الوطنية لية جديدة في صرح العلاقات الجزائرية المغاربية، فإن وفقت فإن ذلك فصل الله وعونه، وتوجيهات المشرف التي كانت وما تزال نورا لي على الطريق، وإن أخطأت فحسبي أنني بذلت جهدا في البحث عن المصادر والمراجع، وأضفت إلى تكتويني الخاص ثقافة تاريخية يستحيل استيعابها لولا هذه الرسالة.

## أهم مصادر البحث ومراجعته:

لقد اعتمدت على مصادر أصلية ومراجع علمية ثانوية في إعداد هذه الرسالة، وتنقسم إلى أربعة أقسام:

- أولاً: الصحف الجزائرية والتونسية التي كانت تصدر إبان الفترة المدروسة؛ وما قبلها بقليل "1952-1962"، وهي صحافة مبدأ ومقال لا صحافة دعائية وأخبار، لأنها كانت صحافة مناضلة تدافع عن المبادئ الوطنية والقيم الإنسانية التي حاول الاحتلال طمسها في الجزائر وتونس.
- ثانياً: الكتب العربية: وتتراوح بين مصادر أساسية ومراجع علمية ثانوية مدعسة.
- ثالثاً: الكتب الأجنبية: وهي كتب مهمة أيضاً من باب "وشهد شاهد من أهلها".
- رابعاً: الرسائل الجامعية:

1 - الصحافة: تعد الصحف الصباح والعمل والدمقر والاسبوع التونسية وحريضة المجاهد الجزائرية، أبرز المصادر وأكثرها ثراء في موضوع العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة وكان سجل مقالاتها دراسات سياسية واجتماعية وثقافية وعسكرية حول الثورة الجزائرية خاصة والمجتمع الجزائري والتونسي بصورة عامة. ومن هذا فهي مرآة عاكسة لتلك المرحلة لا سيما وأنها كانت تأتي بالمقالات والنصريات الجزائرية والتونسية ثم ندرستها وتحللها وتعلق عليها، وقد استفدت منها كثيراً في المنعطفات التاريخية والإحصاءات الاجتماعية لا سيما في الفصول الثالث والرابع والخامس.

## 2 الكتب: من أهم المصنفات التاريخية الكثيرة في هذا البحث:

- أ/ كتاب "ليل الاستعمار" لمؤلفه فرحات عباس، وهو كتاب متميز بالمعرفة التاريخية والنصوص النقدية التي ردّها المؤلف على كبار السياسيين ومؤرخين المدرسة الكولونiale في الجزائر.
- ب/ كتاب "الثورة الجزائرية" لمؤلفيه مصطفى طالاس ويسام العسني، وهو كتاب من الحجم الكبير حافل بالأحداث والوقائع، بل ويدقّق الأمور وتفصيلها، وقد كتب غير بعيد عن انتهاء الثورة الجزائرية، واعتمد على وثائق مهمة تحصل عليها من مسؤولين جزائريين، وقد أفادني كثيراً في موضوعات مختلفة.
- ج/ كتاب "الثورة الجزائرية سنوات المحاض" و"جبهة التحرير الوطني الأسطورة والمواقع" لمؤلفها شمد حربي، وهما كتابان مهمان باعتبار أن صاحبيهما كان من قادة الثورة وروادها وهما يطمحان بين دفتيهما معارف تاريخية وثقافية وسياسية واجتماعية نافذة، وقد اعتمدتُهما في التعريف بالثورة وتطورها.
- د/ كتاب "المقاومة السياسية 1900-1954" الطريق الإصلاحي والطريق الثوري لمؤلفيه محفوظ قنداش وإحياء صباري، وهو كتاب قيم لولا ضعف ترجمته، وقد استفدت منه في مقدمة البحث.

هـ/ كتاب: " الجزائر الثائرة " مؤلفته جوان غلبسي، وهو كتاب قيم اعتمدت فيه صاحبه على وثائق أصلية من الطرفين المتحاربين الجزائريين وفرنسا، وحتى أنها عاشت في الجبال مع المجاهدين مدة معينة، بهدف فهم الثورة وتجريبات أحداثها .

و/ كتاب " مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974"، مؤلفه بسام بن سطورا ترجمه صادق عماري ومصطفى ماطي. وهو كتاب يتناول مسيرة حياة مصالي الحاج والظروف التي أحاطت به بعد 1954م. حاول فيه صاحبه أن يعطي المصداقية لترجمه على الرغم مما تميز به الكتاب من محاولة حيادية في طرح الموضوع.

ي/ كتاب الثورة التحريرية الجزائرية في الصحافة العربية (1954-1962) " مؤلفها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وآخرين .

وهناك كتب من الطراز الأول في موضوع الرسالة الموجودة في الخوامش وفي البيبليوغرافية، لا ينسج المكان لتذكرها في هذه المقدمة.  
ثالثا: الكتب الأجنبية:

أ/ من أهم الكتب المعتمدة في هذا البحث: كتاب الحركة الثورية في الجزائر من الحرب الأولى إلى 1954م، le mouvement révolutionnaire en Algérie, (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'haramattan, Paris,

مؤلفه أحمد محسن، وهو كتاب قيم لأن مؤلفه كان من الفيادين الجزائريين في الثورة. وقد اعتمدته خاصة في الفصدين الأول والثاني.

ب/ وحدة الأمة تواجه القضية الجزائرية (1954-1962) Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNED, Alger, 1969

مؤلفه خليفه معسري، وهو كتاب قيم حاول فيه صاحبه تشريح المشكلة التي كانت تواجه وحدة الأمة الجزائرية، وهو من أهم المراجع المعتمدة في هذا البحث.

رابعاً: الرسائل الجامعية :

لقد اعتمدت على رسائل جامعية نالت تقديراً مشرفاً من قبل لجان المناقشة لأن أصحابها اعتمدوا على وثائق وأرشفات أصلية أعطت للبحث قيمته العلمية والمنهجية، ومن هذه الرسائل: "دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية"، لصاحبها عبد الله مقلاتي تحت إشراف: أ.د. عمير أوي حميدة.

- "فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985)"، لصاحبها عز الدين معزة تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، وهي رسالة قيمة ألقت بأبوابها على بعض الجوانب المنظمة في حياة السياسي الليبرالي الجزائري فرحات عباس إبان الثورة.

- "التطور العسكري في ثورة الجزائر (1954-1962)" لباحثة آمال منلي تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.

- "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية" للباحث أحمد منور تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف.

وقد استفادت من كل هذه المراجع والكتب والرسائل إفادة معتبرة في جميع فصول الرسالة.

#### خطة البحث:

تبعاً للمادة الخيرية والعنمية التي حصلت عليها قسست هذا الموضوع إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وبيبليوغرافية وفهارس.

تطهرت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته والمناهج المستخدمة في دراسته، مع ذكر الصعوبات التي انتمضتني وأهم مصادر ومراجع البحث ثم ختمت المقدمة بخطة الرسالة :

الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغاربية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

وقد قسمته إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية: وقد قدمت فيه صورة موجزة عن الحياة السياسية المغاربية حتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين، معتمداً على أمثلة منها: - في أي سياق سياسي وتاريخي تطورت وتيرة الأحداث؟

وكيف كان تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الأوضاع السائدة في الجزائر خاصة وفي

البلاد المغاربية بصورة عامة؟

المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية: وتطهرت فيه إلى الأوضاع

السائدة في البلدان المغاربية عامة، والضغط الذي مارس على هذه البلدان خلال فترة الاحتلال، والذي أدى

إلى تطور الوعي الجماهيري، ولم يعد في مقدور سلطات الاحتلال وقف مجرى الأحداث، خاصة بعد

الحرب الكرونية الثانية. - كما حاولت توضيح سبب تأخر استقلال الجزائر حتى سنة 1962م، دون البلدان

المغاربية الأخرى، فقد حصلت ليبيا على استقلالها نهائياً سنة 1952م، وحصلت تونس والمغرب على

استقلالهما كنيا سنة 1956م.



**المبحث الأول: أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس.** وقد خصصته لبحث العوامل السياسية والاقتصادية التي دفعت بسكان الشرف الجزائري لهجرة الجماعي إلى تونس لاسيما بعد 1956م حين اشتد وطش الحرب بين الشعب الجزائري وقوات الاحتلال الفرنسي .

**المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957) :** نضم هذا المبحث الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه اللاجئون الجزائريون من أشرافهم التونسيين حكومة وشعبا، على الرغم من المعاناة التي طالت كل منهما على حد سواء .

**المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية 1957-1962:** لقد درس هذا المبحث العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية خلال السنوات الأخيرة من الثورة لاسيما بعد إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية التي أصبحت تتولى مهام المجتمع الجزائري بصورة عامة، لاسيما من خلال المنظمات: الاتحاد العام للعمال الجزائريين، اتحاد التجار الجزائريين، الاتحاد النسائي، اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين... الخ وعلافة هذه المنظمات بالثورة من ناحية وباللاجئين الجزائريين في تونس وغيرها.

**الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية :** أما هذا الفصل فقد درس بعنق العلاقات الثقافية بين الشعبين الجزائري والتونسي منذ بداية الخمسينيات حتى وضعت الحرب أوزارها، وقد تناول **المبحث الأول: النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقاليم التونسية** اهتمام الكتاب التونسيين في الصحافة اليومية والأسبوعية بقطعة المجتمع الجزائري في مختلف المجالات الفكرية والأدبية والتعبيرية والفنية.

**أما المبحث الثاني: الأقاليم الجزائرية في الصحف التونسية** إبان الثورة التحريرية : فقد ركز بالأساس على تعامل الصحافة التونسية مع الإنتاج الفكري الأدبي والسياسي خلال الثورة المنشور من قبل الجزائريين، وذكر بعض الأقاليم الجزائرية التي كانت تكتب في الصحافة التونسية إبان الثورة وتصنيف تلك الكتابات الجزائرية التي كانت تصب في مجملها حول الثورة ومسألة الحرية والاستقلال وإزالة الاستعمار الأجنبي وأحو ذلك من الموضوعات العزيزة على الجزائريين في ذلك الوقت .

في أي حانة تصنف هذه الكتابات ؟ وما هي المواضيع التي تمت معالجتها ؟.

هذا وقد عالج المبحث الثالث: دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية: والمهام التي أقيمت على عاتقه في اتمثال أبناء اللاجئين الجزائريين من الجهل والامية بالإسهام في التعليم ونشر المعرفة بينهم في تونس وفي البلدان المجاورة الأخرى.

**أما المبحث الرابع** فقد تصدى لدراسة الدعم المادي والمعنوي من إتحاد الطلبة التونسيين إلى إتحاد الطلبة الجزائريين والمؤسسات التعليمية الجزائرية بتونس .

**المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، وتناولت فيه بيان أول نوفمبر 1954م وأهداف الثورة**  
الجزائرية وهي الاستقلال الوطني واسترجاع سيادة الشعب وكرامته .

**المبحث الثاني : هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م:** وقد عالجت فيه أسباب وظروف هجومات الشمال القسنطيني ونتائجها.

**المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م:** وتطرق في: إلى ظروف انعقاده، ونتائجه.

**المبحث الرابع : إضراب الثمانية أيام 28 جانفي-04 فيفري 1957م:** وقد أوضحت فيه أسباب وظروف ونتائج هذا الإضراب.

**المبحث الخامس : مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات :** حاولت فيه الإلمام بظروف وأسباب ونتائج هذه المظاهرات، وكيفية الذهاب إلى طاولة المفاوضات.

**المبحث السادس: الوفد الخارجي و لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E):** قدمت فيه لحة عن الوفد الخارجي ولجنة التنسيق والتنفيذ.

**المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A):** وقد أوردت فيه تركيبة المجلس والحكومة ومهامهما أثناء الثورة التحريرية .

**وأخيرا المبحث الثامن: وقف إطلاق النار والاستقلال:** وفيه قدمت عرضا عن قرار وقف إطلاق النار والعمليات المؤقتة وبرنامج طرابلس والاختيارات الكبرى.

**الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية (1954-1962):**

**المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر:** لاسيما منذ سنة 1954م أي منذ اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر . وقد عالجت فيه بعض المقالات الصحفية التي كتبها تونسيون وجزائريون عن الجزائر عامة والثورة بصورة خاصة.

**المبحث الثاني: إمكانية السياسة في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة:** أما هذا المبحث فقد أفردته لدراسة الأهمية التي احتلتها الثورة الجزائرية في السياسة التونسية وبعبارة أخرى كيف كان التعامل بين القيادتين التونسية والجزائرية في تونس، لأن الأوضاع كانت معقدة ومتشابكة ببعضها البعض .

**أما المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م:** لقد خصصت هذا المبحث لدراسة العلاقات السياسية الجزائرية التونسية خلال الفترة الحاسمة من الثورة الجزائرية (1957-1962)، والتي انقلب فيها الوضع في الجزائر: رئيسا على عقب ولم تستطع سياسة الحكومات الفرنسية الخروج من هذا المأزق إلا بالرضوخ لمطالب الشعب الجزائري والدخول في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني.

**الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة:** يتضمن هذا الفصل ثلاث مباحث:



**المبحث الثالث: التطورات السياسية في الجزائر عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م:**  
وأنطقت فيه إلى الأوضاع السياسية السائدة في الجزائر وكيف قد مهدت بظرفية أو بأخرى لقيام الثورة التحريرية المسلحة .

**المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:** وقد أوضحت فيه أهمية الموقع الاستراتيجي اتحاف للجزائر وسط البلدان المغاربية وقرىها أكثر من أوروبا وخاصة فرنسا ، فالجزائر ظلت مركز القوة بالنسبة للاقتصاد الفرنسي بما كانت تقدمه من موارد طبيعية ضخمة وزراعية متنوعة دون مقابل، وأيدي عاملة رخيصة سخرت لخدمة الإقطاع الزراعي الواسع والمؤسسات الصناعية الصغيرة لمستوطنين بالجزائر، بل واستغلال طاقات الأهالي الجزائريين على الأراضي الفرنسية نفسها، وهذا لاحظنا أن اقتصاد الجزائر ظل يضعف تدريجيا أمام تطور رؤوس الأموال الأجنبية، الأمر الذي جعل فرنسا تنشط أكثر باحتلالها لجزائر دون باقي البلدان المغاربية الأخرى، خاصة لما تمنع به الجزائر من ثروة سطحية وباطنية ، وفوق هذا وذلك فإن الجزائر عبارة عن قارة تتميز بالتنوع في المحاصيل والتضاريس وكل ما يميزها عن غيرها من البلدان الجوار، وهذه الأسباب كلها ووسط هذه الظروف الصعبة للجزائريين، أدرك الشعب الجزائري أن تحقيق الاستقلال لن يكون إلا بالقوة أي العمل المسلح طبقا للنظري القائلة " ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة " وهكذا كانت بداية التحضير لاندلاع الفاتح من نوفمبر 1954م.

**المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:** وقد قدمت فيه بعض الجوانب المهمة من الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري قبل اندلاع الثورة التحريرية ولو بالاختصار . حتى يتيسر لنا تحديد العلاقة بين الشعب والثورة، فهل الشعب هو الذي قام بالثورة؟ أم أن نخبة معينة هي التي فحرتها وجرت الشعب وراءها .

**المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:**  
وقد بينت فيه كيف أن مجال الثقافة كان منذ بداية الاحتلال الفرنسي لجزائر ميدانا حرجيا للتكريس الفكري الاستعماري وطمس مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، بعد إزالة المقومات السياسية والثقافية للشعب الجزائري الذي لم ينهض من كبوته إلا مع التياشير الأولى لفرن العشرين، ولهذا فإن الوضع الثقافي قبل اندلاع الثورة لم يكن أفضل من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الأمة فاجتهدت ردحا من الزمن، مما يفسر تعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الشعب الجزائري يهتف عن بكوة أبيه في ونية واحدة لتثورة على الواقع الأليم الذي كرسته السياسة الاستعمارية منذ قرن وربع قرن من الزمن.

**الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية:** ويتضمن هذا الفصل ثمانية مباحث:

وأخيراً البحث بإفاعة التطهين النتائج المستخلصة من هذه الدراسة التي اعتبرها إسهاماً متواضعاً للباحثين وقد دعمته عملاً هاماً ومتنوعاً، ووضعت في الأخير قائمة ببليوغرافية ومجموعة من المهارات الوظيفية ووضعت فهرساً للموضوعات؛ ومن أهم هذه النتائج :

أن العلاقات السياسية بين البلدين كانت تدهر وتغير باستمرار تبعاً لظروف البلدين في كل حقبة من حقبة التاريخ، وقد ظل المجال الجغرافي مفتوحاً بينهما على امتداد التاريخ، فمرة بعد المرة الجزائر حتى إلى نفوسة بليبيا عبر الجنوب التونسي، ونارة تصح تونس تابعة لقسطنطينة وأحياناً تصدر قسطنطينة تابعة إلى تونس. وهكذا دواليك دون أن نحسب عصر الموحدين والمرابطين ونحو ذلك؛ ولكن العلاقات السياسية المتسببة قد ظهرت بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر، حيث أصبح كل من الجزائريين والتونسيين يفتضون حرباً واحدة ضد الهيمنة الاستعمارية المتفطرية؛ التي مدت نفوذها على كل أقاليم المغرب القديم وسيرتها جزءاً من الممتلكات الفرنسية.

فكان موقف أبناء البلدين موقفاً واحداً في الذود عن الشرف والكرامة واسترجاع السيادة الوطنية، وأصبحت القيادتان الجزائرية والتونسية تعربان عن موقف واحد إزاء مستقبل البلدين ومطامح الشعبين، حتى استرجعتا استقلالهما الواحدة تنو الأخرى، وحاصر لكل بلد دولة وطنية خاصة، مع إبقاء التعاون مستمراً في كثر المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية بل والاجتماعية أيضاً، ولعل الخطوات التي تخطوها الدولتان الآن ستؤدي مستقبلاً إلى إتمام الوحدة المغاربية وتكوين دولة واحدة.

# الفصل الأول

## الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغاربية عشية اندلاع ثورة

الفاتح من نوفمبر 1954م:

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية

المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية

المبحث الثالث: التطورات السياسية في الجزائر عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة

المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة

المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

## الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغربية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:

لعله من الأهمية بما كان طرح بعض التساؤلات في مستهل هذا الفصل الذي سيعطي صورة موجزة عن الحياة السياسية المغربية حتى مطالع الخمسينات من القرن العشرين.

- 1- في أي سياق سياسي وتاريخي تطورت وتيرة الأحداث؟
  - 2- كيف كان تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الأوضاع السائدة في الجزائر خاصة وفي البلاد المغربية بصورة عامة؟
  - 3- كيف استنطاق الشعب المغربي تفجير الثورة في كل ربوع البلاد ضد الاحتلال الأجنبي؟
- ولإجابة على هذه التساؤلات لابد من معرفة الظروف الخلفية بالجزائر آنذاك، بل وربما الرجوع إلى الوراء قليلا لمسار الحوار الأسباب العميقة التي أدت إلى قيام الثورة التحريرية وتحليلها واستنباط ما هو متواري وراء الأحداث المختلفة.

### المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية:

إن أهم المستجدات المسجلة على الصعيد الدولي بعد الحرب الكونية الثانية 1945م، هو ذلك التغيير الكبير في ميزان العلاقات السياسية، لاسيما ظهور قوى عالمية جديدة<sup>(1)</sup> نجحت في المعسكرين الكبيرين: المعسكر الغربي الرأسمالي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والمعسكر الشرقي المتمثل في الاتحاد السوفياتي ومنظومة البلدان الاشتراكية السائرة في فلكه، فبعد أن سيطرت أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية على العالم أكثر من قرن ورابع قرن من الزمن، حوت في دائرة انضعف بعد حرب ضروس أثبت على الأخضر واليابس في أوروبا دائما.

و يمكن القول أن الأحداث التاريخية هي جدلية دialeكتيكية فالأسباب تكون لنا دائما نتائج ولكن ليس بالضرورة أن تكون في السياق نفسه، فإن أفوزت الحرب الكونية الأولى قوة إضافية لكل من فرنسا وبريطانيا، فإن الحرب الكونية الثانية تركت هاتين القوتين الاستعماريتين في وضعية اقتصادية وسياسية حرجية، وتراجعت مكانتهما السياسية مع بداية تحقيق الحركات التحررية حريتها واستقلالها.

وقد زاد الضغط الاستعماري على البلدان الإفريقية التي كانت تان تحت أشنع أنواع الاستعمار كما بدأت موجة جديدة من التحرر بعد أن أصبحت الأوضاع مزرية في تلك البلدان<sup>(2)</sup> عقب الحرب الكونية الثانية على جميع الأصعدة: اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا.

<sup>1</sup> جابا ابيد حيث: الجمع العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف، مصر: 1961، ص 401.

<sup>2</sup> Ibrahim Ghafà : L'Intellectuel et révolution Algérienne, Edition Distribution Houma. Alger, 2001, p60.

فعلى المستوى الاقتصادي كانت هناك حالة استنزاف مستمرة للثروات الطبيعية والأيدي العاملة وتخريب الكثير من المنشآت الاقتصادية في البلدان التي كانت مسرحا لمعارك المتحاربين مثل مصر وليبيا ومعنى الضعيف السياسي كان هناك استمرار الممارسات الإصلاحية التي صاحبها في الوقت نفسه أعمال قمع واضطهاد وتضييق الخناق على الحركات الوطنية في هذه البلدان، بل والبطش الضمحي للثورة الاستعمارية التي تجسدت خاصة في مجازر الثامن ماي 1945م بالجزائر وحوادث دمشق في نهاية الشهر نفسه.

ولم تكن الساحة الثقافية لتخرج عن هذه الخلقنة الضيقة، فالأمية والجمود الفكري هي السمة البارزة التي فرضتها سلطات الاحتلال على الشعب المغربي عامة والجزائري بصورة خاصة. وحاولت الاحتفاظ على استراتيجيتها.

إذن فقد انتهت الحرب الكونية الثانية بتحويلات مثيرة ومن ذلك سقوط أستيورة فرنسا التي لا تحرم إذ لم تستطع أن تصمد أمام ضربات النازية سوى أربعة عشرة (14) يوما<sup>(1)</sup>.

وقد اعترف بذلك رجل فرنسا الفوي الجنرال شارل ديغول Charles De Gaulle عندما كتب في مذكراته (الخلاص) : "قد داهمتنا القوة الألمانية الآلية ونحن نعوص بعنف في اضطراب مادي ومعنوي ..."<sup>(2)</sup> "ومن ثم لم تعد فرنسا قادرة على إقناع العالم الذي تستعمره بأنها لازالت تحت الدولة القوية المهابة، وفي المقابل رأيت الشعوب المستعمرة التي وقفت إلى جانبها وكل الحفقاء أثناء الحرب الكونية النازية ضد دول المحور، أن من حقها التخلص من عبء وثقل الاستغلال والسيطرة التي طال أمدها، فيأمن كل من الجزائر وسوريا تنقذ فيهما جدوة الحرية في شهر واحد، ولكن الإدارة الاستعمارية لم تدرك حجم هذه التحويلات وفضلت دائما خيار القمع الوحشي<sup>(3)</sup>، وكانت النتيجة مع ذلك كراهة استقلال بعض البلدان المستعمرة بعد الحرب الكونية الثانية مثل: سوريا ولبنان في ديسمبر 1946م<sup>(4)</sup> وبوركينا فاسو 1947م وغيرها من الدول.

أما الهند الصينية فقد اشتعلت فيها نار الثورة منذ 19 ديسمبر 1946م، وفي سنة 1949م نجحت الثورة الشيوعية في الصين واعترف قائدها ماوتسي تونغ Maotse tounq بالفتنة vietminh

<sup>(1)</sup> سقطت العاصمة باريس كان يوم 15 جوان 1940م وفقدت لاونان (الحرب العالمية الثانية)، عرض مصور، ص 18، دار العلم.

<sup>(2)</sup> ديغول، مذكرات لبنان، 2001 ص 53.

<sup>(3)</sup> شارل ديغول : مذكرات الحرب "الخلاص" 1944-1946، ترجمة : جليل عبد الوهي وإبراهيم ترجمان، دار الصلة : أحمد غويشات، منشورات غرداية، جروتة لبنان، 1970، ص 418.

<sup>(4)</sup> مصطفى طلاس : وسام العسيرة : الثورة الجزائرية، ص 1، دار الشؤون : جروتة لبنان، 1982، ص 36.

<sup>(5)</sup> عبد الحميد بختيت : المرحح السابق، ص 300.

ودعمها ماديا ومعنويا، فاكتملت بذلك الثورة القشتالية بعدد دوليا آخر زاد من شدة الضغط على فرنسا الاستعمارية.

ومن هنا ندري أن الجيش الفرنسي سيمضي بأكبر هزيمة في بيان بيان في سنة 1954م<sup>(1)</sup> حيث حسم ما لا يقل عن 100926 رجلا بين قتل وجريح أو أسير، أما الاحتياطي فكاند يكون مفقودا ولم تستطع وزارة الدفاع الفرنسية خلال خمسة أشهر إلا إرسال 879 رجلا إلى الهند الصينية. كل هذه العوامل جعلت مؤنديس فرانس Mandés France رئيس الحكومة الفرنسية يوقع اتفاقيات حيفا<sup>(2)</sup> التي كرمست الحرية السياسية والعسكرية لدولة عظمى أمام شعب صغير<sup>(3)</sup>.

وقد اكتسبت حرب القشتال الكثير من الخبرة العسكرية للجنود الجزائريين الذين خاضوا عملياتها في جميع الشانين بجانب القوات الفرنسية، وخاصة في مجال حرب العصابات التي سيعتمد عليها الثوار فيما بعد لمواجهة جيوش كبار الجنرالات الفرنسيين المتخرجين من أشهر الكليات الحربية في العالم<sup>(4)</sup>. وبعد هيات التطورات السياسية في العلاقات الدولية نظروف الملائمة لشدائد التحررية في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ذلك تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد الموافقة على ميثاقها يوم 26 جوان 1945م، والتي حملت على عاتقها تحسيد سيادتي الحرية والمساواة من خلال هذا الميثاق. وقد أغلقت عن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها<sup>(5)</sup>.

وكان أهم ما ميز الساحة العالمية، ما عرف بأحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وفي إطار هذه الحرب ساهم المعسكر الشرقي أحيانا في تدعيم بعض الحركات التحررية عسكريا وسياسيا وذلك بهدف إضعاف الخصم، شمس حدث في الهند الصينية والثورة المصيرية التي قامت يوم 23 حويلية 1952م، كما أن المعسكر الغربي شكل هو الآخر حجر عثرة ضد من يقف في وجه الإمبريالية والاستعمار الغربي، الذي اتخذ أساليب جديدة أكثر تنظيم، كما هو الحال في تكتل الحلف الأطلسي الذي تأسس يوم 4 أبريل 1949م، وكذلك بعض المشاريع الاقتصادية ذات الطابع السياسي.

<sup>1</sup> - د. سطور: مصالي الحاج قائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، ترجمة صادق ساري، وبعطي قاضي، دار القصص للنشر، الجزائر 1999، ص 203.

<sup>(2)</sup> مؤتم حيفا، تمتد أشغاله من 26 أبريل - 21 حويلية 1954 وجلس إلى العشاء من الساعة 11 صباحا إلى الساعة 11 مساء، من بين المواضيع بعد احتلال دام أكثر من (70) سنة والتكاثف الاتحاد القاري الفرنسي في الهند الصينية.

<sup>3</sup> محمد حري: الثورة الجزائرية سنوات المخاصم، ترجمة نجيب بيهاد وساج التلوي، المؤسسة الوطنية للثقافة المصغرة الجزائر، 1991م، ص 07-08.

<sup>4</sup> م. باوند فاسم نايف، بالتاسم: ودود الفعل الأولى داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، دار «عبد الحسنة» الجزائر، 1983م، ص 55-56.

<sup>5</sup> «البيان» - النشور العسكري في الثورة الجزائرية 1954-1962، مرجع بيان.

ويمكن أن نرى كذلك بأهمية الثورة المصرية في فسخ الخيال نحو أسلوب جديد للمقاومة يشمل القارة الإفريقية ضد فرنسا الحليف القوي لبريطانيا في الحرب، وباعتبار مصر البوابة الحيوية نحو المستعمرات البريطانية في القارة الآسيوية عبر قناة السويس، علاوة على قيمتها الجغرافية الإستراتيجية، فإنها ستسبل مركزاً تدعمه لثورة جزائرية والثورة الفلسطينية من مطلق مبادئها الثورية فيما بعد، واستطاعت مصر بعد توقيعها معاهدة الخروج بريطانيا من قناة السويس يوم 26 جويلية 1956م<sup>(1)</sup> إعلان استقلالها بصورة نهائية.

هكذا إذن يجد الأحداث الدولية عقب الحرب الكونية الثانية، قد شهدت تطورات سياسية واقتصادية ملموسة، وانتقل مركز القوى المتحكمة في العالم إلى دول جديدة تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية البمثلة للنظام الرأسمالي، والاتحاد السوفياتي كتقطب ثاني مثل للنظام الاشتراكي، وتراجعت القوى الاستعمارية التقليدية أمام الوعي الكبير الذي عرفه شعوب المستعمرات وحركاتها الوطنية بعد أن زجت في العديد من المعارك المدمرة واستنزفت إمكاناتها بطريقة بشعة وكانت أراضيها مسرحاً للصراع والحرب التي لم تكن تعبها، ومع ذلك أرغمت على المشاركة فيها، وإن كانت قد تربت عنها خسائر مادية وبشرية معتبرة، فقد كان لها وجه إنجابي وهو ظهور موجة الحركات التحررية في آسيا وإفريقية ليفسخ الخيال أمام عهدها الجديد بحزم فيه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومع ذلك لا يمكن إغفال ذلك التوجه الأمريكي الجديد في إطار ما يمتدنى بسياسة ملاءم الفراغ.

وصفوة القول أن التأثيرات الدولية العالمية على حركات التحرر، بقدر ما كانت سبباً مسلياً على زقبات شعوب المستعمرات بقدر ما ساهمت في إيقاف الفوائس المضيئة في مختلف زوايا العالم المتخلف، كما جعل تلك الإمبراطوريات الاستعمارية تدفع ثمنها باهظاً من أجل الحفاظ على وجودها خارج الحدود الجغرافية الأوروبية.

### المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية:

لقد تمكنت القوى الاستعمارية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من بسط سيطرتها على أقطار المغرب العربي باستثناء ليبيا التي خضعت للاحتلال الإيطالي، وكان من شأن هذا الوضع المشترك أن يجعل هذه الأقطار أكثر ارتباطاً فيما بينها، بيد أن السياسة الفرنسية منذ البداية ميزت بين الجزائر وجزائرها تونس والمغرب، حيث اعتبرت الجزائر من وجهة نظر القانون الفرنسي أرضاً فرنسية وجزءاً لا يتجزأ من ترابها الوطني، ولذا فهي أول بلد يحتل وآخر بلد يستقل من بين هذه البلدان المغاربية لكونها تمثل الزمان الأكبر ولا تزال.

<sup>1</sup> - عبد الحميد ميت: المرجع السابق ص 413.



وقد سبق الحديث عن أهم التطورات الدولية التي ساهمت في نشاط الحركات التحررية، ورائدا كيف استقلت بعض الدول وبقيت دول أخرى تطالب باستقلالها، منتهجة عدة طرق وأساليب منها: أسلوب الكفاح السياسي الذي اتبعته كل من تونس والمغرب، و الجزائر إلى مطالع الخمسينات من القرن العشرين، واستطاعت البلدان المغاربية أن تقطع شوطا متقدما نحو أسلوب جديد من الكفاح وهو العمل العسكري، إلى جانب النضال السياسي، ذلك أن فرنسا قد فضلت سياسة التهدة أثناء الحرب الكونية الثانية حتى لا يغفل منها زمام الأمور، وهي في وضع حرج، ولكن ما كادت تنتهي هذه الحرب حتى كثرت عن أنيابها الحقيقية التي كانت تخفيها طوال الحرب. فقامت بقمع الحركات الوطنية التي أصبحت تهدد مصالحها المختلفة بقوة، نظرا لدرجة الوعي السياسي الذي بلغته في تلك المرحلة. فهل يمكن القول أن هذا الأسلوب تجاوز الزمن؟ أم أن السلطات الفرنسية قد حافظت بذلك على مركزها بين الدول الأوروبية؟ وكيف كان تفاعل الأوساط الشعبية والحركات السياسية المغربية مع هذه السياسة القمعية؟

أولا/ المملكة الليبية: تعد ليبيا بلدا مكتملا جغرافية المغرب العربي وجزء لا يتجزأ منها، فهي تحت العروة الوثقى للاتصال بين المغرب والمشرق العربي، وقد كانت فيما مضى كشقيقتها الجزائر وتونس إيالة عثمانية حتى سنة 1911م تحت حكم الأسرة القرملية والسنوسية، وفي هذا التاريخ نعمت إلى حملة عسكرية شرسة من قبل الإيطاليين الذين بسطوا نفوذهم السياسي والعسكري على معظم أنحاء البلاد ولا سيما المناطق الساحلية منها.

حيث استغلوا طابع الجفاف الذي يميز هذا البلد وقاموا بإغلاق الكثير من الآبار التي كانت المصدر الأساسي لمياه الشرب، فباتت هذه الطريقة الخافذة للثقات من الناس<sup>(1)</sup>.

بل وحتى الحيوانات أيضا، أما على المستوى الشعبي في ليبيا فقد ظلت المقاومة تطبع حياة الناس طوال فترة الوجود الإيطالي في البلاد.

ومن أهم حركات المقاومة الليبية: الحركة السنوسية التي اتخذت من الزوايا مركزا لنشاطها الديني والتعليمي والجهادي بل وحتى الاقتصادي أيضا<sup>(2)</sup> وبعدها جاءت مقاومة شعبية متميزة بقيادة الجهاد عمر المختار وقد عرفت أوجها فيما بين 1923م-1931م.

أما عن نشاط الحركة الوطنية السياسية الليبية، فإن ما يميزها هو النفاذ لكل الأحزاب في مطالبها حول هدف واحد وهو الاستقلال الوطني، وقد تأسست في جلها سنة 1946م، ومنها الحزب الوطني يوم

<sup>1</sup> - - - - - "أما في: المصور العسكري في الثورة الجزائرية (1954-1962)" : قسم التاريخ جامعة باقة، إشراف كذا. عبد الكريم بن سحاف، 2007.

<sup>2</sup> - - - - - "بلاد جزائريين وأحرار : العالم العربي، قدم: حسن جلال العروسي، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1962، ص 369.

<sup>3</sup> - - - - - المرجع نفسه، ص 370.

7 أبريل والكتلة الوطنية الحرة في 8 ماي، والجبهة الوطنية المتحدة يوم 10 ماي، وحزب الاتحاد الوطني الطرابلسي. في نهاية السنة نفسها<sup>(1)</sup> أي عقب انكسار شوكة قوات الحواري ومنها القوات الإيطالية التي تم جلاؤها من ليبيا بصورة نهائية في شهر جانفي 1943م، الأمر الذي فسخ المجال لنشاط الحركة الوطنية وحصولها على دعم دولي يؤيد استقلالها، حيث أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 21 نوفمبر 1949: قرارا ينص على منح ليبيا استقلالها الكامل في أجل أقصاه بداية سنة 1952<sup>(2)</sup>، وبهذا تنزع الأمانة عن هذا البلد العربي الإفريقي الذي عاش قرابة أربعة عقود حياة صعبة، لاسيما أثناء الحرب الكونية الثانية، عندما كان مسرحا لمواجهات شرسة بين جنوش الحواري وجيوش الحلفاء؛ وبالتالي كان من أكثر البلدان التي تعرضت للتخريب واستنزاف طاقاتها البشرية، التي سخرت لصالح قوات الحلفاء، كما حدثت في الفيلق العسكري الليبي المشارك إلى جانب بريطانيا، بل أن الأمر نعدى ذلك إلى احتلال جديد، مردوج من قبل بريطانيا التي سيطرت على برقة وطرابلس وفرنسا التي سيطرت على فزان الحاضرة للجزائر بالإضافة إلى إنشاء قواعد عسكرية أمريكية في الأراضي الليبية.

وإذا كان هذا حال المستعمرة الإيطالية في شمال إفريقيا، فإن الأوضاع في كل من تونس والمغرب تختلف عن ذلك بعض الشيء، لاختلاف طبيعة المحتل والمقصود بذلك أنها مرت بظروف أكثر صعوبة خاصة مع طول فترة الاحتلال وكثافة الوجود الاستيطاني بهما.

**ثانيا/ تونس:** لقد فرضت الحماية على تونس منذ فترة رمنية طويلة تعود إلى سنة 1881م، من قبل القوات الفرنسية، وذلك بعد احتلال الجزائر بزهاء خمسين (50) عاما، حيث نعد تونس أكثر بلدان إفريقيا الشمالية تأثرا بالشرق العربي<sup>(3)</sup>، ولهذا فالحركة الوطنية التونسية بدأت تأخذ منحى أكثر تنظيما منذ نهاية الحرب الكونية الأولى، على عتار الحركات السياسية الاستقلالية في المشرق العربي وخاصة في مصر<sup>(4)</sup>، وبعبارة أخرى الحركة الوطنية الجزائرية التي كانت آنذاك ما تزال في بداية ظهورها ما فتئت تظهر وتؤسس بعض أحزابها، ولكن لم تكن فوق أرضها مثل منظمة نجم شمال إفريقيا التي تأسست في فرنسا نفسها.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - محمود كامل الحامي: الدولة العربية الكوي، ط2، دار المعارف - مصر - دون تاريخ، ص 545.

<sup>2</sup> - محمد كامل الحامي: الجمعية العربية والقومية العربية، دار الفكر - المغرب، القاهرة 1966، ص 77.

<sup>3</sup> - "تونس هي من أكبر البلدان المغاربية تأثرا بالشرق حيث عرفت إنشاء أول معسكر إسلامي في المغرب العربي وهو القيروان التي تم تدعيمها سنة 500م، وجامع الزيتونة الذي بنى 115م هو أقدم الجامع التي بناها العرب إلى أن تأسس الجامعة كاس من أقدم المدن التي بناها العرب"، كما أن سنة الزمر الذين بقوا في تونس هي 1% يعكس ليبيا مثلا التي بنوا فيها الزمر بنسبة مئوية من جولي قرابة الثمان كان مسكناته تقريبا كلها بربر.

<sup>4</sup> - استعلاء عز الدين: المراجع السنوي، ص 393.

<sup>5</sup> - والمفجود هو حزب نجم شمال إفريقيا الذي كان من أولى كجمعية للشبابات العلمانية المغاربية في فرنسا.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال إجراء مقارنة بين البلدين؛ وذلك لسبب واضح وهو نوع الاحتلال الذي خلق على تونس، وهو الحماية بمعنى أن تونس ظلت تحفظ بحكومتها المحلية وتستطيع تسير شؤونها الداخلية على الأقل، أو كما هو المقصود من الحماية. فالسلطات الفرنسية أبقى ظلاً من الحكم الوطني، فالباي التونسي ظل موجوداً، وإن كان وجوده يطرح الكثير من علامات الاستفهام لأن الحاكم الحقيقي هو المقيم العام الفرنسي الذي كان مسيطر على الإدارة<sup>(1)</sup>، ويطبق القوانين المناسبة لسياسة الاحتلال.

أما نوع الاحتلال في الجزائر فهو مختلف تماماً عن بقية المستعمرات الفرنسية؛ كونه يمثل حالة الاحتلال العسكري، الذي يعتمد على القوة والاقتصاب وإلعاء الطرف الآخر بصورة تامة، لدرجة محاولة احتشائه من جذوره والقضاء على جميع مقوماته، ولست بصدد الحديث عن هذا الموضوع ولكن حتى نفهم فقط البون السامع بين الأقطار المغاربية إبان الاحتلال الفرنسي.

ومن أبرز الأحزاب السياسية التونسية الحزب الدستوري الذي تأسس عام 1920م، واقتصرت مطالبته في بداية الأمر على حق ممارسة الحياة السياسية ولاسيما الدستورية منها<sup>(2)</sup>، وحزب الدستور الجديد، الذي انشق عن الحزب الدستوري القديم أثناء مؤتمر قصر هلال في مارس 1934م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح هناك حزبان دستوريان وكان الجديد منهما أكثر شعبية<sup>(3)</sup>، لعدة أسباب أهمها:

- 1- مطالبته الاستقلالية الراديكالية، وهذا راجع لكون معظم مؤسسيه وقادته من الشباب<sup>(4)</sup>.
- 2- طبيعة أعضائه الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الشعبية لاسيما الطبقة العاملة، وبالتالي فهم يعززون عن معاناة الشعب التونسي، وإن كانوا مثقفين مزدوجي الثقافة من أمثال محمود الماطري والظاهر صفر وأخشب بورقية.
- 3- تحيزه بتنظيم حكمه فاجتماعاته دورية وفروعه موزعة عبر التراب الوطني<sup>(5)</sup>.

والمهم أن الحركة الوطنية التونسية ازدادت قوة ونشاطاً أثناء الحرب الكونية الثانية؛ خاصة مع سقوط فرنسا وعجزها الدفاع عن نفسها؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنويع محمد المنصف باي بابا

<sup>1</sup> الجلاء عن الدين: المرجع السابق، ص 393.

<sup>2</sup> - أمال شلي: التطور العسكري في الثورة الجزائرية (1954-1962)، مرجع سابق.

<sup>3</sup> - محمود كامل نخاسي: المرجع السابق، ص 555.

<sup>4</sup> - شارل إدري جوتيان: إفريقيا الشمالية نسو، ترجمة: المرحي صدم، وأخرون، مراجعة: فرانسيس إدري، الشركة التونسية للنشر والوزع، الجزائر، 1976، ص 101.

<sup>5</sup> - محمود كامل نخاسي: المرجع السابق، ص 556.

<sup>6</sup> - محمود كامل نخاسي: المرجع السابق، ص 507.

على تونس سنة 1942م، وهو المعروف بوطينته منذ أن كان عضوا في حزب الدستور الجديد، حيث قدم في شهر أوت من السنة نفسها إلى المقيم العام برنامجا إصلاحيا كبيرا<sup>(1)</sup>.

ويعد هذا البرنامج نقطة تحول جوهريّة في الحركة الوطنية التونسية، كون الباي لأول مرة يقدم هذه المطالبات الجريئة، بالإضافة إلى سياسته الأكثر تحورا من السيطرة الفرنسية والتي امتازت بتطاع استقلالي ووطنى لم تحسم إدارة الاحتلال، وعلى الرغم من أن الباي لم يثبت طويلا في أريكة الحكم، إلا أن عهده شهد تنظيم العديد من المظاهرات<sup>(2)</sup>، للمطالبة بإطلاق سراح المساجين بل والاعتراف باستقلال تونس وذلك من مطلق عدم شرعية فرض الحماية من دولة لم نستطع توفير الحماية لنفسها، وهذا فما أن رجحت كفة الحرب الكونية الثانية لصالح الحلفاء، حيث سارعت سلطات الاحتلال إلى رد فعل عنيف، فاعتدت رجال الحركة الوطنية وزحت بهم في غياهب السجون<sup>(3)</sup>، ووقفت موقف الرفض لأيّة إصلاحات، وهذه الأعمال كانت لها ردود أفعال بنفس القوة حيث عقد مؤتمر عام في شهر أوت 1946م جمع كل الاتحادات الحزبية والثقافات العمالية وتحلص إلى رؤية موحدة مقادها:

#### 1- التأكيد بسياسة فرنسا ونظام الحماية.

2 التأكيد على عزم الشعب التونسي في استرجاع استقلاله التام، وهو الأمر الذي أدى إلى ملاحقة المؤتمرين والقبض عليهم<sup>(4)</sup>، مما زاد في تأزم الوضع، وتتوالى الأحداث ويعتبر فرحات حشاد رئيس الاتحاد العام للعمال التونسيين الإضراب العام، ويتكرر الاستياء إلى هذه الوسيلة حيث بدأت القضية التونسية تكتسب طابعا دوليا وتوجه النضال السياسي إلى نشاط خارجي من أجل كسب مؤازرة دول الجامعة العربية أولا، ومحاولة إدراج القضية التونسية في جدول أعمال الجمعية العامة لأمم المتحدة ثانيا<sup>(5)</sup>، ولكن هذا التوجه لم يكن له الصدى المطلوب، فالبلدان العربية التفت حول قضية أكثر تعقيدا وهي بداية الحرب العربية الإسرائيلية بشأن احتلال فلسطين، أما رد فعل الهيئة الأومية فقد كان موقفا دبلوماسيا ويعبر بطريقة أو بأخرى عن تأييد واضح لفرنسا<sup>(6)</sup>.

وفي مطلع سنة 1952م، عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمرا سريا اتخذت فيه قرارات حاسمة وهي العمل على إلغاء نظام الحماية وتنظيم الكفاح المسلح، وبالشغل تنطلق العمليات المسلحة لتشمل معظم

1- مما جاء في التعليق الإخباري لكافة التونسيين مع تعميم الأمة العربية في جميع المعاهد، والنراج الملكية لأمم المتحدة من جميع التمسكات، المشايخ في المراتب والأجور... الخ، ينظر شارل أندري، جوليان: المراجع السابق، ص 119.

1- أحمد عمر الدين: المراجع السابق، ص 395.

2- محمد كامل: أراء المراجع السابق، ص 507.

3- محمد كامل: أراء المراجع نفسه، ص 507-508.

4- أحمد عمر الدين: المراجع السابق، ص 399.

5- محمد كامل: أراء المراجع السابق، ص 508-509.

المناطق الجنوبية؛ بل وحتى المدن الساحلية واستطاعت إرباك القوات العسكرية الفرنسية<sup>(1)</sup>، وذلك بفضل التفاف الشعب حول قضيتهم الوطنية مؤيدا أهم حزب قائد البلاد إلى الاستقلال يوم 20 مارس 1956م ألا وهو الحزب الدستوري الجديد.

ولا شك أن الظروف الدولية والإقليمية قد ساعدت على السير بالبلدان المغربية نحو الاستقلال كما سهرى في كل من المغرب والجزائر أيضا.

**ثالثا/ المغرب:** أما الوضع في المغرب الأقصى أو كما يعرف بأسم مراكش كان يختلف عن بقية بلدان المغرب العربي، فمن الناحية التاريخية تسجل الخصائص الأتية:

1- نوع الاحتلال المطلق في المغرب منذ 1912م. فقد كان مزجحا بين دولتين هما فرنسا وإسبانيا وهذه الأزواجية كان لها سلباتها كما كانت لها إيجابياتها من جهة أخرى.

2- النظام القبلي المنكسر بقوة في كل البلاد.

3- الطابع الجبلي الذي يميز المغرب.

هذه الخصائص جعلت بلاد المغرب الأقصى أكثر مناعة وحصانة ضد أي دحيل أجنبي، وهذا فقد واجه المحتلون صعوبات جمة ومقاومة شرسة من الشعب المغربي، ونجد الإشارة في هذا السياق إلى أهم المقاومات العنيفة، التي كانت تنوكة في حقن المقتنين من الفرنسيين والإسبان على حد سواء، ألا وهي ثورة الشريف عقيدة عبد الكريم الخطابي (1921-1927)<sup>(2)</sup>.

4- تأخر الاحتلال الفرنسي الكلي للمغرب إلى سنة 1935<sup>(3)</sup>، مما ساعد على نمرعة ظهور الأحزاب السياسية في فترة وجيزة بعد فرض الحماية؛ فمتد مطلع الثلاثينات من القرن العشرين بدأت الأحزاب السياسية تتكون تدريجيا، وبدأ الشباب ينتف حولها ويختلط في صفوفها، وهذه الأحزاب هي "كتلة العمل الوطني" و"الحزب الحركة القومية" بزعامة الوزاني<sup>(4)</sup>، ولما بادرت سلطات الاحتلال بحل كتلة العمل الوطني انتف الشباب حول الزعيم الوطني "علال الفاسي" فأسس الحزب الوطني<sup>(5)</sup>، ولكن الحركة

<sup>(1)</sup> - Jean Lacouture : cinq hommes et la France, édition de seuil, Paris . 1961.

p154.

<sup>(2)</sup> - مسود كامل اعلم: المرحح المسعودي من 571-572.

<sup>(3)</sup> - لم تتمكن القوات الفرنسية من إخضاع الثورات الشعبية المسلحة وخاصة في أقصى الجنوب إلا في سنة 1935، وقد كلفها ذلك الكثير من الجحاشات البشرية والمادية؛ فمر المرحح نفسه من 570-570 وعما كامل ليلة المرحح السابق من 518.

<sup>(4)</sup> - محمد كامل ليلة المرحح السابق من 570.

<sup>(5)</sup> - يذكر شارل أندري جوبان في كتابه إفريقيا الشمالية نشر من 188، أن علال الفاسي والوزاني قد ميذا لخصائص مختلفة، فادأول منسبغ الإسلاموية وله بعض شعبية كبره حله، أما الوزاني فتشافة غربية وسياسة أكثر اعتمادا للبرجاء الاستعداد لتضخم بعض المسارلات، وقد احتشت سبائهما فكلاهما يفتق حول مطلب الاستقلال.

الوطنية المغربية قد تعرضت إلى المضايقات والمنع والإقصاء كمسائر الحركات الوطنية في المغرب العربي كحل الأحزاب وبقي الزعماء أو سجنهم<sup>(1)</sup>.

ولكن مع بداية الحرب الكونية الثانية اختلفت الأوضاع عما كانت عليه من قبل، لاسيما مع مرور فرنسا بأوضاع حرجية، حيث شهدت الساحة الدولية والمغربية حملة من التطورات كان لها التأثير المباشر في نمو الوعي القومي والوطني، والتفاف الشعب حول أهم حزب سياسي فاعل وهو حزب الاستقلال المؤسس في ديسمبر 1943<sup>(2)</sup>، ومن أهمها:

1- الوعود التي قدمتها حكومة فرنسا الحرة لمراكش، والتي تقضي بإعرجها الاستقلال والحرية بعد نهاية الحرب الكونية الثانية.

2- ميثاق الأطلسي الصادر يوم 14 أوت 1941م، الذي أقر مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

3- إزال قوات الحلفاء في أسفي والرباط والدار البيضاء في أكتوبر 1942م، مما أتاح للمعارضة فرصة الاتصال بتلك الجيوش المنظمة ورؤية معداتهم العسكرية المتطورة.

4- زيارة فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لمراكش خلال الحرب الكونية الثانية، واجتماعه بسلطانها ووعدده أيضا بالعمل إلى جانب الشعب المغربي لئلا يحرمه واستقلاله<sup>(3)</sup>.

5- إلغاء مؤتمر امدار البيضاء المنعقد يوم 14 جانفي 1943م، وقد حضره فرانكلين روزفلت عن الولايات المتحدة الأمريكية، ونستون تشرشل Winston Teherchill عن بريطانيا وشارل ديغول عن فرنسا. وإن كان قد بحث في كيفية إزال قوات الحلفاء بالأراضي الفرنسية وتحريرها، فإن القيادة الأمريكية قد اعترفت بأن الاستعمار الفرنسي هو أسوأ ما يمكن أن ينكب به شعب من الشعوب<sup>(4)</sup>.

6- "حرير وثيقة الاستقلال يوم 11 جانفي 1944م، بعد نشاطات سرية حثيثة برعاية حزب الاستقلال، وبأييد واضح من السلطان محمد بن يوسف"<sup>(5)</sup>، حيث تعد هذه الوثيقة تحدي صارخ لسلطة الاحتلال الفرنسي.

<sup>1</sup> - إلهام عبد القادر: المرجع السابق، ص 403.

<sup>2</sup> - شارل ديري: حوليات، المرجع السابق، ص 379.

<sup>3</sup> - محمد كامل: المرجع السابق، ص 519، وسأل ديري: حوليات: المرجع السابق، ص 375.

<sup>4</sup> - ديري: كامل: المرجع السابق، ص 574.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 571.

ولكن مع اقتراب نهاية الحرب الكونية الثانية شهدت الحركة الوطنية المغربية منعطفًا حاسمًا إذ سارعت فرنسا إلى استعمال القوة والتشكيل بالشعب وكل التيارات الوطنية<sup>(1)</sup>، مما اضطر الكثير من الشخصيات الفاعلة في الساحة السياسية إلى مغادرة البلاد والالتجاء إلى مطن و مواطنة الكفاح إلى هناك، حيث تم تأسيس مكتب المغرب العربي<sup>(2)</sup>، وكان لـ "علال فاسي" و"عبد الكريم الخطابي" دور كبير في تفعيل القضية المغربية التي أخذت صبغة عربية ودولية، خاصة بعد مطالبة السلطان محمد بن يوسف في خطاب طنجة 1947م، بحق استقلال بلاده وتأكيد على ارتباط المغرب بالعالم العربي والمغرب العربي بصفة خاصة<sup>(3)</sup>.

وهكذا نجد أن النضال السياسي المغربي قد بلغ درجة كبيرة من النضج والوعي القومي، مما دفعه إلى اضطرار السلطات الفرنسية إلى القيام بشبه مفاوضات مبكرة مع السلطان محمد بن يوسف، أثناء زيارته الرسمية لباريس في أيار 1950م، ولكنها تعثرت بسبب الاختلاف الكبير بين الطرفين، حيث اكتفى الفرنسيون بعرض إصلاحات ثانوية في حين بين السلطان أن العلاقات المهنية على أساس الخصاية في ضوء التوجهات العالمية الجديدة لم تعد مقبولة، وعليه يجب احترام حق الشعب المراكشي في نيل حريته واستقلاله<sup>(4)</sup>، وكان من الطبيعي عدم تفويت هذا الأمر للسلطان المغربي باعتباره أيد شعبه علانية وشجعه للنهوض واستعمال كل الوسائل لتحقيق هذه المشروع.

وفي سنة 1952م، تازمت الأوضاع وعمت الأراضي المغربية المظاهرات والاحتجاجات وأعمال العنف، وفي المقابل تمت سلسلة من الاعتقالات والقمع المنظم ضد أهم الأحزاب السياسية وخاصة حزب الاستقلال، واتجهت سلطات الحماية إلى نفي السلطان محمد الخامس خارج البلاد، وقد رافق ذلك كله تدهور الأوضاع العامة في تونس، إثر استشهاد الزعيم التونسي فرحات حشاد في ديسمبر 1952م<sup>(5)</sup>، وتفاقم الأوضاع أكثر بعد نفي السلطان محمد الخامس إلى جزيرة ماغشقر يوم 20 أوت 1953م<sup>(6)</sup> فكان رد فعل الشعب المغربي عنيفًا وحارًا ضد سياسة الإدلال التي طبقتها

<sup>1</sup> - ساري القوي حوليا: المرحح السابق، ص 382.

<sup>2</sup> - كانت البداية مع تأسيس "جمعية الفلاحين" بالظاهرة والتي شملت نشاطا حرايا وثقافيا، تهدف إلى غاية الوحدة مع الشعب المغربي.

<sup>3</sup> - Jean Lacouture : op-cit, p153.

<sup>4</sup> - علال فاسي: المرحح السابق، ص 406-407.

<sup>5</sup> - المرحح نفسه، ص 409.

<sup>6</sup> - نفي محمد بن يوسف إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر.

سلطات احتماية في البلاد ضد الشعب المغربي وزعمائه، إذ قامت الثورة أو المقاومة الشعبية المستمرة في كل مكان<sup>(1)</sup>.

ومع تسارع وتيرة الأحداث تنهزم فرنسا في مارس 1954م، في معركة ديان بيان فو في الهند الصينية. كما سلف الذكر-، ثم ندفع الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954م، وتتم المحرمات الشهيرة في منطقة الشمال الفسطيني يوم 20 أوت 1955م، في الذكرى الثانية لفي محمد الخامس، ولهذا فلم تخط إلا ثلاثة أشهر على هذا التاريخ حتى يعود محمد الخامس لبلاده يوم 16 ديسمبر 1955م<sup>(2)</sup>، ثم جرت، بعد ذلك مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع التصريح المشترك الذي ألغى معاهدة الحماية المفروضة على الشعب المغربي منذ 30 مارس 1912م، وكان ذلك يوم 02 مارس 1956م.

والحق أن الضغط السياسي الذي مورس على البلدان المغربية خلال فترة الاحتلال، قد أدى إلى تطور الوعي الجماهيري، ولم يعد في مقدور سلطات الاحتلال وقف بحري الأحداث، خاصة بعد الحرب الكونية الثانية، بل في زاد شعور اشتل بخطر وحدة الكفاح المسلح بين أبناء شمال إفريقيا، مما جعله ينتهج سياسة جديدة تقوم على التفريق بين البلدان المغربية، فركز إلى التفاوض مع الحبيب بورقيبة للوصول إلى اتفاقية الاستقلال الذاتي، وذلك بعية تقويت الفرصة على الأطراف المتحاربة ضده في المنطقة، وبذلك تصبح تونس في حالة تنويم مغناطيسي تمنحها هذا المكسب غير المكسب، لأنه مقيد بالعديد من الامتيازات والشروط، كما قامت السلطات الفرنسية بالإحرام نفسه مع المغرب الأقصى حيث كان من شروط رفع الحماية منع تقديم أي تعاون أو مساعدة للثورة الجزائرية، أما الطرف المتبقي من المعادلة فقد كان موقفه أكثر صعوبة من البلدين الجارين كقول الجزائر ستضطر إلى جبهة العدو بصورة مفردة.

وجملة القول أن الوعي السياسي المغربي قد تزامن كنهه تقريبا مع بعضه البعض، وإن كانت النتائج التي نوسنت إليها البلدان الثلاثة المخاورة للجزائر، تختلف رميا عن النتائج التي نوسلت إليها الجزائر، فقد حصلت ليبيا على استقلالها نهائيا سنة 1952م، وحصلت تونس والمغرب على استقلالهما كليا سنة 1956م، بينما تأخر استرجاع استقلال الجزائر إلى سنة 1962م، ويعود السبب في ذلك إلى الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي كانت تحتلها الجزائر، لأنها تكاد تكون قارة بذاتها لتتبع مناهجها وتضاريسها وعصولاتها، ولكونها تشكل النقب المنبسط للبلدان المغربية.

<sup>1</sup> محمد كامل ليد: المرجع السابق، ص 520.

<sup>2</sup> حمود كامل: المرجع السابق، ص 575.



### المبحث الثالث: التطورات السياسية عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م:

لاشك أن الحديث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م، يهدف إلى فهم الظروف التي اندلعت فيها الثورة ووضعها في إطارها الصحيح؛ فالتحليل الموضوعي يقتضي أن تأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل المسببة لتغيرات الجهورية التي وقعت في البلاد وليس نجرتها كل على حدا، لكي ندرك طبيعة الثورة وحقائقها المتحاشية، وهي أن هذه الثورة لم تأت نتيجة ظروف اقتصادية واجتماعية كان يعاني منها الشعب الجزائري فحسب، بل هي أعمق من ذلك بكثير، إذ تمثل الامتداد العنقوي للمقاومة الوطنية الجزائرية طيلة الوجود الاستعماري، ولم كانت ثورة مطالب اقتصادية واجتماعية، لتوقف منذ البداية ولكان ذلك عامل ضعفها وفشلها؛ ولكنها امتدت طيلة سبع سنوات ونصف متوحدية كل الخطط والأساليب العسكرية والسياسية الجهنمية التي اتبعتها سلطات الاحتلال الفرنسي بهدف إجهادها في المهزلة.

والحقيقة أن الوجود الفرنسي في الجزائر هو القائم على أساس هذه النظرية المادية، ولهذا كان هذا العامل العنصر الجوهري في فشل السياسة الاستعمارية، على الرغم من قوة أساليبها وإمكاناتها.

لعل الحديث عن أوضاع الجزائر عشية اندلاع الثورة يتطلب تشظيره إلى شطرين: الشطر المغربي والشرطي الاستعماري لطبيعة الواقع الجزائري؛ في ظل وجود الاحتلال منذ أن وطأت أقدامه هذه الأرض الأبية؛ حيث كانت الدولة الجزائرية تسط سباحتها على كل هذه البلاد المتساعفة، مما جعلها تتمتع بـ رخم ثقافي وغني حضاري يضاهي حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط الأخرى في ذلك الوقت؛ كما كانت لها تعاملاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية الواسعة، ويتضح ذلك من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها مع مختلف دول العالم في إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا، بواسطة التمثيل الدبلوماسي؛ الذي لم يتوقف إلا بعد الاحتلال سنة 1830م؛ حين قام الفرنسيون بارتكاب الجريمة التاريخية، التي ستبقى وصمة عار في الملدنية الفرنسية على الدوام؛ وكما يقول د. جمال قنان: "فالجريمة لا تتسل في نظرنا في كون فرنسا قامت بغزو البلاد واستعمارها فهذا شيء ليس جديد في العلاقات بين الأمم والشعوب، وإنما الجريمة تكمن في الإدعاء بأن الدولة التي أطاحت بها فرنسا لم تكن موجودة وأن الشعب الذي استعمره لم تكن له سيادة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> كانت أهم التبعات على قوتها البحرية في الحفاظ على الأمن والسلم في البحر المتوسط؛ حيث تم عقد العديد من المعاهدات مع الجمهورية الجزائرية، كما كان لها دور مهم في كثير من المعاهدات؛ فمثلا عقدت مع المعاهدتين بالجزائر سنتي 1815-1816، وهولندا وجمهورية هولندا (11) معاهدة وأنشأ ثمانية عشر (18) معاهدة ومع فرنسا مبرمات (70) معاهدة. انظر مولود قاسم ثابت بناس: الخصية الجزائرية الدولية وحدها الإدارية قبل 1830م، ط1، دار البحث للطباعة والنشر: قسنطينة، 1985، ص 14.

<sup>2</sup> جمال قنان: مضايقات الدراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع، الجزائر، 1994، ص (240).

ومن هذا المأزق بدأت فرنسا بأول خطوة وهي إلحاق الجزائر بمقتضى مرسوم 22 جويلية 1834<sup>(1)</sup> الذي اعتبر الجزائر أرضا فرنسية، ثم كان إصدار مرسوم 185 الذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين، وأطلق عليهم اسم المسلمين الفرنسيين<sup>(2)</sup>، وعليه فإن الاحتلال الذي طبق في الجزائر يعتبر من أعظم أنواع الاحتلالات والهيمنة الأجنبية في العصر الحديث، لكونه لا يعترف بالشخصية الوطنية للشعب الجزائري أو أي حرية سياسية، وعلى الرغم من اعتبار الجزائريين رعايا فرنسيين - لا يتمتعون بدرجة المواطنة - فإنهم محروكين من جميع الحقوق، وذلك تحت ستار مجموعة من القوانين الخاصة مثل قانون الأهالي<sup>(3)</sup> ولم يخط بالمساواة إلا فئة قليلة وهي الحالبية اليهودية المتواجدة في الجزائر منذ القدم، في حين حرم الجزائريون من حق الانتخاب إلا في سنة 1919م، عقب الحرب الكونية الأولى كمقابل لما بذلوه من تضحيات دفاعا عن فرنسا بعد تخليدهم إيجابيا في جيوشها، ولم يمنح هذا الحق كذلك إلا لفئة قليلة<sup>(4)</sup>.

وإن حدث تغيير نوعي على الصعيد الدولي أثناء وبعد الحرب الكونية الثانية فإن الإدارة الفرنسية لم تغير من سياستها إلا بصورة شكلية محاولة الإمساك بزمام الأمور في ظل تزايد النشاط التحرري في الوطن العربي من جهة ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، التي أصدرت بيان موحدا يوم 10 فيفري 1943م تضمن مطالب إصلاحية مستعجلة ومطالب استقلالية موحدة<sup>(5)</sup>، ومن أهم ما تضمنه البيان هو تطبيق مبدأ حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الجزائري وجميع الشعوب المستضعفة بإلغاء الاستعمار واستنكاره واعتباره أحد أشكال الاستغلال الجماعي الذي تطبقه دولة على حساب دولة أخرى.

وكان رد فعل السلطات الفرنسية بعد سلسلة من الاعتقالات التي تعرض لها قادة الحركة الوطنية هو عدم الاعتراف الرسمي بمطالب البيان، إذ اعتبر الحاكم العام "كاترو" "Catroux" تلك المطالبات سابقة

<sup>(1)</sup> مرسوم 22 جويلية 1834 الذي اعتبر الجزائر قطعة من الأرض الفرنسية وجزءا لا يتجزأ منها ومن ثم، تم وضعها تحت إشراف حاكم عام عسكري فرنسي، ونفسه، إلى ثلاثة عمالاد، (قسنطينة، وهران، الجزائر).

<sup>(2)</sup> راجع تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ص 2؛ الحركة الوطنية المستمرة والتوزيع: الجزائر 1981، ص 100.

<sup>(3)</sup> قانون الأهالي le code de l'indigène أصدرته فرنسا بعد ثورة 1871، لكنه جدد بعد اتفاقية وادي مروي (1881) وقدره صافي عدد الميزان، و يتضمن هذا القانون سلسلة من العقوبات الخرافية التي تسبب لها علاقة بالقانون أو إصدار القوانين ونظم ثلاثة فئات (3.3) مختلفة من نفس الجزائريين، دون درجة أو الاحتمال دون وخصه، استلزام سلاح أو دجيرة إجابة فرنسا: الشاعر في تاجيل في ولايات واليهود... الخ، ثاني فإن هذا القانون فرض المراقبة الشاملة وبناءا عنه طبق مبدأ المسؤولية الجماعية عند حصول أي حادث في أي مكان، وتطبيق العقوبة الجماعية مثل السجن أو المصادرة أو الترحيل دون صدور حكم قضائي يخصي بذلك.

<sup>(4)</sup> مصطفى ضاهر، و.إ.إ. المصطفى: المرجع السابق، ص 46.

<sup>(5)</sup> برال هنان: المرجع السابق، ص 194.



إذن فمن خلال هذا النص يتبين لنا بوضوح أن مظاهرات 8 ماي 1945م، كانت معارضة شاركت فيها أعداد كبيرة من مختلف الشرائح الشعبية، ورفعت فيها اللافتات والأعلام مطالبة بحق الجزائر في نيل الحرية والاستقلال كغيرها من شعوب العالم التي حققت استقلالها، ومذكرة فرنسا في الوقت نفسه بوجوب وفائها بما قدمته من وعود للجزائريين أثناء الحرب الكونية الثانية مقابل المساعدات المادية والبشرية التي كانت قد تلقتها من الجزائر عندما كانت تكن من مرارة الضعف والهزيمة أمام القوات النازية.

وعلى الرغم من أن مجازر ماي 1945م، كانت أكثر وحشية في الشرق الجزائري هو الحال في قائمة عرابة وسطيف... وغيرها من المدن، لا فهذا لا يعني إحصارها بهذه المدن أو في الشرق الجزائري عموما بل إنها قد امتدت لتشمل الوسط والغرب، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل دلالة واضحة على الوعي الوطني الكبير الذي بلغته الجزائر بما فيها من اتجاهات سياسية مختلفة وشخصيات وطنية بارزة وجاهير شعبية عريضة.

وقد استمرت هذه الجريمة في حق الإنسانية حوالي شهرين أو أكثر حيث توالى العمليات بهذه الوحشية وتعزير من الطائرات والمدفعية الجوية والبحرية كانت الأرض تدك والبوت تها والأرواح تزهق والدماء تراق والأعراض تدنس، وأنهت حصيلة قادة الإجماع الفرنسي بأرقام تكاد تكون خيالية خمسة وأربعون ألف (45000) ضحية وحكم بالإعدام على تسعة وتسعين (99) شخصا وستة وستين (66) شخصا بالأشغال الشاقة المؤبدة....<sup>(1)</sup>

هذه مأساة الشعب الجزائري التي سنهيا حيلة جديدة جيل 1945م، الذي سيجعل على عاتقه تفجير الثورة بعد تسع سنوات فيما بعد في الفاتح نوفمبر 1954م.

وبخلاصة القول أن مجازر الثامن ماي 1945م، كانت الفاصل بين سياسة انصاف الحلول السياسية الإصلاحية والسياسة الثورية، حيث انطلقت الحركة الوطنية معتمدة على أسس جديدة واتفق جميع الزعماء الوطنيين على هدف واحد وهو الاستقلال، وبعد ذلك تفضية تحول حاسم، فبالنسبة للمستوطنين كانت تعبير صارخا عن قمة الوحشية التي طامنا الصقوا تحميتها بالوطنيين وهي في الحقيقة الضئيلة التي ميزهم<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة للوطنيين فقد كانت تعبيرا عن قمة الضعف الذي شعروا به إزاء الآلة الخيرية الاستعمارية التي استخدمها الكولون، ولكنها كانت من جهة أخرى فرصة سانحة للتقارب بين مختلف

1- عبيد المالك. "من جوارم فرنسا في الجزائر" مديح 8 ماي 1945، كندسة ومعيد لثورة أول نوفمبر 1954، الثورة الجزائرية أحداث

وتأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر - مطابع عمار قولي، بانه: الجزائر: 1994، من ص 19-20.

2- عبد الكريم والمصنفات: التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية، 1945-1954، مجلة سوت، 5، مطبعة العبد، قسنطينة.

الجزائر: 1981، ص 30.

الاقامات السياسية الجزائرية، ولهذا يمكننا التناول عن مدى إعاة وفعالية سياسة التوزيع بالإصلاحات التي اعتادها الساجات الاستعمارية بعد، الثامن ماي 1945م، ومن ذلك معرفة واستجلاء رد فعل الشعب والحركة الوطنية خاصة على دستور سبتمبر 1947 م .

إن استقراءنا للواقع السياسي شبعنا نفهم حقيقة التغيير الذي حدث، وإن نضلل دستور 20 سبتمبر 1947م<sup>(1)</sup> . بعض المواد التي تنص على المساواة بين المعمرين والجزائريين والقيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية مستعجلة<sup>(2)</sup>، فإنه لم يلق أدنى لمحاول من الطرف الجزائري<sup>(3)</sup>، لأنه كان أولا قانونا عسريا بالدرجة الأولى وثانيا لأنه تضمن مواد ألغت ما فيه من مواد أخرى ولهذا فإنه يستحق فعلا وصفت " المنسخ القانوني" الذي أضيقه عليه " فرنسيس جونسون" Francis Jhonson وزوجته كوليت Colette في كتابهما " الجزائر الخارجة عن القانون" فمثلا المادة الثانية التي تعلن حق المساواة بين جميع سكان العمالات الجزائرية دون تمييز من حيث الأصل أو الجنس أو اللغة أو الدين ؛ ومن جهة أخرى تعلن مادة أخرى على أن " مجلس الجزائر" يتكون من مائة وعشرين (120) عضوا مقسم بالتساوي بين الجزائريين والمستوطنين وهذا هو منطق المساواة بين أقلية لا تزيد عن ثمانمائة ألف (800.000) وبين أغلبية تقدر بتسعة ملايين من الجزائريين، كان فيما سبق لا يحق لهم انتخاب أو اختيار عدد النواب الذين يمثلونه في البرلمان الفرنسي أو مجلس الشيوخ<sup>(4)</sup>.

وإذا كان القانون الفرنسي قد منحهم هذا الحق أخيرا فإن الإدارة الفرنسية في الجزائر قد انتحلت، إن تزوير الانتخابات وتعيين عملائها في المجالس المنتخبة<sup>(5)</sup>.

والاستنتاج الذي يمكن أن نستخلصه من كل هذا، هو عدم فاعلية النشاط السياسي والوصول إلى باب مسدود، فلم يبق المجال مفتوحا إلا للاحتجاجات الحادة ضد هذا النظام الاستعماري والتذبذب بتعسفات الإدارة ، فغياب الحرية والتمييز العنصري والتزوير الانتخابي والقمع الوحشي أثار ضغط جماهيري<sup>(6)</sup>، تولد عنه قدرة وفوة على المواجهة التي أعدت للقيام بالثورة، ونحن إذ نذكر هذه المشاركة

<sup>(1)</sup> - كما جاء في الدستور الجزيري المادة 100 المنطلقة من جميع سكانها بدون تمييز في العنصر واللغة، جميع القوانين الاستثنائية... بضيق احتمالات زواحي واسع وبغلاء الملكية الإقطاعية... الاعتراف بالغة العربية كغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية ومنح الحرية في تدريسها... حرية ممارسة العمل الصحفي بالعميل... إلخ... من الجلسات.

André Noushi op cit p 136. حرية العبادة بالنسبة لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي فقط.

<sup>1</sup> - محمد العربي الزكري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، دار النشر الجزائرية، 1984، ص 29 - 30.

<sup>2</sup> - همان هناك المرجع السابق ص 218.

<sup>3</sup> - راجع مبحث "الجزائر قانونا جزائريا للجزائر 1947"، رسالة الأطلس، ج 128، الطبعة 35 مارس 1997، ص 11.

<sup>4</sup> - معمار بوجوش، التاريخ السياسي للجزائر من الساحة والعمارة 1962، ط 1، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1997، ص 370.

<sup>5</sup> - André Moine : Ma guerre d' Algérie , édition sociales, Paris. 1979, p23.

الجزائرية في الانتخابات فهذا لا يعني أن الحركة الوطنية قد انتهت طريقاً واحداً لتحقيق أهداف بل يمكننا أن نغير ابتداءاً من سنة 1947م، النشاط العسكري السري إلى جانب النشاط السياسي العلني -الشرعي- أما النوع الأول فهو نشاط حثيث لإعداد الثورة المسلحة ستقوم به المنظمة السرية الخاصة بأسلوب محكم وباحترام تام لعنصري الزمان والمكان<sup>(1)</sup>.

وهذا التنوع في النشاط السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أدى أحياناً إلى ظهور نفاذ اختلاف بين من يمثل هذه الاتجاهات<sup>(2)</sup> فهناك مثلاً من يرى في الانتخابات وسيلة من وسائل الدعاية والتضال السياسي، وهناك رأي معارض يعتقد بأن المشاركة في الانتخابات والإعداد لها ليس بالأمر الطيب ولهذا فهو يتطلب وقتاً طويلاً وبالتالي سيقطعهم عن التفرغ إلى الإعداد للعمل المسلح، أو أنه سيؤثر عليهم سلباً بطريقة غير مباشرة بحكم احتكاك المنتخبين بالممارسة الفرنسية، وهكذا فمسألة جوار من وطنيين ثوريين إلى سياسيين إصلاحيين<sup>(3)</sup>.

وهذا ما يسمح لنا بمعرفة البدايات الأولى لأزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية، فبعد هذه التجربة العقيمة في الانتخابات كان على الحركة أن تعقد اجتماعات تقييمية لما مضى ووضع برنامجاً لها هو أن، وهذا الغرض تم عقد اجتماع سري يومي 15/16 فيفري 1947 طرحت فيه العديد من القضايا كان أهمها: تحديد نشاط الحزب وعمله السياسي العلني وغير العلني، وأهم قرار تم اتخاذه -على ما يبدو- هو الإعلان عن ميلاد المنظمة السرية الخاصة L'OS التي حملت على عاتقها الإعداد للثورة المسلحة<sup>(4)</sup>. وكان من أهم الانعكاسات المترتبة عن هذا المؤتمر: بروز تياران متعارضان<sup>(5)</sup> تيار بزعماء أحمد مصالي الحاج وآخر تحت قيادة الدكتور الأمين دباغين<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد العربي فرجوني، المرجع السابق ص 79.

<sup>2</sup> Slimane Shikh : L'Algérie en armes. office des publications universitaires , Alger : 1981, p85.

<sup>3</sup> عبد الحلال: الحركة الوطنية بين العمل السياسي والعمل الثوري. (1945-1947)، ج 3، المجلد الوطني للمجاهد، المجلد الجزائري للمجاهد، ونشر اتحاد الجبهة، 1995، ص 82.

<sup>4</sup> عبد الحلال المرجع السابق، ص 83.

(\*) - يذكر راجح لمزيد أن قراة الدكتور الأمين دباغين بأن يملأ قيادة الحزب والعناصر الثورية هو المساند لمن خطي بما بين المناضلين الثوريين والتمسكة من العناصر المسماة بالثورية التي تعمل، بتدعيمه في قيادة حزم الشعب حين كان يسيطر سيطرة فعالة على الحزب، راجح بعيد: "العشرة الثورية"، ص 131، حقة 38، ص 11.

(\*) - حين جولة ولد بسكيكند ماضيل في تمثال إفريقيا تم في حزبي الشعب الجزائري سدوب جبهة التحرير الوطني سنة 1955، انقطع عن كل سياسي سنة 1956: شارك في توقيع بيان مع بن خدة وعيسى فرحات وخير الدين خدة فسادة ومولود، انظر غدا، سري. جبهة التحرير الوطني المستنيرة والواحد، ترجمة: كميل مافرضا، مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص 33.

ومسيرور هذا الاختلاف بصورة أكثر حدة أثناء ما يعرف بالأزمة البربرية (1948- 1949) التي تغذت من البرعة الطائفية الرجعية، وقد شجعتها السلطات الفرنسية ضمن سياسة فرق تسد. وفي سنة 1949 استقال نائبان من الحزب هما الدكتور الأمين دباغين وجمال خردور<sup>(1)</sup> وفي شهر فيفري 1952 وقع خلاف آخر حول زيارة مصالي إلى الشرق الجزائري، غير أن الخطر انحدبت تلك التي وقعت بالشلف وأستمرت عن قتل جزائريين وحرق الكثير منهم وشن حملة اعتداءات واسعة وإبعاد مصالي مرة أخرى إلى فرنسا<sup>(2)</sup>.

وبدأت القطعة تتضح ابتداء من مؤتمر أبريل 1953 بشأن عدة قضايا أهمها تلك التي تتعلق بتحديد صلاحيات رئيس الحزب وأعيين أعضاء القيادة، وحول هذا وجه مصالي مذكرة في سبتمبر 1953 وهو في المنفى بفرنسا للجنة المركزية ينتقد فيها "السياسة الإصلاحية للقيادة" ويعلن عن سحب ثقته من الأمين العام ويتمسك بالسلطات المنبقة في يده، وكان الرفض هو رد اللجنة المركزية<sup>(3)</sup>.

وهكذا بدأت الأزمة تنقل من القمة إلى القاعدة سنة 1954م، حيث سيرز في الساحة نيار ثالث وهو فئة من المناضلين الشباب، الذين لازموا الحياء وامتنعوا عن الانضمام إلى أي طرف من الطرفين لافتناعهم التوحيد، بأن علاج كل المشاكل التي يتخبط فيها الحزب، والحركة الوطنية عموما هو التوحيد بإعلان الثورة، فلماذا لا تستمر هذه الطاقات المهدورة فيما ينفع البلاد والعباد؟ ولماذا لا توجه هذه الاصطدامات العنيفة والمواجهات الشرسة نحو العدو؟.

وتجدر الإشارة إلى أن أزمة الحركة لم تمس فروع الحزب في عمالة قسنطينة التي لم نصمم لأي جهة من الجهتين المتناحرتين، أما في القبائل والعاصمة التي يوجد فيهما مسؤولون مثل: كريم بلقاسم<sup>(4)</sup> أو عمر أو عمران فقد كانت لهم علاقات مع الجهتين دون تعهد أو التزام حقيقي<sup>(5)</sup>.

1 - Ferhat Abbas : guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, édition julliard, Paris.

1960, p213.

<sup>(1)</sup> محمد قذافي والبربري، الثوارنة السياسية 1900-1954، التطور الإصلاحي والطرفي للثوارنة، ترجمة عبد الشاهر من حركات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 100، 111.

<sup>(2)</sup> محمد بوشناق، قصير فادح نوفمبر 1954، "مستطفي بن بولعد والثورة الجزائرية" مرجع سابق، ص 852.

<sup>(3)</sup> - كريم بلقاسم (1922- 1970) : أحد اجداد أبرز قادة الثورة التحريرية الجزائرية وواحد من التسعة ولد في غزوغ الشراة ولاية تلمسان وزوج، تحصل على الشهادة الابتدائية ولم يسمح له بدخول المرحلة الإعدادية سنة 1945 انضم إلى حزب "الهدى" الجزائري حركلة لتحرير الخريجات التابعة له سنة 1946، مسؤول في الحزب إبان كل سطوة القبائل سنة 1949، حائل عشار الثورة قبله التسع سنوات. والده من ومن ذلك الشبر الكبير الذي قدم خلال مؤتمر الصومام، أصبح وزير الشؤون المسجلة في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية، اعتيل بعد الاستقلال بأواخر سنة 1970

4 - Ahmed Mehsas : le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'haramattan, Paris, p p 307-308.

وإن حسنت الأزمة حل مشاكل الحزب بقرار البدء في العمل المسلح، فإنها من جهة أخرى أعاقت مشاريع الإعداد لانطلاق الثورة خاصة في مجال تقييد الرجال وتنظيمهم وشراء الأسلحة مثل إحياء خطط للحصول على أسلحة حربية من "التمامة" وإجهاض محاولة للاتصال بالفرنسان المساهمين<sup>(1)</sup> الجزائريين الذين كانوا يتمررون في عنشلة<sup>(2)</sup>.

وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة بقي "فرونسوا ميترون" fransoia métiron وزير الداخلية الفرنسي خطابا في الجزائر يوم 19 أكتوبر 1954م/ مما جاء فيه: "إن الجزائر هي في واحة مزدحمة الفرنسي الواسع، وهي قطب الرحى، ومركز قوتنا عن فرنسا بالجزائر وبفصل الجزائر والجزائر بفرنسا<sup>(2)</sup>".

هكذا كانت فرنسا تظمن إلى وضعها بالجزائر وتنفس الضغوط وتظمن على حد تعبير فرانسوا ميترون، فهل كانت حققة في ذلك؟ أم أن الأحداث ستجاوز هذه التصريحات؟

وعلاوة القول أن الأوضاع السياسية في الجزائر قد مهدت بطريقة أو بأخرى لقيام الثورة التحريرية المسلحة فأزمة أقدم حزب في الحركة الوطنية صاحب الاتجاه الاستقلالي، جعلت هذه الأخيرة واقعة بين فكي كماشة، بين سياسة الاحتلال التي تميزت بتجاهل كبير لأبسط حقوق الشعب الجزائري ونصيب الخناق على كل التيارات السياسية الوطنية، وبالتالي إغتيال كل الأساليب والوسائل التي اعتمدها من أجل إفتكك حقوقها، ومن جهة أخرى حدوث تلك الأزمة التي عصفت بأوصال الحزب وبدأت تنقل من القمة إلى القاعدة الأمر الذي جعل سلطات الاحتلال تبشر وقيل بل وتظمن لتلك الأوضاع المسائدة في الجزائر، ولم يكن المخرج من تلك الوضعية الحرجة التي آلت إليها الحركة الوطنية الاستقلالية إلا القيام بالثورة ضد المتسببين فيها، لأن العدو الأول والوحيد- كما جاء في بيان أول نوفمبر هو المحتل الفرنسي الذي وقف موقف المشجع والمفرج في آن واحد.

#### المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:

تتمتع الجزائر بثرواتها الطبيعية شأها في ذلك شأن بلاد المغرب الكبير، ونظرا لامتداد مساحتها الشاسعة ساعدت بيئتها الطبيعية وتعددت مواردها الأولية فكانت مقصدا للتجارة حيث مهدت سواحلها بناء مراكز اقتصادية هامة، أما الصحراء فلم تكن أقل أهمية عن المراحل كونه البوابة المؤدية إلى أواسط إفريقيا، ولذا كانت معبرا للنفوذ التجاري المحصلة بالعديد من المواد التجارية.

(1) - "الفرنسان المساهمين" الفرنسيون المساهمين أو المستعدين لهم إحياء الذين كانت تستخدم فرنسا.

1 - عبد الحفيظ خماري وسماء الجسلي: المرجع السابق، ص 91.

2 - Le journal d'Algérie, octobre, 1954.



ونكمن الأهمية الإستراتيجية للجزائر من الناحية الاقتصادية أساسا، في موقعها المتميز فهي مفتوحة على القارات الثلاث إفريقيا آسيا وأوروبا، وإشرافها على أهم مسطح مائي يتوسط قنب العالم وهو البحر المتوسط مما جعلها دائما مقصدا لكل عين ظامئة ولكل يد ترغب في امتلاك ما ليس لها.

وقد عرفت الجزائر في العصور الحديثة نشاطا اقتصاديا متعدد الموارد، حيث تميرت بوجود زراعة منظورة وإنتاج صناعي متنوع ومشاط في التجارة البحرية والبرية، وقد استطاعت تكوين العديد من البلدان بالحبوب والمنتجات الأخرى<sup>(1)</sup>، لاسيما الدول الأوروبية التي شهدت أزمات اقتصادية حادة<sup>(2)</sup> مثل فرنسا نفسها.

وإذا كان هذا حال الجزائر قبل احتلالها، فكيف أصبحت أوضاعها الاقتصادية في ظل الوجود الفرنسي؟ وما مدى مساهمة سلطات الاحتلال في تلك الأوضاع؟

مما لا شك فيه أن الدوافع الأساسية للحد الاستعماري إلى ما وراء البحار، هو افتقار الدول الأوروبية الحديثة إلى المواد الأولية وتوفرها في البلدان الإفريقية والآسيوية والعالم الجديد، علاوة على توفر اليد العاملة الرخيصة بهذه القارات، التي قد تساهم في تطوير النهضة الصناعية التي عرفتها الرأسمالية الغربية. وانطلاقا من هذا التحليل التاريخي المادي نوافع الاستعمار وطبيعته ومصمونه الحقيقي، يمكن توقع الحالة التي سيؤول إليها الاقتصاد الجزائري، وفي المقابل القوة والتقدم اللتان سيحررهما الطرف الآخر (فرنسا) عنى حساب المستعمرات وخاصة منها الجزائر.

إن أول خطوة شرعت فيها الإدارة الاستعمارية هي انتزاع الأراضي ومصادرتها وتركيزها في قبضة طغمة من الاستعماريين، حيث بدأ الاستعمار والاستغلال بأراضي البابلوك والوقف، وبعدها شرعت السلطات الفرنسية في سن العديد من القوانين الجائرة حتى تسهل عملية الاستيلاء على الأراضي ذات الملكية الجماعية مثل أملاك العرش وأملاك القبائل<sup>(2)</sup>، ونتج عن ذلك تفاوتات هائل بين الملاك الأوروبيين والملاك الجزائريين، فبينما كان خمسة وعشرون ألف (25000) مسنوط من أصل ثمانمائة ألف (800.000) يملكون 2750000 هكتار من أحسن الأراضي الخصبة فقد كان من الجزائر 532000 لا يملكون سوى 7672000 هكتار وبمعدل الثلث (1/3) منها فقط منتجة، أما الثلثين (2/3) منها فهي

<sup>1</sup> - مصطفى طاهر وسمام العملي، المرجع السابق، ص 48

<sup>2</sup> - مذكرات الجزر في فرنسا كما قال الشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

وجاءت فرنسا... فكانت كرمنا  
فأفترسهم ففسدما القدر - - -  
وكننا نطعم الطعام  
وكنم نطعم مصائد النمل

المفدي مقلد زكريا، بإيادته آخر تم 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1992، ص 53.

<sup>3</sup> - خسار لسان، المرجع السابق، ص 66

معتبرة كأملاك عامة تخضع لتصرف الإدارة الاستعمارية<sup>(1)</sup>، وقد أشارت الإحصائيات قبل سنة 1954 أن نسبة ملكية الأرض الصالحة للزراعة هي مائة ونسعة (109) هكتارات للأوروبي وأربعة عشرة (14) هكتار فقط للجزائريين<sup>(2)</sup>.

ويتضح الأمر بصورة أكثر خطورة عندما نعرف أن الأراضي تنتج أساسا لمصالح تجارية معدة للتصدير وليس للزراعة المعاشية مثل الحمضيات، التبغ، الكروم، وخاصة هذه الأخيرة واستنادا إلى ما ورد من إحصاءات مثل إحصاء 1935م، فقد تم إنتاج 82318000 هكتولتر من الخمور صدرت منها (4/5) إلى الخارج وبلغت قيمة صادراتها مائة وأربعين مليون (140.000000) فرنك<sup>(3)</sup>، وخلال الفترة الممتدة بين 1954م و1958م تم إنتاج ما يعادل سبعة عشرة مليون هكتولتر من الخمور، وكان المستفيدون الوحيدون من هذا المنتج هم المستعمرون وحدهم وعاملوا مؤسسات النقل البحري، وفي المقابل أصبحت سوق الحبوب وباقي المزروعات فقيرة، مما جعل الجزائريين يعيشون في ظيق حائل ومجاعات.

ولكي نتضح الرؤية أكثر عن هذه الوضعية يمكن الإشارة إلى أنه في سنة 1871م، قدر استهلاك كل جزائري من الحبوب بـ خمسة (5) قناطر سنويا ثم انخفض استهلاكه من هذه المادة الأساسية سنة 1940م إلى قنطارين ونصف (2.5) أو أقل<sup>(4)</sup>، وهذا ما يؤكد التدهور المستمر في التغذية عند المسلمين الجزائريين حيث انخفض خلال سبعة عقود إلى أقل من النصف وذلك من خلال سياسة التحويل التي اعتمدها المحتل الفرنسي.

وقد كانت الزراعة طوال المرحلة الكولونيالية مقسمة إلى قطاعين: القطاع الحديث وهو ذلك الخاص بالمستوطنين، وقد استخدمت فيه الوسائل الحديثة كالجرارات والمحاصيل والأسمدة والري الاصطناعي وبناء السدود ونحو ذلك من الآلات والوسائل المختلفة، بالإضافة إلى اعتماد مساحات شاسعة منه على الري.

أما القطاع الثاني فهو القطاع التقليدي الذي كان موكا للأهالي المسلمين وهو قطاع ظل يعتمد على الوسائل التقليدية كالأغوات الخشبي الذي تجره الحيوانات، وعلى انحصار اليدوي بالمنحدر بالإضافة إلى انحصار أراضي في المناطق الجبلية القليلة الإنتاج والبعيدة عن مصادر مياه الري، وغياب الأسمدة الاصطناعية

<sup>1</sup> عبد بوجعفر، المرجع السابق ص 372.

<sup>2</sup> راجع تركي، المرجع السابق ص 87.

<sup>3</sup> مصطفى صلاس وبسام العسلي، المرجع السابق ص 49.

<sup>4</sup> André moine, opcit. p18.

كالفوسفات والبوتاسيوم، ونحو ذلك من المواد والخدمات الزراعية التي تضاعف الإنتاج وتحمس ظروف معيشة الفلاح الجزائري.

وعلى الرغم من أن الجزائر تحتوي على احتياطي هام من الفوسفات كان يتم استخراجها من مناجم الكويف، فإنه ظل يتوضع لتصرف المؤسسات الفرنسية المتواجدة بفسادية والتي تعذر معظم إنتاجها<sup>(1)</sup>.

وبما كان الفلاحون الجزائريون يمتثلون لأراضي شاسعة أصبحوا لا يملكون إلا مساحات قليلة متناثرة في أماكن متباعدة، في حين أصبح بعضهم يعمل في مزارع المعمرين كخماسين أو ثلاثين، وهناك من أصبح عاملا أجير عند المعمرين بعد أن فقد أرضه وتجرع عن خدمتها بسبب الضرائب الباهظة والركس والقوانين الجحفة التي طبقتها فرنسا عليهم، وهناك من أصبحوا بطلان معدومي الملكية بعد أن عوشت الآلة الواحدة للحراث والحصاد المجهود الذي كان يبذله هؤلاء العمال، إذ يجد الباحث في هذا الموضوع أن الحاصدة الوحيدة قد عوصت أكثر من مائة فلاح أو عامل كان يعتمد بالمنجمل البدوي.

وخلال الحرب الكونية الثانية وفقت الجزائر في أزمة اقتصادية خانقة تسببت في مجاعة قاتلة بالأرياف حيث انخفض إنتاج الحبوب من عشرين مليون قنطار في سنة 1941م، إلى عشرة ملايين قنطار سنة 1944م، وإلى 3600000 قنطار سنة 1945، وتراجعت قطعان الغنم من 6400000 رأس سنة 1939م، إلى 2800000 رأس فقط سنة 1946م، وارتفع سعر قنطار القمح الصلب من 800 فرنك إلى 2000 و3000 فرنك<sup>(2)</sup>، وقد أدى هذا التدهور في الموارد الاقتصادية إلى سوء التغذية لدى الجزائريين، مما أدى إلى انتشار الأوبئة الفتاكة وظهور السوق السوداء المخفية والمضاربة في المواد الغذائية، مما كان يؤدي بحياة مئات الآلاف من الأهالي الجزائريين، وفي هذه الوضعية البائسة للشعب الجزائري حدثت مظاهرات ماي 1945م.

أما مساحات الأراضي فقد اختلفت بين وحدات كبرى ووحدات متوسطة وصغرى، وإذا عرفنا أن المساحات الكبرى كانت ميزة ملكية الأوروبيين والتي تمثل أكثر من 70% من أنواع الملكية لديهم، فإن الوحدات المتوسطة والصغرى تمثل ملكية الأهالي المسلمين الجزائريين التي كانت منفردة ومتباعدة - كما سلف الذكر -.

أما الوحدات الكبرى فلم يكن نصيب الجزائريين منها إلا بنسبة 2% من المجموع العام في حين كان نصيبه في الوحدات الصغرى يصل إلى نسبة 60%<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> Ibid, p18

<sup>(2)</sup> ساهون، مطبوعات المراجع السابق، ص 189.

<sup>(3)</sup> مصطفى خلائع وساهون، المراجع السابق، ص 50.

وفي ظل هذه الظروف يتساءل الباحث عن وصية الفلاحين الجزائريين عشية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، لأنها تعتبر مآلة لذلك الوضع الاقتصادي الصعب، ففي سنة 1954م، بلغ عددهم حوالي 6500000 فلاح ولا يتجاوز معدل دخلهم السنوي 180 دينار للفرد الواحد في الوقت الذي كان فيه معدل دخل الفرد الأوروبي في السنة نفسها قد بلغ 3600 دج (أي 360000 فرنك فرنسي قديم)، وهو رقم يفوق قليلا معدل دخل الفرد في فرنسا<sup>(1)</sup>، هذه الفجوة العريضة بين الشعب الجزائري ظلت تعيش تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والظلم طوال الحقبة الاستعمارية كلها إلى غاية 1954م. وانطلاقا من هذه الأوضاع المزرية كيف يمكن للمرء أن يتصور شعبا عاش هذه الحقبة الطويلة كلها ويبقى مكتوف الأيدي أمام شريحة ثورية تدعوه إلى الانفضاض على الوضع القائم والانضمام إلى ثورة عارمة تذهب من ربة العبودية وبرائين الاحتلال؟.

أما قطاعا الصناعة والخدمات، فإن الفرق بين دخل الفرد الجزائري والأوروبي، فقد كان شاسعا فمعدل الأجر السنوي الأوروبي في القطاعين كان 6000 دينار (أي 600000 فرنك فرنسي قديم) وبالنسبة للعامل الجزائري 1500 دينار (أي 150000 فرنك فرنسي قديم) فقط<sup>(2)</sup>، وبذلك يتضح المستوى الحقيقي للجزائريين في معيشتهم ودخلهم، وتبرز الصورة الحقيقية بكل أبعادها، فالمستعمر جعل من الجزائر مصدرا للمواد الأولية وسوقا لتصريف السلع الفرنسية، وجعل من الشعب الجزائري فريسة للاستغلال المظلم لمواد وقواعد لصالح الإقطاع الفرنسي المحلي والاحتكار الباريسي.

وبالنسبة للقروض المقدمة لتدعيم الصناعات الخفيفة فإن الإحصاءات سنة 1954م، تؤكد أن 92 % من القروض ذهبت للمؤسسات الصناعية الأوروبية البالغ عددها خمسة وستين ألف (65000)<sup>(3)</sup>، بينما المؤسسات الجزائرية فلم تكن تخطي إلا بنسبة ضئيلة من إجمالي القروض، وعلاوة على ذلك عليس للجزائريين هيئة تمثلهم في المجالس الإدارية للمؤسسات الاستعمارية فبالإضافة إلى الفوائد التي كانت تجنيها فرنسا من وراء ذلك<sup>(4)</sup>، وغنى الجزائر بالمعادن المختلفة وبطاقة إيجابية غير محدودة، فإن هدفها هو تدمير البنية الاقتصادية التحتية حتى تجعل من هذا الشعب آلة في يدها بالنظر للمشاكل التي تعيط به من كل جانب، وإن قامت ببعض المآثرات كما طرق السكك الحديدية وبناء السدود وإقامة المراكز الكهربائية والمدن الحديثة... إلخ، فإن ذلك لم يكن إلا لخدمة مصالح المستوطنين والدولة الفرنسية واستغلال إمكانات وعبوات الجزائر. وعلى سبيل المثال فإن المعادن المستخرجة كانت

<sup>1</sup> - جمال قنان، مرجع السابق، ص 210.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 211.

<sup>3</sup> - صبار بوحوض، المرجع السابق، ص 373.

<sup>4</sup> - André moine, opcit, p18

أحد أهم كثرها إلى فرنسا على شكل مواد تجارية والإحصائيات الرسمية للصادرات سنة 1953 م. والنسبة في هذا الجدول كالتالي: هذا الجدول

المعدن	الإنتاج	التصدير
الفضة	3 322 000 طن	3 031 000 طن
الرصاص	11 800 طن	9 100 طن
القصدير	702 600 طن	562 000 طن
الزئبق	295 000 طن	9 000 طن

وبالحقيقة فإن الإنتاج في الجزائر قد ارتفع إلى حدود أعلى من حيث الكميات على بعض الفروع للمصانع الرسمية الصغيرة، أو لبعض المصانع التجارية قصد تصفية المعادن من الأثربة والمواد العائقة بها. أما المصانع التقليدية اليدوية التي كانت مزدهرة قبل الوجود الاستعماري، فقد انحلت، بسبب فتح أبواب الاستيراد لمصحات مصنعية على نطاق واسع، وبما أن تعرضها المنافسة حادة في ظل غياب أدنى دعم. فلما لم تكن الصناعة تحصل إلا نسبة ضئيلة من اليد العاملة الأهلية حوالي 7% (١) وهذا ما جعل الإنتاج يراعى بالدرجة الأولى.

أما المصانع التجارية، فلم تكن إلا لادارة لخصوص تلك المواد ذات القيمة العالية التي كانت تدرجها لما قبل البضائع مثلا. كما يقتصر على التوزيع الفرنسي، والأعداد المحدودة مع فرنسا. ومن بين الخرافات الشائعة عن العالم وبمجرد أي منافسة أجنبية. فإن فرنسا وحدها تمتلك 78% من صادرات الجزائر. الحقيقة أن نسبة الصادرات في منتجات زراعية ومنتجات زراعية، وقد تم زيارتها 80% من المواد مصنعة. والساهي عبارة عن مواد غذائية مثل: الفهوق، الشاي، والسكر... الخ. وتوضح الإحصائيات الرسمية لسنة 1953 م. طبيعة هذا التبادل في الصادرات الجزائرية كانت تقوم بتصنيفها كالتالي:

المجموع	الصادرات	الواردات
191.671.6 طن	617.665.2 طن	
820.138 مليون فرنك فرنسي	694.202 مليون فرنك فرنسي	

وبذلك عامل اقتصادي مهم جعل التبادل أكثر بالخارج كجزء لا يتجزأ من التبادل الفرنسي حسب رغبتهم. ألا وهو التبادل البشري. فالمصحات الجزائرية في نهاية الأربعينات من القرن العشرين

(١) يقتصر الإنتاج في الجزائر على ما يلي: ٥١

(٢) مقتصر الإنتاج في الجزائر على ما يلي: ٥١

(٣) الإنتاج في الجزائر: ٥١ ٥٢

وعلى الرغم من أن عمليات التفتيش في مرحلة ما قبل الثورة كانت جبرية، إلا أن الأبحاث أكدت أن الإنتاج السنوي سيصل إلى ثلاثة عشر مليون (13.000.000) طن عام 1960م، ليرتفع سنة 1970م إلى خمسة وعشرين مليون (25.000.000) طن<sup>1</sup>.

إضافة إلى أهمية البترول كثروة حيوية في الاقتصاد الفرنسي، الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر وقربها أكثر من أوروبا وخاصة فرنسا، علمنا لماذا كان تثبت فرنسا بالجزائر شديداً، وبالتالي نذكر أن تحقيق الاستقلال لن يكون إلا بالقوة أي العمل المسلح، فالجزائر ظلت مركز القوة بالنسبة للاقتصاد الفرنسي مما كانت تقدمه من موارد طبيعية ضخمة وزراعية متنوعة دون مقابل، وأيدي عاملة رخيصة سحرت لخدمة الإقطاع الزراعي الواسع والمؤسسات الصناعية للمستوطنين بالجزائر، بل واستغلال طاقات الأهالي الجزائريين على الأراضي الفرنسية نفسها، ولهذا فإن اقتصاد الجزائر ظل ينهار تاريخياً بصورة مستمرة أمام تطور رؤوس الأموال الأجنبية، فتركزت أموال ضخمة في أيدي طبقة فرنسية برجوازية شملت بكل الامتيازات والحقوق، في حين بقي الأهالي المسلمون -الذين اعتبروا مواطنون من الدرجة الثانية- مطالبين بأداء العديد من الواجبات التي لا تنتهي.

وفي هذه الظروف كانت بداية التحضير لاندلاع الفاتح من نوفمبر 1954م. فهل يمكن القول أن هذه الظروف كانت من أكبر العقبات التي استوجب على النظام السياسي والعسكري للثورة اجتيازها طيلة سنوات الثورة؟.

### المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:

لا بد من التفرع بشئ في هذا المبحث لمعرفة بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري قبيل اندلاع الثورة التحريرية ولو بإيجاز، ومن ثمة يمكننا تحديد العلاقة بين الشعب والثورة؛ فهل الشعب هو الذي قام بالثورة؟ أم أن الثورة هي التي جرت الشعب واحتلته إليها في إطار حركة تاريخية وتفاعل بين القوتين؟، قوة الثورة وقوة الشعب، وبالتالي تحديد مجريات الأحداث زمانياً ومكانياً وإيديولوجياً.

من المعلوم تاريخياً أن الجزائر جمعت على أديمها منذ 1830م حتى 1962م، أقواماً بشرية متعددة الجنسيات واللغات، وهي من حثالة المجتمعات الأوروبية، تمثلت في التمسولين والمشردين والمغامرين والمجرمين والسخرة عنهم بالسجن المؤبد والإعدام وغير المرغوب ببقائهم خوفاً في إحدى الأرياف أو المدن الأوروبية، الأمر الذي تسبب في تشكيل مجموعة بشرية متميزة عن الشعبي الجزائري والجنل الفرنسي معا وهم عبارة عن مركب من العقد النفسية والزراعات السياسية والمنطام الاقتصادية والمذهبية والأحقاد

<sup>1</sup> مصطفى فلاس، ديسام نفسي: المراجع السابق، ص 52.

البشرية، "تدفع بينهم خصائص مشتركة مثل: الأنانية، الحقد، الكراهية، البغضاء... ضد مجموعة أو جنس لا ينتمي إلى مجموعتهم، وقد كان هدفهم المقدس هو جمع الثروة وتكوين طبقة ممتازة من الأساد لتحكم في الجزائريين والفرنسيين معاً، وكان أول ما قاموا به من بداية الاحتلال هو الاستيلاء على الأراضي الخصبة ليتحولوا بعد فترة زمنية إلى إقطاعيين كبار في الريف ورأسماليين احتكاريين في المدن، وهذا أحد الكتاب الفرنسيين يصف حالهم بإحدى المدن الجزائرية بقوله: "المهاجرون الفرنسيون الذين جاؤوا إلى مدينة الجلفة قدموا إليها في مشاهد لا يمكن نسيانها، أطفال في حرق بالية، وأقدام حافية في ذلك البرد القارس بعضهم يبيع الفطائر، والبعض الآخر يتسول..."<sup>(١)</sup> هكذا إذن حال الأوروبيين الذين جاؤوا لتشر الحضارة.

وهذا أحد كبار الضباط الفرنسيين الذين قادوا عملية الغزو سنة 1830م يصف الوجه الحقيقي لرسالة التمددين التي جاءت بها فرنسا؟ فيقول: "ولما كان هدفهم - أي الجزائريون - غير ممكن فحسب أن نحشدهم بعيداً مثل الحيوانات الموحشة التي لا يتجاوز المساكن الأهلة يجب أن يتعدوا إلى أعماق التجمعات حتى يتركوا الطريق لمنشآتنا العصرية ويرمى بهم إلى الأبد في أقاصي الرمال"<sup>(٢)</sup>.

وأصبح المجتمع الجزائري يعيش في معاناة كبيرة عميقة، وغدت البطالة والفقر والحجرة إحدى الظواهر الاجتماعية البارزة، وقد بينت إحدى الدراسات الاجتماعية أن حوالي سبعة ملايين جزائري يعيش تحت مستوى خط الفقر، حسب تقرير منظمة اليونسكو<sup>(٣)</sup>، في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين. في الوقت الذي كانت فيه طبقة برجوازية أوروبية منخمة، وقد انتضحت هذه الفروقات الكبيرة من خلال الدخل الفردي بين المسلم الأهلي والمستوطن الأوروبي، ولكن المشكل الحقيق يتجلى في من ليس لهم عمل قار - أعني البطالة المقنعة - لدرجة أن الجزائري الذي يعمل هو بالتأكيد صاحب امتيازات خاصة أو هو من المخطوطين، وهناك إحصائيات تؤكد وجود مليون عاطل ريثي عن العمل عام 1954م، ولم تسجل هذه الإحصائيات سوى 12000 عامل زراعي دائم، يعملون مائة وثمانين (180) يوماً في السنة على الأقل، أما البطالة المقنعة فقد كانت هي الأخرى موجودة وبأعداد معتبرة وهي تستغل في المستعدين غير الدائمين أو بالأحرى للعمال الزراعيين الموسميون الذين يشتغلون ثلاثة أشهر في السنة في أحسن الظروف<sup>(٤)</sup>، وقد قلر عددهم ما بين 650.000 إلى 750.000<sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> André moine, opcit. p19.

<sup>٢</sup> محمد الصالح المصطفى: التمدد الفرنسي، ص 21.

<sup>٣</sup> - André moine, opcit. p19.

<sup>٤</sup> جمال شنان: تاريخ التمدد، ص 211.

<sup>٥</sup> أنور روبرج: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عطشور، ط ١، مسووات عرويات، بيروت، 1982، ص 132.

أما المناصب العليا فقد كانت حكرًا على الأوروبيين وحدهم، بينما لم يصل الجزائريين إلا لموظائف التي تأتي في أدنى سلم الخدمات مثلاً: عمال السكة الحديدية، حراس لقطعات المعمرين. عمال الخاجر والمناجم... الخ.

أما النساء فلم يكن لهن نصيب من العمل إلا كخدمات في بيوت الأوروبيين بالمدينة أو في ضيعات المستوطنين بالريف، وكان الفرنسيون ينادونهم باسم "فاضة"<sup>(1)</sup>، هو نسبة إلى السيدة فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم. كما ينادون الرجل باسم محمد نسبة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن المعنى قد حُرف بمرور الزمن طبقاً للخدمات التي كانت تقوم بها المرأة الجزائرية لدى المعمرين.

والحق أنه لم يصل إلى مناصب في المؤسسات العامة سوى القليل النادر ممن كانت لهم علاقة خاصة بإدارة الاحتلال، أما الأغلبية الساحقة من الجزائريين القادرين على العمل فقد كانوا يشتغلون في الأعمال الحرة<sup>(2)</sup> وهي أعمال بسيطة لا تزيد في أغلب الأحيان عن سد رمق العيش.

وإذا كانت هذه هي وضعية الرجال والنساء الأهالي المسلمين، فقد كان أطفال الأهالي انتمى الأكثر قهراً في المجتمع، حيث كان عملهم محصوراً في مسح الأحذية أو بيع الخرائد في المدن، بينما كانوا يعملون رعاة للمواشي لدى المعمرين أو لدى بعض الجزائريين المخصوصين في الأرياف.

إن هذه الملحة السريعة عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأهالي المسلمين في الجزائر إبان المرحلة الكولونيالية، يوضح جلياً مستواهم السكاني والصحي، حيث يلاحظ الانتشار المذهل للأحياء القصديرية على هامش المدن، ففي قسنطينة مثلاً مازالت معالم أكثر الأحياء القصديرية ماثلة للعيان إلى مطلع الألفية الثالثة ويوضح ذلك "خط المؤس" *le trait mésirable* الذي تمتد من حي باردو إلى حي الصنوبر (حي الشالي *chalet*) حيث تسود الأكواخ القصديرية.

أما مدينة الجزائر وحدها فقد كان يحيط بها ما لا يقل عن ثمانية (8) أحياء قصديرية بمعدل سكان كل حي منها لا يقل عن خمسة آلاف (5000) نسمة، والأكواخ المنتشرة بشكل عشوائي متشيدة من الأكواخ القصديرية تتراوح مساحات كل كوخ ما بين عشرة متر مربع (10م<sup>2</sup>) إلى خمسة عشرة متر مربع (15م<sup>2</sup>)، ويضم كل كوخ ما لا يقل عن أربعة أو خمسة أشخاص، ولا يوجد هذه الأحياء أدنى المرافق الصحية مثل المياه ودورات ومخارج المياه وقنوات الصرف أو الكهرباء أو مكان مخصص لوضع القمامة<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> André moine, opcit, p19.

<sup>(2)</sup> - Loc, cit

<sup>(3)</sup> - بلال فتاح، نزع السنين، ص 212



هذا في المدن أما في الأرياف فالوضعية أسوأ كون الأكواخ تشيد من الطين وتسقف بمزيج من القش والطين<sup>(1)</sup>، أو بالنضج وحده (الديس أو التين)، وتؤدي عادة أكثر من عشرة (10) أفراد لوجود نظام العائلة الكبرى، وكثيرا ما تسقط هذه الأكواخ على رؤوس أصحابها في موسم الشتاء الممطر، ولا سيما عند تساقط الثلوج أو هبوب الرياح والعواصف العاتية، أما في فصل الصيف فغالبا ما تتعرض هذه الأكواخ إلى الاحتراق لأسباب كثيرة.

وفي هذه الظروف كيف يمكن للمرأة أن يتصور أو يتوقع الحالة الصحية للأهالي المسلمين تبعاً لسوء التغذية من جهة ولسوء المسكن من جهة أخرى؟

ويمكن الاستشهاد فيما ذهبنا إليه بلغة الأرقام على النحو الآتي:

أولاً: انخفاض معدل الاستهلاك للفرد الجزائري من الحبوب من خمسة (5) قناطر عام 1870 إلى أربعة (4) قناطر عام 1900 إلى قنطارين ونصف (2.5) عام 1940 ثم إلى قنطارين (2) فقط عند بداية الخمسينات.

ثانياً: انخفاض استهلاك اللحوم بانخفاض عدد المواشي، وكل ذلك تسبب في ظهور الأوبئة والأمراض الفتاكَة وأحضرها مرض السل الذي انتشر بصورة مذهلة غذاء الحرب الكونية الثانية وقد حصد أرواح الآلاف من الجزائريين سنوياً<sup>(2)</sup>.

كما تدل ظاهرة اجتماعية أخرى لا تقل أهمية عما سبقت الإشارة إليه ألا وهي التزايد الديمغرافي الهائل، فبعد أن كان عدد الجزائريين سنة 1926: 5.150.800 نسمة ارتفع سنة 1936 إلى: 6.201.100 نسمة، ووصل سنة 1954 إلى: 8.745.000 نسمة<sup>(3)</sup>، على الرغم من أن الحياة كانت نائسة كما مر بنا. ومن هنا يلاحظ المرء أنه بعد استرجاع السيادة الوطنية، أصبح الشعب الجزائري من أكثر الشعوب الفاقة في العالم، ولعل هذا ما يفسر جانب من جوانب قوة الثورة الجزائرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد سجلت في هذه المرحلة سلسلة من الصراعات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري إلى خارج الحدود الوطنية، ففي الجناح الغربي من البلاد توجه العديد من العائلات النلمسانية والمعسكرية إلى المغرب الأقصى منذ سنة 1932م، فيما توجهت بعض القبائل من تواجي سطيف وبرج بوعريش خاصة نحو تونس وسوريا منذ بداية 1937<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر هناك: المرجع السابق، ص 212.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 213.

<sup>3</sup> - دمار وحوش، المرجع السابق، ص 371.

<sup>4</sup> - انظر في صراحي ومبعوثا، قد تقرأ: المرجع السابق، ص 50.

أما نحو أوروبا فقد ارتفعت المحجرة الجزائرية بشكل كبير خلال الفترة الممتدة من سنة 1947 إلى سنة 1954 وخاصة نحو فرنسا، حيث وصل عدد الذين اختاروا الاستمرار بها سنة 1947 ختار عن لقمة العيش إلى 44900 مهاجر يقفز هذا العدد سنة 1954 إلى 120642<sup>(١)</sup> منهاجر<sup>(٢)</sup>.

أما فيما يتعلق بالمجرة الداخلية من الريف إلى المدينة - وإن كانت مسكنا إلى جيل - فقد ارتفعت هي الأخرى بشكل مذهل حيث انتقل عدد سكان المدن المسلمين من 722000 عام 1936 إلى حوالي 1600000 عام 1954، وتكدسوا في الأحياء القصديرية حتى لم يعودوا قادرين على إيجاد أي عمل لسد رمى الحياة<sup>(٣)</sup>.

وباستقرارنا للأوضاع السائدة يمكننا الوقوف على أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية التي هي في الواقع لا تخرج عن إطار السياسة الفرنسية بما طبقته من تعسف واغتصاب للأراضي وإفلاس للقطاع الصناعي الخبيث أمام المنافسة الأوروبية، والقهر السياسي للأهالي المسلمين طبقا للقوانين المنظمة للمجتمع الكولونيالي في الجزائر آنذاك مثل قانون الأهالي indigène وحيف البلديات المختلطة commune mixte والبلديات الأهلية commune indigène الرادعة وقانون الحجز الإداري والتجنيد الإحصائي والمحاكم الاستثنائية<sup>(٤)</sup>، وتطبيق قاعدة معاقبة الجار بجريرة جاره كقانون الغايات ونحو ذلك من القوانين التعسفية الأخرى.

وفي هذا يقول الشيخ البشير الإبراهيمي (1889-1965)<sup>(٥)</sup>: "أيها الإخوة الجزائريون الأنطاك: لم نبق لكم فرسا شيئا تخافون عليه، أو تداروفا لأجنه، ولم يبق لكم حيطا من الأمل تتعقون به، الخافون

<sup>(١)</sup> - حاور أناب، المرجع السابق، ص 211.

<sup>(٢)</sup> - شارل روبرت جبروت، المرجع السابق، ص 136.

<sup>(٣)</sup> - المحاكم الاستثنائية: حسب قانون المحاكم الاستثنائية يوم 26 مارس 1902 والمقصود به هو تلك الهيئات القضائية العسكرية التي كان يولد بها لم توجد محاكم أو محاكم عسكرية تلتص بمحاكمة أفراد القوات المسلحة، ولكن الغريب والأدهى في الأمر أن بعض هذه المحاكم والقوانين على الحقيقة، المقام واعتبارها الطرف الذي يعل والأمر، والقيام العام للعيش والدولة، مثلما حدث مع الأهالي الجزائريين indigènes الذين اعتبروا مواطنين من الدرجة الثالثة لا يتمتعون بأدنى الحقوق، وإن هم وحدهم احتلوا المحاكم العسكرية ضمن نظام البلديات الأهلية بالمعنى، وقد تم تطبيق المحاكم العسكرية أيضا على جميع البلديات المختلطة التي تنقسم إلى قسمين قسم مدني يخلق الشرفين البلدية غير جردة وأما في باريس على المستوطنين وقسم آخر عسكري يطبق القوانين العسكرية على الأهالي الجزائريين.

<sup>(٤)</sup> - محمد البشير الإبراهيمي: من كبار العلماء المسلمين في الجزائر وحارجهما بعلمه ومسانده وإغاثة، ولد بسطيف، من أسرة متفجرة، جازا العرب في سيرة عسكرية ودرس اللغة العربية وأصول الدين في العشرينات تسمى جودود مع الشيخ محمد أحمد بن ماديون، ثم ذلك باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سيكون نائب رئيسها في ديسمبر 1942، شارك في مؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية من قبل السلطات الفرنسية إلى مدينة أفر (جنوب غرب الجزائر)، سجن عقب مجازر 08 ماي 1945، ووالدي سرانحة سنة 1946، بعد ذلك عارض النوايا الاشتراكية، الذي ابتداء نظام الحكم فأودع السجن ولم يزل به المقام طويلا حيث توفي يوم 22 ماي 1965، أنظر بوالعصاف، وأحرون: المرجع السابق، ج 1، ص 03 06.

عني أغراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون عليّ المحرمة وقد استباحتها، أفد تركتكم فقراء تلتبسون قوت اليوم فلا تغدونه؟ أم تخافون عليّ الأرض وحبيرها وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة وجباة، أسعدكم من يعمل فيها رقشا زراعيا يباع معها ويشترى، وحظكم من خيرات بلادكم انظر بالعين واخسر في النفس؟ أم تخافون عليّ القصور وتسعة أعمشاركم يأورون إلى الغيران كالخشرات والزواحف؟ أم تخافون عليّ الدين؟ ويا ويلكم من الذين الذي لم يجاهدوا في سبيله ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده وأذلت رجاله...<sup>(1)</sup> هكذا كانت معاملة السلطات الاستعمارية للشعب الجزائري فلا عرض فدا، دين ولا لقمة عيش محترمة، ولا مأوى يلقى بكرامة الإنسان وحق الدين لم يسلم من الأدنى، حيث تم قنم بعض المساجد، أو تحويلها إلى كنائس أو كاتدرائيات، وتابعت سلطات الاحتلال علماء الدين وأعدت في إذلالهم، ولم ينحوا من التابعة أو القمع أحد منهم.

و هناك إحصائية وضعتها لجنة مساعدة ضحايا القمع<sup>(2)</sup> التابعة لحزب الشعب الجزائري في الفترة الممتدة من 1937م إلى 1951م، حيث جاءت فيها هذه الأرقام الرهيبة : 30232 معتقل حوكم منهم 14420 خمسة وعشرين (25) بالإعدام وحكم على اثنين وعشرين (22) بالسجن المؤبد وخمسة وثمانون (85) جزائريا موقوفاً ماتوا في السجن، مجموع الأحكام 11300 عاما سجنا، 2920 عاما حجرا في المعتقلات، و 3206 عاما أشغال شاقة و 5600 عاما حرمانا من الحقوق المدنية، وغرامات مالية تغلر بأكثر من ثلاثين مليار فرنك<sup>(3)</sup>، قد يبدو من الوثلة الأولى أن هذه الأرقام خيالية ولكن لا نستبعد ذلك إذ عرفنا أن مجازر الثامن ماي 1945 م وحدها قد حصدت أكثر من خمسة وأربعين ألف (45000) ضحية، فهل يبقى بعد ذلك كله أمل في تحسيز هذه الأوضاع عن طريق الإصلاحات أو عن طريق السياسة الإصلاحية؟ وعن هذا الواقع الأليم يتكلم أحد الذين عانوا تلك الظروف، وهو العقيد الحاج الحظير (1916-1998)<sup>(4)</sup> فيقول : "أمراض ملازمة لنا وفقير لا يعادر ساحتنا وجوع هو عنوان حياتنا والخل لهذا كله هو التفكير في استرجاع سيادة وطننا..."<sup>(5)</sup>، نعم الخل كان في الثورة، كان في العمل المسلح

1- محمد الشيباني الإبراهيمي : في قلب الحركة، ج1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 17.

2- محمد الطيب العنوي : الشهيد فرود يوسف القائد الشعبي للتواضع<sup>(6)</sup>، لجنة التذكير، ج 5، بصدارها المحدث، الوطني لسجالات، الجزائر، 1998، ص 55.

(6) - عبد الطاهر العنوي يدعو "الحاج الحظير" من الثوار المحسبون الذين فحروا الثورة التحريرية وحاولوا من أجل الحرية ضلة سنوات "الوجود" ولد بولاية بانه من أسرة فقيرة تامل في الفلاحة، هاجر إلى فرنسا طلبا للرزق سنة 1939؛ وبدأ نشاطه مع رقة العمال الجزائريين الذين كان قادهم الماشرك والمعاذ والإذلال، بدأ التمسك لإعلان الثورة سنة 1941 واندما مع خلايا المنظمة وكفد الحاج الحظير بتخطيطه الخبايا للمسلحة سنة 1941، كان على رأس الفوج الذي هاجم وكالة بانه، هذه الولاية الأولى من (1956-1959) من دلائله انتمائه، احتراق البطون وطاعته، والعمل بسرية تامة....

3- الحاج الحظير "المحبته" قساست من ثورة نوفمبر 1954 كما تهابشها كتبها الطاهر جازي، شركة الشهاب، الجزائر، دون تاريخ محدد.

فكما رأينا فالوضع الاجتماعي قد وصل إلى درجة كبيرة من المعاناة والتآمر، وبالتالي انفجار الجماهير الشعبية كان متوقعا في أي لحظة ضد ذلك الظلم الكبير المسلط على الأهالي الجزائريين بقسوة ضد النساء والرجال على حد سواء، بل وحتى الأطفال لم يسموا من هذه السياسة الاستعمارية العنصرية، التي كان هدفها الأول والأخير هو إبقاء الشعب الجزائري دائما مهمشا مستغلا من قبل فئة المستوطنين المالكة والسيطرة على كل الامتيازات.

وخلاصة القول أن المجتمع الجزائري قد عان الأمرين إبان الوجود الاستعماري الفرنسي: من الجهل والفقر، والمرض والتهميش، والعصرية انقضية، ولم يفلت من القبضة الحديدية التي كان يمسك بها الكولون وفئات الجزائريين إلا بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، التي أبقت الجماهير الواسعة من سباتها العميق الذي سيطر عليها طوال قرن وربع قرن، فبدأت تلك الجماهير المهيضة الخوانع تتململ بالتسريح وتضع في مصائد قليلة: ماردا جبارا زعزع أركان الصرح الاستعماري الكبير الذي ظلما هيمن على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب العربي عامة، وفي الجزائر بوجه خاص.

#### المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:

طلت الحياة الثقافية في الجزائر منذ بداية الاحتلال تسير نحو الموت المؤكد خلال القرن التاسع عشر (19م)، نتيجة لسياسة اضماد والبناء التي انتهجتها سلطات الاحتلال منذ 1830م، وتكن مع مطلع القرن العشرين بدأت تسير بخطوات وثيدة نحو الإحياء والبعث من جديد، بفضل الجهودات انضمية التي بذلها بعض الوطنيين الجزائريين على مستويات متعددة، لإخراج البلاد من ظلام الجهل والامية والإقصاء والتهميش، فأسسوا الجمعيات وأصدروا الصحف باللغتين العربية والفرنسية، وشيدوا المساجد وأفتوا الدروس والخاضعات العامة والخاصة، ولكن الأمية ظلت ضاربة أطنابها حتى استرجاع الاستقلال الوطني سنة 1962م، ولم يتحزج الرقم المسجل منذ عقود عن مكانه، حيث كانت نسبة الأمية في الجزائر تقدر بـ 94% في عالم الرجال، وفي عالم المرأة أكثر من 98%<sup>(1)</sup> عداة استرجاع الاستقلال الوطني، هذا بعد انتشار التعليم الفرنسي الرسمى والتعليم العربي الحر الذي اضطلعت بكل واحد منهما الإدارة الفرنسية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد زاد من تدهور الحياة الثقافية الحرب الكونية الثانية، التي أتت على الأخضر واليابس وأغرقت معظم شعوب العالم في مستنقع اندم الذي أريق في بلدان كثيرة، لا ناقة لها في هذه الحرب ولا حمل. حيث جمد نشاط الجمعيات الأهلية الحرة التي كانت تسعى إلى إخراج الأمة من كابوس الجهل وشبح الأمية، وإذا

<sup>1</sup> - أحمد محسن: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المستقلة، ترجمة الحاج ممدوح وشيخ عراس، منشورات المذكرى لأربعين للاستقلال، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002م، ص 412.

كنت لا أملك إحصاءات ثالثة حول نسبة المتعلمين في كل سنة خلال تلك الحرب، فإن الأرقام التي سأشير إليها خلال سنة 1944م، من خلال هذا الجدول<sup>(1)</sup> ستوضح بجلاء النسبة البسيطة من المتعلمين الجزائريين - هذا مع الفروق الصارخة بين عدد السكان الجزائريين الأوروبيين، حيث كانت نسبة الأوروبيين تقدر بنسبة 1% من مجموع السكان في الجزائر:

الصفة	عدد المتعلمين	الجزائرية	عدد المدارس
جزائريون	110.000	88 مليون	699
أوروبيون	200.000	399 مليون	1400

واللاحظ من خلال هذه الأرقام، هو التمييز العنصري الكبير بين الأغلبية الساحقة من أبناء الأهالي المسلمين، والأقلية من أبناء المستوطنين، حيث نجد معظم الميزانية المخصصة لقطاع التعليم في الطور الابتدائي تكاد تقتصر على أبناء المستوطنين وحدهم، بينما كانت النسبة المخصصة منها للأهالي لا تصل حتى إلى الربع، كما نلاحظ أيضا ذلك التباين بين عدد المتعلمين الذي يصل على مائتي ألف (200.000) من أبناء المستوطنين الذين يمثلون الأقلية من حيث العدد، بينما يتخلف العدد إلى حوالي النصف، مئة وبخمس عشرة ألف (110.000) جزائري متعلمين فقط، وهم الذين يمثلون الأغلبية الساحقة التي تعيش على هذه الأرض منذ الأزمن، ولكنهم آخر المستفيدين من التعليم.

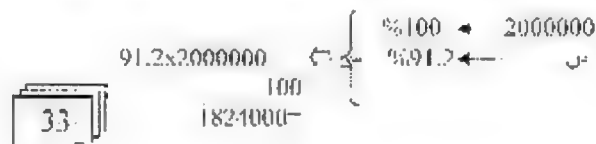
وإحصاء سنة 1954م، يبين أن هناك قوابة سيوي طفلي جزائري هم في سن الدراسة من ستة إلى أربعة عشر (6-14) سنة، ولكن المدرسة الفرنسية لم تستقبل منهم سوى نسبة قليلة جدا، حيث أورد 91,2% منهم في حالة أمية كاملة أي 1824000، والهم أن نسبة الأطفال المسلمين المتعلمين لم تتجاوز في أغلب الأحيان 6%، ولكن الحكومة الفرنسية زعمت في تقرير لها سنة 1955م، أن النسبة قد بلغت 20%<sup>(2)</sup>، بينما إحصائية سنة 1954م، تثبت ذلك فكيف يقفز المتعلمون من 6% إلى 20% خلال سنة واحدة فقط؟ وقد كان جملة الذين يحسنون الكتابة والقراءة باللغة العربية سنة 1954م، يقدر بثلاثين وأربعين ألف (242.000) نسمة وباللغة الفرنسية أربع مائة وواحد وأربعون ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين (441.354) نسمة فقط<sup>(3)</sup>.

ولا شك أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى، إلى خوف المحتل من رفع المستوى الفكري في المجتمع الجزائري، لأنه كان يدرك مدى أهمية التعليم في إيقاظ الحس الوطني والمساواة القومية والإنسانية ضد الظلم والاحتلال لدى المسلمين الجزائريين، ولذلك فقد كانت السياسة الفرنسية تقوم على مبدأ التجهيل والامية

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 403.

<sup>2</sup> Marcel Egretout, réalité de la nation Algérien, Edition Social, Paris, 1957, p138.

<sup>3</sup> جمال فتاح، تاريخ السبيل، ص 213، وعبد الوهاب بن جوش، المرجع السابق، ص 374.



في الجزائر منذ بداية الاحتلال، وحتى الحقبة القبلية التي حظيت بشيء من التعليم الفرنسي، كان التعامل معها يتم على أساس صفة الأهالي، الذي لا يتمتع بحقوق المواطنة<sup>(1)</sup>، ولذلك فقد أدرك أولئك التلاميذ في وقت مبكر، فساد منطق المساواة في الحرية والعدالة والأخوة التي كانت فرنسا الديمقراطية تريد نشرها، فكثيرا ما وجدوا تناقضا واضحا بين ما كانوا يتلقونه كدروس نظرية عن التاريخ الجيد لفرنسا والثورة الفرنسية وبين ما يحدونه في واقعهم الأليم من تمييز وقهر ومعاناة.

وإذا كان هذا حال التعليم الابتدائي لدى أبناء الأهالي، فإن التعليم الثانوي بالنسبة هؤلاء يكون مجرد حلم يراودهم بعد نهاية المرحلة الابتدائية، إذ لم يكن يتجاوز عدد الذين وصلوا إلى هذا الطور سنة 1954م، 6260 تلميذ فقط، أما التعليم العالي فلم يستقبل في هذه السنة سوى قرابة ثمانمائة (600) طالب من الأهالي<sup>(2)</sup>، والمغوليين الآتين بينان لنا بصورة جلية التباين بين عدد المستوطنين والأهالي في التعليمين الثانوي والجامعي خلال الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين<sup>(3)</sup>:

السنة الدراسية		عدد الأوروبيين			عدد الأهالي
1939	1940	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي
		16771	1777	1358	89
1943	1944	16457	3287	1209	8
1949-1950		20658	4280	2734	306

السنة	عدد الطلبة الأهالي في التعليم العالي
1941	142
1950	360
1951	386
1952	442
1953	572
1954	513
1955	584

<sup>1</sup> - نجر الدين معرفة: فيجات عياش، ودوره في الحركة الوطنية، ومرحلة الاستقلال 1899-1985، مذكورة من شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: الدكتور عبد الكريم مراد، 2004، ص 24.

<sup>2</sup> - Charles Robert Ageron, les Algériens Musulmans et la France, P 36.

<sup>3</sup> - أحمد محاسن: المصادر السابق، ص 405-406.

أما نوع التعليم الذي كان يجب أن يخصص للأهالي في طبيعة الحال ليس ذلك الذي يبعث منهم منققيين أو إطارات تشغل مناصب - مهمتها كانت درجتها في المؤسسات الاستعمارية؛ وإنما هو التعليم الذي لا يكاد يستمع ضمير دراسة الأحرف، وفك رموز المفردات الضرورية لحياهم اليومية؛ بالإضافة إلى تعلم بعض الحرف كالمدادة والتجارة والبناء... وغيرها من الأعمال التي تتطلب الجهد العضلي ليكونوا في مستوى خدمة الطبقة الكولونيالية البرجوازية التي تحتكر مختلف الأنشطة الاقتصادية.

ومن خلال هذه الإحصاءات <sup>(1)</sup> يتضح عدد الطلبة المسلمين في التخصصات المختلفة بالجامعة

خلال سنة 1954م:

التخصص	عدد الطلبة الأوروبيين	عدد الطلبة المسلمين	مجموع الطلبة	النسبة المئوية للطلبة المسلمين
الحقوق	1528	179	1707	10.48%
الطب	714	110	824	13.34%
الصيدلة	69	34	403	8.43%
الآداب	1175	172	1347	12.76%
العلوم	762	06	768	0.78%
المجموع	4548	501	5049	9.92%

والملاحظ من خلال هذه الإحصاءات أنه كان هناك تفاوت كبير بين عدد الطلبة الأهالي والأوروبيين، لا سيما في تخصص العلوم والصيدلة ويليها فرع الحقوق؛ إذ تنخفض النسبة في شعبة العلوم إلى أقل من 01% أما في الصيدلة فهي نسبة متدنية أيضا تقدر بـ 8.43% وفي بقية الشعب مجتمعة والمنتملة في الحقوق والآداب والطب فإنها لا تتجاوز 12.19%، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقيقة تاريخية مفادها إبعاد الأهالي عن مختلف العلوم التي تساعد على التطور والنهوض من كبوتهم الطويلة التي أصبحوا بها من جراء المد الاستعماري الفرنسي، الذي ناء بكله على البلاد منذ سنة 1830م.

أما إذا انتقلنا إلى التعليم التقني والمهني فإننا نسجل الأرقام الآتية <sup>(2)</sup>، في التعليم الزراعي:

المؤسسات التعليمية	الأوروبيون	الجزائريون	المجموع	النسبة المئوية
المدرسة الوطنية للزراعة	74	0	74	0%
المدرسة الأهلية لسبائي بعباس	72	03	75	4%

<sup>1</sup> شارل زوير جبروت، مرجع السابق، ص 175.

<sup>2</sup> محمد مسلم، المصدر السابق، ص 407.

المدارس الزراعية (سككية، عين تيموشنت، قائمة)	103	26	129	20.15%
مراكز التكوين الفلاحي	11	43	54	79.62%
المدارس الزراعية	116	05	121	04.13%
المجموع	376	77	453	16.99%

وأهم ملاحظة نسجها في هذا الجدول هي عدم وجود أي جزائري في المدرسة الوطنية للزراعة، أما أعلى نسبة الطلبة الأهالي فتجدها في مراكز التكوين الفلاحي، ونحن لا نستغرب ذلك إذا علمنا أن نسبة هائلة من مجموع الشعب الجزائري، كانت تشغل في القطاع الفلاحي كحماسين أو أجراء يوميين لدى كبار الملاك المستوطنين، وبأجور زهيدة لا تسد أحيانا رمق العيش، ولهذا فإن أهليهم للخدمة في تلك الأراضي كانت حتمية بالنسبة للاقتصاد الكولونيالي.

هنا وعلى العموم، فإن التعليم التقني بصفة عامة لا يزيد عن خمسمائة (500) طالب مقارنة بالتعليم الجامعي، الذي وصل فيه عدد الطلبة سنة 1954م، إلى 5049 طالب من الأوروبيين والجزائريين معاً. وانفتح أن السياسة الفرنسية قد حفت في هذا المجال بعض أهدافها حيث تركت فئات الشعب العريض، لا سيما في الأوساط الريفية نعوض وتسيح في ظلام دامس<sup>(1)</sup>. ولكن مع ذلك فإن الشعب الجزائري ظل متمسكا بهويته وأصاليته على الرغم من سياسات التجهيل التي دامت عشرات العقود من الزمن.

وقد كان للجمعيات والنوادي والمساجد والصحف الوطنية التي تأسست في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين خاصة، بعض الأثر في إحداث نقطة فكرية عامة مست الأوساط الشعبية<sup>(2)</sup>. وقد كان للجمعية العلماء المسلمين في هذا كله الباع الطويل، حيث كونت حركة ثقافية نشطة ونشرت التعليم العربي في المدارس والمساجد والنوادي وفي المحاضرات العامة، على نطاق واسع في أوساط الأهالي.

وقد ركزت الجمعية في نشاطها على بناء المدارس الحرة، والتي بلغت عشية اندلاع الثورة سنة 1954م، حوالي مائة وخمسين (150) مدرسة بمعدل فسمين لكل منها<sup>(3)</sup>، وعدد معتبر من المساجد لا تحسب حتى الآن أرقاماً دقيقة عنها، وأصدرت الصحف من جرائد ومجلات أعطت بعداً ثقافياً وحضارياً للشعب الجزائري ودافعت عن هويته بقوة الحق ووضوح البرهان، وحاربت الطرقيين المتحرفين

<sup>1</sup> - غير الخامس بعد اندلاع حركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 61.

<sup>2</sup> - الطاهر غمري، المرجع السابق، ص 316.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص 319.



والمشعر الذين الذين كانوا يسبحون في فلك الإدارة الاستعمارية التي حركتهم كبيادف ضمن خطتها الشامل الذي استهدف الحيوية العربية الإسلامية للأمة، خاصة وقد أدركت أن الدين الإسلامي ليس مجرد معتقد ديني كما هو الحال بالنسبة للأديان الأخرى، بل إنه ملازم للحياة الشخصية والاجتماعية وحين السياسية ومن هذا المنطلق كان حصارها المفروض على الدين الإسلامي شديدا (2).

وإذا فإذنا نجد في القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم التي أسسها المفكر عبد الحميد بن باديس سنة 1930م -وعيا كبيرا بالتحديات التي سيواجهها العلماء في سبيل نشر حركة إصلاحية قائمة على أسس متينة، حيث ورد فيه: "إن غرضنا من الوجهة التربوية، هو تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم. ومن الوجهة التعليمية تنقيف أفكارهم...." (3).

وفعلا فقد ساهمت الجمعية مساهمة فعالة في إحياء الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التربية والتعليم اللذين كانا متجهيها الأول في التغيير، وتمكنت من تكوين نخبة وطنية متسبعة بقسم الدين الإسلامي الخفيف، والمبادئ الوطنية بعيدا عن البدع والخرافات وأفكار التغريب والفرنسة.

وبخلاصة القول أن مجال الثقافة كان منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ميدانا خصا لتكريس الفكر الاستعماري وحسن مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، ولم ينهض من كبوته إلا مع التأثير الأول للقرن العشرين، ولهذا فإن الوضع الثقافي قبيل اندلاع الثورة لم يكن أفضل من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الأمة قاطبة ودحا من الإيمان، مما يفسر تعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الشعب الجزائري يهب عن بكرة أبيه في وثبة واحدة للثورة على الواقع الأليم الذي كرمته السياسة الاستعمارية منذ قرن وربع قرن من الزمن، واستطاعت ثورة الفاتح من نوفمبر أن تغير تلك المساة الوطنية إلى واقع مشرق يتصل بحكمة قادتها وإرادة الشعب في الالتفاف حولها.

ومما سبق عرضه وتحليله في هذا الفصل نخلص إلى القول أن الحرب الكونية الثانية قد أحدثت تغييرات جوهرية في كثير من بلدان العالم، طالت كل المبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الصعيد العالمي، وأدت إلى اختلال موازين القوى بظهور دول جديدة ترعمت العالم وأخرى تراجع، مكانتها إلى الخلف، وخاصة الدول الاستعمارية التقليدية مثل: بريطانيا وفرنسا على سبيل المثال، مما أدى إلى انتشار الحركات التحررية واستقلال بعض البلدان، وبقيت بلدان أخرى تشق طريقها نحو الاستقلال.

(1) .. كانت أولى خطوات المشروع الاستعماري خنابة الدين الإسلامي قد خلقت في قديم عهد الاستعمار والامتهان، على الأوقاف الإسلامية وكما كانت تقوم عليها إلى أناس أو كتاتشات ومن بعض الروايات المنسوبة والصوفية: بالإضافة إلى تحويل المراكز الثقافية إلى معاهد ثقافية غير نشطة.... إلى غير ذلك من الإجراءات التي طبقتها إدارة الاحتلال.

(2) الطاهر غمري: المرجع السابق، ص 318.

فمع المغرب العربي نجد تونس قد نبتت أسلوبيها حديثا في النضال بدءا من سنة 1949م، وهو سياسة عدم وطالب التي أعقبتها أهم حزب في البلاد الحزب الدستوري الجديد بإمامة الخبيب بورقيبة أما الحركة الوطنية في المغرب الأقصى فإن أهم ما ميزها، هو التنافس الجماهيري الشعبية حول السلطان محمد الخامس، الذي وقف إلى جانب حرب الاستقلال في مطلبه الأول، وهو استرجاع الاستقلال الوطني للشعب المغربي، وتيسار وتيرة الأحداث بمدين البلدين مما أدى إلى قيام المقاومة المسلحة مما مع مطلع الخمسينات من القرن العشرين، ثم استقلالهما في سنة واحدة وفي شهر واحد<sup>(1)</sup>، وبالنسبة لمملكة الياوية فقد كانت هي أول بلد عربي يستفيد من تلك التحولات العالمية التي أحدثتها الحرب، إذ تمكنت من الحصول على دعم دولي، وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا سنة 1949م، بمنحها الاستقلال الكامل في أجل اقضاء بداية سنة 1952م.

أما الجزائر فقد شهدت الناء الحرب الكونية الثانية لها منظما لإمكاناتها المادية وطاقاتها البشرية مما أدى إلى الخيار اقتصادها وانتشار السوق السوداء والجماعات والأوبئة الفتاكة فيها، وأهم ما ميز الساحة السياسية بها هو ذلك النشاط المستمر والحضور الفيزي لمختلف التيارات الوطنية، التي وجدت مطالبها في بيان الشعب الجزائري الصادر يوم 10 فيفري 1943م، بإمامة السيد فرحات عباس على الرغم من تطبيق الخناق الذي تعرضت له واعتقال الزعماء والمناضلين الوطنيين وسجنهم.

ولم يكن يجري الأحداث في الجزائر بثبته ما حدثت في بقية البلدان المغاربية، وإنما كان أشبه ما يكون بالمعارك الدامية التي دارت رحاها في جبهات القتال بأوروبا، ولكن ضد شعب أعزل من السلاح... محترقات الآلاف من القتلى والجرحى... معتبرات الفري والمداشر هامت عن بكرد أيها... انتهكات واستبداءات أخلاقية ارتكبت في حق الأبرياء، جزاء الأمة في انقاد فرنسا من الخراب المدمر كان جزاء سنيما، لها محازر الثامن ماي 1945 م الرهيبة، التي وضعت حدا لسياسة انصاف الجنول وبداية مرحلة جديدة قوامها ما اتخذ بالقوة لا يسترد إلا بمثنها، مراجعات عامة لسياسة الأحرار الوطنية وأسمائها ومناهجها وتطورات حاسمة في أنظمتها وهياكلها... من مدارس ابتدائية إلى معاهد عليا إلى طحة قوية في كتابات العلماء وخطابهم العام، من اتحادية لتنظيم الانتخابات إلى حرب وطني يطالب بجمهورية جزائرية (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) من حزب محصور إلى حزب وطني (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) من تنظيمين تنظيم شرعي سياسي وتنظيم عسكري ميري إلى جبهة وحسين وطنين.

الأحداث تتطور بسرعة اتجاه الانفجار... لم يعد هناك وقت متسع للاعتذار، كل التنظيمات السياسية والثقافية تنتهي إلى طريق مسدود معنى المستوى المنظور، وفي السرية كان يجري ما لم يكن في

(1) حصل كل من المغرب وفرنسا على استقلالهما المغرب يوم 02 مارس 1956 وتونس يوم 20 مارس 1956.

الحسبان: تنظيم سياسي جديد اتهم اللجنة الثورية للوحدة والعمل بتطرق لخطوات سريعة، ولكنها خطوات ثابتة : يعقد بضع اجتماعات متتالية تسمي في آخرها إلى توقيع العهد وتحديد الموعد، القاتح من نوفمبر 1954 م، اجتماع الأمة كلها- والأمة لا تجتمع على ضلال تنطلق الشمارة الأولى على مساحات شاسعة من الوطن، فاق انفجارها بركان فوجي باما الياباني ، عندئذ يسدل الستار على الفصل الأول من مسرحية طويلة احكم عقدها الاستعمار وانفت أدوارها الوطنيون.

# الفصل الثاني

## الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسستها السياسية والعسكرية

المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر

المبحث الثاني: هجومات الشمال القسطيني 20 أوت 1955م

المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م

المبحث الرابع: إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 04 فيفري 1957م

المبحث الخامس: مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات

المبحث السادس: الوفد الخارجي و لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.F.)

المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A.) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

(G.P.R.A.)

## الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسستها السياسية والعسكرية:

وصفت الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1954م: إلى طريق مسدود بسبب الأزمة التي أوقعها فيها صراع بعض الزعامات السياسية<sup>(1)</sup>، فكان إعلان الثورة هو المخرج الوحيد. وذلك بعد توجه العناصر الثورية إلى تصحير الثورة خاصة مع ملازمة الظروف الدولية والإقليمية وحتى الداخلية. وقد تشكل هذا الاتجاه من مجموعة من الشباب المتحمس المضائل والواعي بخيار الكفاح المسلح، الذين كانوا الثورة الأولى للمنظمة السرية<sup>(2)</sup>. والذين كانوا يؤمنون بأن استمرار الأزمة سعاد الحكم على مستقبل الشعب الجزائري ومصيره لأن العالم كان يتغير بوتيرة سريعة في اتجاه تحرير الشعوب ومعضتها، لذلك فإن الثورة الجزائرية اعتمدت على العمل المسلح أو الحرب كوسيلة وليست هدفاً، لأن الهدف أصمى وأبلى.

لقد أظهرت الثورة منذ اندلاعها بأنها حركة منظمة وواعية، وليست عملاً فوضوياً وخربياً وعشوائياً يائساً، فأذاعت بيانها الأول، الذي أعلنت فيه للعالم أهدافها ووسائلها الشرعية، كما أذاعت البيان الذي عرفت فيه جيش التحرير الوطني وأهدافه وسبل كفاحه. وبعد ذلك دعمت نفسها بمراكز ومؤسسات فعالة، تضمن بها الاستمرار والنجاح. وأنجزت مهمات عسكرية وسياسية على المستويين الداخلي والخارجي، في غاية من الأهمية والدقة والوضوح.

نعم لقد كانت الحرب مفروضة على الجزائريين، لأن إدارة الاحتلال رفضت أيدي المندوحة من قبل قيادة الثورة، التي رفعت شعار التفاوض والحوار والتفاهم بالطرق السلمية منذ البداية، لكن الطرف الآخر لم يكن متحارباً معها، مما أدى إلى إطالة عمر الحرب التي استمرت إلى غاية 19 مارس 1962م.

### المبحث الأول: الدلاع ثورة الفاتح من نوفمبر:

تعرفت الثورة بأنها تغير جوهري مفاجئ في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للدولة، يؤد إلى تخرج على النظام المألوف، ولا نلتوا عادة من العنف، وتختلف الثورة في معناها ومضمونها وأهدافها عن الانقلاب، الذي يسعى إلى مجرد قلب لنظام الحكم وإحلال سلطة مثل أخرى، والثورة الحقيقية هي التي تتبع من الشعب، وتحرر عن ميوله ورغباته، وإن دبرها وقادها أشخاص معينون، وهي أنواع:

ثورة سياسية تنشد الحرية، وثورة اجتماعية تنادي بالمساواة، وقد تهدف أحياناً إلى توقيق الجانبين معاً، وترى أن المساواة السياسية لا بد أن تقوم على أساس من المساواة الاقتصادية، والثورة هي وسيلة ناجحة من

<sup>(1)</sup> المقصود بذلك أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية صيف 1954م.

<sup>(2)</sup> - ولذكر من بينهم حمزة آيت أحمد وأحمد بن بلة ومصطفى بن بولعيد وعبد بوشيايف والعربي بن مهيدي ودلموس مراد

وزايج بلفاسم وسودان بوجعة وغيرهم

<sup>(3)</sup> أحمد مهنور: "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، قسم التاريخ والآثار، كتابه "العموم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة مهنوري

فلسطينية، تحت إشراف، أ.د. عبد الكريم بوصفصاف: 2006.

وسائل التقدم وحسب من حزمة التاريخ التي تحقق الحرية والعدل والمساواة، وصورة من صور التطور الإنساني على الرغم مما يصحبها من عنف. ومن الثورات ما لا ماضٍ منه ولا سبيل إلى درئهِ؛ والمهم أن يعالج الحكمة وأن تستمسك بأهدافها إلى النهاية وأصبح شيء فيها أن يطرأ عليها تحول معكوس، فتصبح دكتاتورية وهي تبادي بالحرية أو إقطاعية وهي تعن المساواة<sup>1</sup>.

وكانت أمريكا المنطلق الأول للفكر الثوري الحديث، الذي تجلى وأنتج الثورة الأمريكية سنة 1776م، وكانت الثورة الفرنسية المنطلق الثاني الذي أنتج الثورة الكبرى سنة 1789م. وبعدما ثورات أوروبا سنوات 1830م و 1848م ثم الثورة السوفياتية سنة 1917م، والتي أنتجت الفكر الثوري الماركسي اللينيني، كإيديولوجية عالمية للشعوب المعادية للإمبريالية الغربية. ولقد مر هذا الفكر الثوري بعدة تطورات، حتى تعددت مدارس وإيديولوجياته وقاداته فاختنفت التعاريف والمفاهيم.

وقد عرف الفيلسوف الفرنسي بوردو Bordeaux الثورة على النحو الآتي<sup>2</sup> : "إن الثورة كواقعة حدث محصور في فترة من الزمن، فهي تدع اخصم يظم نفسه تبعاً للتبدلات المتحققة، بعد أن نصل لأهدافها ويستتب الأمن والمهدوء. أما الثورة كفكرة فهي قوة لا تنضب ديناميكية في إنداز ملموس وهي مطلب مغروس في قلب الإنسان يحضيه باستمرار على مقارنة التحرر الذي يُعدُّ به فكرة الثورة، كواقع تاريخي بمرسها، والتي غالباً ما تكون وهمية".

هذا التعريف يحاول التفريق بين الثورة كحدث أو كواقعة والثورة كفكرة، حيث نفهم أنه من المفروض أن تتجسد الفكرة في شكل واقع وإذا لم يتحقق ذلك فهي وهم وسراب.

ويذهب علماء الاجتماع والسياسة في القرن العشرين إلى تعريف الثورة بأنها تغيير مفاجئ وسريع وعنيف، يشمل القانون الرسمي للمجتمع أو الدستور ونظام القيم التي يمثلها، ووضع نظام آخر، ويفرقون بين عدة أنواع من الثورات، فهناك الثورة السياسية التي تُغيِّر فيها الطبقة الحاكمة ونظام الحكم، والثورة الاقتصادية التي يغيِّر فيها النظام الاقتصادي بعض، والثورة الدينية والقومية. أما الثورة التي تحاول أن يغيِّر كل النظم وكل القيم فسميت بالثورة الكلية.

والثورة إنما هي قضاء على النظام الاجتماعي والسياسي، وإيس القضاء على الجفاعة التي تسببها لتجس جماعة أخرى لأن ذلك انقلاب، ولكن ليحل محله نظام اجتماعي وديني وسياسي جديد<sup>3</sup>.  
فالتعريفان الأخيران جد متقاربان جدا خاصة في السرعة والفجائية وتغيير النظم التي كانت سائدة.

1- الدكتور إبراهيم منكور، ونخبة من الأساتذة العرب : معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر : 1975م، ج1-2، ص206.

2- جن جاف ثودتييه، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1991 ص 39.

3- صمد مقالتي، في مفهوم الثورة والنقد الثوري، مجلة الأصالة، العدد 73/74، سبتمبر / أكتوبر 1979م، ص ص 45-46.

انطلاقاً من هذه التعاريف، كنهنا، فإن ما حدث في الجزائر ابتداء من أول نوفمبر 1954م إلى سنة 1962م، هو حزب وثورة وطنية سياسية اجتماعية، بل وحضارية لأنها تستهدف استرجاع الأرض وسحرية الإنسان وسيادته على ثروته الوطنية، قامت بها جميع الفئات الاجتماعية في الريف. تم اندمجت إلى المدينة، من أجل التحرر من الظلم والاستعمار الذي فرضه النظام الإقطاعي والنظام الديري المتوحش. وهي ثورة سياسية لأنها تهدف إلى إقامة دولة جديدة في الجزائر بدل الدولة الاستعمارية، وتتميز عنها في القيم الدينية والثقافية والتعبوية، كما حددتها بيان أول نوفمبر "دولة ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية".

#### أولاً: بيان أول نوفمبر 1954م وأهداف الثورة الجزائرية:

يمثل بيان الفاتح من نوفمبر 1954م، أول وثيقة لثورة الجزائرية، وبعد أهم وثيقة من وثائق الجزائر الحديثة فقد حمل روح الثورة الجزائرية وأبعادها الوطنية والعلمية والإنسانية، وكانت له دلالة لا تقل أهمية عن بيان إعلان تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقد يفوق في القوة والدلالة<sup>1</sup>.

فيمكن للدارس أن يقسم عشوائياً إلى الأفكار التالية:

#### أسباب ودوافع إعلان الثورة:

ويجدها في النقاط الآتية<sup>2</sup>:

- إدراك الحركة الوطنية للهدف الأخير من مسيرتها النضالية.
- اتحاد الشعب حول قضية الحرية والاستقلال.
- تعليق الأمل على انفراج الوضع الدولي، وملاءمته لحل المشاكل الإقليمية: كالمقضية الجزائرية.
- السند الدبلوماسي، وخاصة من طرف الإخوة العرب والمسلمين الذين لن ييحبوا لدعم الكفاح الجزائري.
- فشل الحركة الوطنية بسبب الصراعات الشخصية بين القيادات القديمة والقيادات الشابة.
- تصميم نخبة من المناضلين الواعين على إحراج الحركة الوطنية من مأزق صراع الأشخاص، ودفعها نحو العمل الثوري على غرار المغاربة والتونسيين.
- رفض الاستعمار إعطاء الشعب الجزائري أدنى حرية بالوسائل السلمية.

#### ثانياً/ برنامج جبهة التحرير الوطني:

بعد عرض أسباب الانتقال إلى العمل الثوري يعرض البيان اسم الحركة التي ستقوم المعركة الحقيقية وهو جبهة التحرير الوطني، هذه الجبهة التي ستكون مفتوحة لجميع الوطنيين الجزائريين من جميع الطبقات.

<sup>1</sup> - يحيى بو عزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 2 منشورات الملتقى الوطني المجاهد، ص 122.

<sup>2</sup> - بيان أول نوفمبر 1954م.



الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية لتنظيم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر<sup>1</sup>، ثم ينتقل أصحاب البيان إلى عرض البرنامج السياسي لهذه الجهة حيث جاء فيه<sup>2</sup> :

**الهدف : الاستقلال الوطني بواسطة:**

1. إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2. احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

#### الأهداف الداخلية :

1. التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي، والقضاء على جميع تخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملاً هاماً في خلفنا الحالي.

2. تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

#### الأهداف الخارجية :

- تدويل القضية الجزائرية.

تحقيق وحدة شمال أفريقيا في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي. ومعنى ذلك توحيد بلدان المغرب الكبير، لأن بلدان شمال إفريقيا يضم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، وهو هدف قسم لدى المناضلين الجزائريين ضلوا يتمسكون به حتى قيام ثورة الفتح من نوفمبر 1954م، ولم يتخلوا عنه بل فقد حاولوا تحسيده سياسياً وعسكرياً للكفاح ضد الاحتلال الأجنبي .

- في إطار ميثاق الأمم المتحدة تؤكد عاطفتنا الفعال تجاه جميع الأمم التي نساند قضيتها التحريرية.

وبعد عرض الأهداف يعرض البيان وسائل الكفاح، حيث يقر بأن الكفاح سيكون بجميع الوسائل حين تحقيق الهدف<sup>(3)</sup>.

1 - بيان أول نوفمبر، مرجع سابق.

2 - المرجع نفسه.

(3) - شروط التفاوض مع السلطات الفرنسية:

تضمن المدن شروطاً والتعهدات لفتح تفاهل مع السلطات الفرنسية تحسب لإزالة الممانعة ورغبة في تحقيق السلم إن اعترفت هذه السلطة الامنية بانه حق الشعوب التي تستعمرها في توحيد مصيرها بنفسها، وهذه الشروط والتعهدات هي:

1/ الاعتراف بالحسيب الجزائرية بطريقه عقلية ورسمية. بلغة بذلك كل القوانين والقوانين والقوانين التي تفرق من اجراء ارفاد، فريسة رغبة التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات المذهب الجزائري. 2/ فتح مفاوضات مع المسئول المفوض من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية. وحدة لا تتجزأ. 3/ خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الإجراءات الخاصة بإيقاف كل مطاردة ضد الأفراد المكلمة وفي المادى.

- فإن جميع نضال الفرنسيه ثقافية كانت أو اقتصادية، ولنحصل عليها بصفة مستحرم وكمالات الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات... جميع الفرنسيين الذين يرغبون في العيش بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كإحسان تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذا الحالة يعتبرون كجزائريين لا لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. - تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين الطرفين اللذين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

وبهذا وضع البيان وثيقة مشبوبة للتفاوض مع فرنسا، إن أرادت الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير.

### ثالثا/ دعوة الشعب إلى الانضمام لجبهة التحرير الوطني:

وفي هذا الجزء الأخير توجه أعضاء لجنة الستة بندا إلى الشعب الجزائري بدعوته فيه للانضمام لمسعى الكفاح الوطني<sup>(11)</sup>.

وبهذا قررت هذه الطليعة الثورية الخروج من عقم النضال السياسي والدخول مباشرة في المقاومة المسلحة كحل وحيد للتخلص من الاستعمار.

فقد كانت الثورات دائما من صنع الطلائع، التي تمهد ونقرر ثم تحطط ويترجمها بالبروج إلى أن تقنع بالفكرة، عندها يكون الشيء والاحتضان شلطان لا بد منهما لتحقيق النصر، وهذا ما كانت عليه الثورة الجزائرية، حيث أثار بيان أول نوفمبر الطريق للمناضلين والجهاديين الشعبية لاحتضان الثورة، ذلك أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

فقرر هؤلاء المناضلون الوطنيون الواعون، التوجه نحو تفجير الكفاح الثوري المسلح خاصة وأن الظروف الدولية والإقليمية كانت ملائمة للقيام بذلك.

وصفوة القول أن التسمية الوطنية التي أدرجت عقم النضال السياسي لاسترجاع الاستقلال الوطني، قد وضعت لذلك الاختيار كل التنظيمات والتهيئات اللازمة للإجهاج الكفاح المسلح، بوضع القواعد والأسس الشعبية الثينة، قبل اللجوء إلى إعلان الحرب، ولذلك نجحت الثورة على الرغم من قلة إمكاناتها المادية والحيات العسكرية في الميدان.

### المبحث الثاني : هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م:

ظهرت في صيف 1955م معالم سياسة الثورة الجديدة للثورة الجزائرية، بعد اتصالات تمت بين عدد من قادة الولايات (الثانية والثالثة والخامسة)، وبعد تلقي قائد الولاية الثانية زيجود يوسف، رسالة من قائد الولاية الأولى الذي نوى قيادة الثورة في الأوراس، بعد إلقاء القبض على قائدهما الأصلي مصطفى بن بوالعيد، يطلب فيها من زيجود يوسف أن يقوم بعمل ما "لتخفيف الضغط الاستعماري المفروض" على الأوراس منذ اندلاع الثورة، وهكذا وجد قائد الولاية الثانية نفسه مضطرا إلى القيام بمبادرات وعدم انتظار الكثير من قادة الثورة الأحرار وشرع في التنسيق مع قادة الداخل، وقام بتنظيم عمليات 20 أوت 1955م، وذلك بقصد تخفيف الضغط على الأوراس والقيام بعمليات جماعية وجهادية، أي بمساركة

(11) مما جاء فيه "إننا ندعوك إلى هذه الوثيقة، وإياك هو أن تضم إليها لانتقاد بلادنا، والعمل على أن يسترجع له حريته إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتنا ونصارعها هو نصارك"

الشعب الذي ينبغي أن يحرر نفسه بنفسه، وقد تقرر أن تكون العمليات في منتصف النهار، وكان التقعيد من ذلك المجاهرة بالثورة وقطع كل الصلات مع الاستعمار<sup>1</sup>.

وبفضل هذه العمليات تمكن النوار في داخل الجزائر من القضاء على إستراتيجية الجيش الفرنسي التي كانت تقوم على أساس "أن التمرد يجب أن يدفن في مهده". كما أن نجاح الثورة في تنفيذ أحكام الإعدام في صفوف بعض الأوروبيين، حسب المصادر الرسمية الفرنسية، قد خلق الرعب والهنع في نفوس الأوروبيين بالجزائر، وشجع الجزائريين على الانضمام إلى جيش التحرير الوطني الجزائري<sup>2</sup>.

لقد برهنت هذه المحومات على مدى قدرة الثورة على الصمود والرد على السياسة الاستعمارية ودقة جيش التحرير الوطني في ضرب أهداف محددة، بحيث كانت هذه العمليات مكررة ومنسقة على عدة مدن وقرى ونقاط عسكرية بلغ عددها تسعة وثلاثين هجوما مثل: سكيكدة وقسنطينة والحروب وعين عبيد والعل وميلة وجيجل والميلية، وغيرها من قرى ومدن الولاية الثانية. وتمكنت الثورة من تحقيق النصر السياسي جازحي تمثل في إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة سنة 1955م، كما أكدت المحومات أن هذه الثورة منظمة ولها أهداف محددة. حيث أكدت الاستعمار خسائر فادحة في الأرواح والأموال والعتاد في وضع النهار، وأنها مقاومة شرعية وأبست عصياناتها مذبا أو شرذا أو خروجا عن القانون حسب الادعاءات الفرنسية السابقة.

وكان من نتائج هجوم 20 أوت 1955م، قيام فرنسا باعتقال وإعدام المئات بل الآلاف من الجزائريين الأبرياء، حيث أعدم 1300 جزائري، يؤكد مراسل "نيويورك تايمز" بأن الأوروبيين بعدما فقدوا راسدا ومسعين شخصا في حوادث 20 أوت 1955م، نظموا أنفسهم في منيشيات وقاموا بقتل جماعي ضد المسلمين، حيث تجاهل الفرنسيون كل الاتفاقيات المبرمة حول التعامل مع الأسرى والمساكين في الحرب خاصة اتفاقية جنيف التي وقعها فرنسا، بل تمت الإعدامات بالجملة وبدون محاكمة<sup>3</sup>، وأكتم من ذلك شملت مواطنين أبرياء ومسافرين جاؤوا من فرنسا صبيحة المحومات إلى ميناء سكيكدة متوجهين إلى عائلاهم بشرق الجزائر.

واستطاعت هذه المحومات القضاء على ما تبقى من التعايش بين المجموعتين الأوروبية والجزائرية المسلمة، وسقطت فكرة "الاندماج النام" التي كان جاك سوستيل أيامها يدعو إليها إلى جانب ذلك فقد تفككت صفوف جماعة الواحد وستون داخل المجلس الجزائري، إذ انسحب أغلبهم وأصدروا بيانا بعد شهر فقط يرفضون فيه الاندماج.

1- أحمد منغور، "النزاع العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، مرجع سابق.

2- بوحوش صابر: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونهاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت: 1997، ص 388.  
3- صالح فركوب، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، بتطوان: الجزائر: 2002، ص 263.

ونتيجة لتلك الأحداث، تراجعت الحكومة الفرنسية عن إجراء الانتخابات التشريعية التي كانت مقررّة في الثاني من شهر كانون الثاني-جانفي 1956م، كما تراجعت عن سعيها لإيجاد مفاوض جزائري يسير في نفس اتجاهها. فمن لا يزال يؤمن بفضل الثورة وهذا بعدما وضعت أحداث 20 أوت 1955م حدا حاسما لمسألتي التأييد أو المعارضة للثورة، وذلك عن طريق الالتحاق بأحد طرفي الصراع، إما جهة التحرير أو السلطات الفرنسية، ولا مجال لمنطق الحياد بالنسبة لشعب الجزائري<sup>1</sup>.

ونتيجة لما حصل يوم 20 أوت 1955م، لم يبق من تفاؤل الحاكم العام سوستيل شيء يذكر بعد انتفاضة منطقة الشمال القسنطيني الواسعة<sup>2</sup>. وهذا بعدما حققت هذه الأحداث عدة نتائج مهمة بالنسبة لثورة الجزائرية، منها: الكشف عن حقيقة السياسة الفرنسية الرامية إلى إبادة الشعب الجزائري، وكذلك فقد ازداد التحام القاعدة الشعبية والتفافها حول جبهة التحرير الوطني بكيفية أوسع وأقوى. واعتلت لثورة دفعة جديدة، مكنتها من الانتقال إلى المرحلة الشعبية الحقيقية، مما فرض على أعوان الإدارة الاستعمارية تعديل موقفهم بعد أن عرفوا أن الثورة مستمرة ولا يمكن القضاء عليها، لأن الشعب برمته حوفا، وأظهروا بعدها رفضهم لتجديد النداءات المعارضة للثورة، إلى جانب تمكّنها من فك الحصار على الأوراس لانتقال قوات كبيرة إلى منطقة الشمال القسنطيني، فإها أشعرت العالم أن ما يجري في الجزائر هو ثورة حقيقية، وبرهنت بالتالي أن ما يحدث في الجزائر ثورة وراءها كل الشعب الجزائري، وهذا ما أكسب القضية الجزائرية دعما جديدا وانتصارا هاما على الدبلوماسية الفرنسية، التي فضلت في مخادعة الرأي العام العالمي، بتصويرها بأن ما يجري في الجزائر عبارة عن أعمال إرهابية يقوم بها أشخاص خارجين عن القانون، وبإدانة تراجع الموقف المؤيدة لسياساتها<sup>3</sup>.

فقد عملت أحداث 20 أوت 1955م، على دفع المسيرة الثورية إلى الأمام، وبعث روح الأمل من جديد في صفوف المجاهدين والشعب معا، ولم تنق الثورة محصورة في مناطق الأحداث فحسب، بل اتسعت الهجومات لتشمل مناطق شتلفة من التراب الوطني، ففي المنطقة الخامسة (وهران)، بدأت العمليات المسلحة بما بعد وصول السلاح الذي كانت نفتقر إليه فأحدثت تلك العمليات التي وقعت بالتواخي الواقعة بين ندزومة والغزوات وتلمسان وناحية مغنية، مفاجأة للمستعمر، لأنها المنطقة الوحيدة التي بقيت حتى تلك الفترة توصف بأنها "هادئة تماما" في تقارير الاستعمار الفرنسي.

<sup>1</sup> - علي كافي، يوم 20 أوت 1955م أسبابه ونتائجه، انظر، مجلة الدراسات التاريخية للثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1955، الصفحة الجزائرية للصفحات، الجزائر، ص 21.

<sup>2</sup> - حربي حمد، الثورة الجزائرية سنوات المكافحة، ترجمة نجيب، مجلة، وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للثقافة، الدار البيضاء، الجزائر، 1994م، ص 147.

<sup>3</sup> - ازغندي محمد لمس، مؤتمن الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 100.

أما الإدارة الفرنسية، فقد أصبحت بخيبة أمل، وأثرت تلك العمليّات على معنويات القوات الفرنسية نفسها، حيث أصبح أفرادها يرون في جيش التحرير الوطني الفرع الأكبر، والخطر الدائم على حياتهم، وانتشرت بينهم روح التمرد والعصيان ضد الحرب في الجزائر.

ومما زاد في تعزيز صفوف الثورة، انضمام التشكيلات السياسية الوطنية إلى صفوفها كأفراد وهذا بعدما أعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم السابع من شهر جانفي 1956م، بضرورة الاعتراف باستقلال الجزائر وإعادة السيادة الشرعية الوطنية للشعب الجزائري، وأعلن مركات عباس بأنه وحرته يؤكدان بصورة واضحة عزمهما على مساندة القضية التي تدافع عنها جبهة التحرير الوطني<sup>1</sup>.

كان رد فعل الحاكم العام جاك سوستيل، الاعتماد على مبدأ المسؤولية الجماعية وأسفر ذلك عن مقتل 12000 نسمة، بحيث تعرضت كل شرائح المجتمع الجزائري لهذه الحملة ولم ينج منها حتى حلفاء الاستعمار أنفسهم، وهكذا دخلت الجزائر كلها في الحرب<sup>2</sup>.

وأمام هذا القمع الوحشي الذي عجز الزعماء المعتادون عن درأه، مما أفقدهم ثقة الرأي العام وأدرك حينها مثل الطبقات الوسطى أنهم كانوا يعيشون في الوهم وخارج الواقع، فانضموا إلى جبهة التحرير الوطني مقدمين لها ضد فرنسا وضد الحركة المصالية إشارات مؤهنة وشنكة<sup>3</sup> لكن في المقابل أصبح الفرنسيون يتفنون في تعذيب الشعب الجزائري، بل تمكنوا من تجاوز درجة التآزير في التعذيب، وهذا ما عرف الضباط الفرنسيين ولم يكتفوا بذلك، حيث ألقوا سياسة الأرض المحروقة، عن طريق هدم القرى، وكان لهذا الأسلوب الوحشي للقادة العسكريين الفرنسيين، تأثيره على الشعب الجزائري، بحيث تعمق لديه الإيمان بختمة التخلص من وحشية المستعمر، وذلك بمواجهة الكفاح المسلح<sup>4</sup>.

المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م:

أولاً- ظروف انعقاده:

بعد مؤتمر الصومام أهم اجتماع وطني لقادة الثورة خلال مرحلة الكفاح المسلح، فقد أسس لعملية تنظيم الثورة، ووضع هياكلها وأجهزتها السياسية والعسكرية، كما تبورت خلاله إستراتيجية توحيد جميع الجزائريين لمواجهة الاستعمار والانتصار عليه، وهي الإستراتيجية المستمدة من بيان أول نوفمبر، الذي أكد أن جبهة التحرير الوطني تتبع الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أي اعتبار آخر.

<sup>1</sup> - المراجع السابق، ص 101.

<sup>2</sup> - حربي محمد، مرجع سابق، ص 148.

<sup>3</sup> - بنين المرجع، ص 150.

<sup>4</sup> - أو عيني محمد لحسن، مرجع سابق، ص 103.

وعن الحديث عن ظروف انعقاد المؤتمر، يعنى تقييم مسيرة سنتين مرت حلالها الثورة بعدة تطورات كانت أهمها:

انتشار الثورة وتبدد مخاوف الكثيرين من اعتقادها أنها ستتهدى، وسقوط مزاعم المستعمر الذي رآهن عسى وأدها في أسابيع، وهكذا انضمت جميع تيارات الحركة الوطنية إليها .

نجاح محرمات 20 أوت 1955م، التي أفضت إلى ما هيته الجماهير الشعبية في الثورة، وإزالة الثورة بذلك من الخيال والأرياف إلى المدن.

إنشاء المنظمات الجماهيرية لتأطير الفئات الشعبية وضمان الوقوف للثورة، حيث تكون التعبئة ضمن أطرها وهياكلها، فتمت هيكلة العمال في الـ إ.ع.ع.ج. UGTA في 24 فيفري 1956م والتجار في شهر مارس وإضراب الطلبة في 19 ماي .

#### ثانيا- نتائج المؤتمر:

بعد تلاوة تقارير المناطق، درس المؤتمر مختلف القضايا المعروضة عليه، وناقشها ثم خرج بحزمة من القرارات المهمة، والتي تناولت مختلف الجوانب التنظيمية والعسكرية والسياسية وهي:

1/ التنظيم الإقليمي: قرر المؤتمر تقسيم البلاد إلى ست ولايات<sup>(1)</sup>، واستبدلوا لفظ المنطقة بلفظ الولاية. وتقسيم الولاية إلى مناطق، والمناطق إلى نواحي والناحية إلى قسامات<sup>2</sup>.

وأما مراكز القيادة فتم وضع مبدأ الإدارة الجماعية، وتتكون من القائد برتبة صاغ أول(عفيد) وله صفان عسكري وسياسي، وهو يمثل السلطة المركزية جبهة التحرير الوطني، ويحيط به ثلاثة نواب من الضباط يعنون بالفروع الآتية: الفرع العسكري، الفرع السياسي، وفرع الاستعلامات والاتصال، وتوجد مراكز قيادة لكل من الولاية والمنطقة والناحية والقسم<sup>3</sup>.

2/ القرارات العسكرية: تناولت التوحيد العسكري والرتب العسكرية والبرانس، والمنح البعائية

3/ القرارات السياسية: خرج المؤتمر بحزمة من القرارات أهمها:

أ/ تأسيس المجلس الوطني للثورة

ب/ لجنة التنسيق والتنفيذ

ج/ المحافظون السياسيون .

د/ المجالس الشعبية المنتخبة

(1) - الولايات الستة هي: الأولى: الأوراس المنخفضة، الثانية: الشمال القسطنطيني، الثالثة: القبائل، الرابعة: الجزائر، الخامسة: وهران، السادسة: الصحراء.

1 - ازغوي محمد أمين: المرجع السابق، ص 124.

2 - المرجع نفسه، ص 124.

هـ/ تحييد العلاقة بين الداخل والخارج و إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ المشاركة في الإدارة.

و/ العلاقة بين الجبهة والجيش، إعطاء الأولوية للسياسي على العسكري.

ز/ تشكيل محاكم خاكمة المدنيين والعسكريين على حد سواء، وإعطاء الحق للمتهمين في اختيار من يدافعون عنهم<sup>1</sup>.

والحق أن مؤتمر الصومام قد كرس نل وعمق مبدأ القيادة الجماعية: على المستويين الداخلي والخارجي، ووضع مؤسسات قوية لنورثة، وهي: المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، وجان أخرى اقتصادية واجتماعية وإعلامية وثقافية... الخ .

كما خرج المؤتمر أيضا بوضع ميثاق تضمن القضايا الوطنية إبان الثورة وبعد استرجاع الاستقلال الوطني، لاسيما فيما يتصل بالمنهج السياسي والاقتصادية والثقافي، وشكل عصارة الفكر السياسي لقادة الثورة الجزائرية، التي نعت في تجويز جبهة التحرير الوطني إلى منظمة وطنية حقيقية وحيدة، حققت تفوقها على سائر الأحزاب السياسية.

هذا على الرغم من أن البعض يرى في القرارات انحرافا عن مبادئ أول نوفمبر عندما توجب البعد الإسلامي والاقتراب من الاتحاد اللاتكني<sup>2</sup>.

وحملة القول أن مؤتمر الصومام كان أكثر المخططات المضيئة في مسار الثورة التحريرية الجزائرية، لأنه زودها بأفئمة وقوانين جديدة تتلاءم مع مسيرة الكفاح الوطني، بل فقد كانت أكثر بعد في الزمان والمستقبل.

#### المبحث الرابع : إضراب الثمانية أيام 28 جانفي-04 فيفري 1957م:

بعد إضراب الثمانية أيام الذي عرفته الجزائر عام 1957م، من بين الأحداث البارزة التي مررت بها الثورة الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وذلك لأن هذه العملية النضالية تعد امتدادا لعمليات الكبرى التي قامت بها بعض المناطق كهجومات 20 أوت 1955م في الشمال القسنطيني، وهي عمليات منطقة وهران في أول نوفمبر عام 1955م، وتكمن أهميته في امتداده إلى فرنسا حيث كانت أجزالة الجزائرية المهاجرة على موعد معه بتأطير من فدالية إجهة التحرير.

لذا يكمن التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء اتخاذ قرار الإضراب لثمانية أيام من طرف أول لجنة تنسيق وتنفيذ للثورة (أوت 1956م-أوت 1957م)، والتي كان مقرها الجزائر العاصمة، ترى ما هي وقائع هذا

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 244-246.  
<sup>2</sup> - مصطفى هشماوي: جنور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص 127.

## الإضراب وتناحجه<sup>1</sup>.

لقد نظم هذا الإضراب لمدة أيام 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م، بمناسبة انعقاد الدورة الاستثنائية للجنة الأمم المتحدة، بهدف إبراز انضمام كل الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، وهذا بعدما سبقها فترة تحضيرية لهذا الإضراب، حيث عقدت قيادة الثورة اجتماعات مكثفة ولجتي تفهم حقيقة هذا الحدث، ينبغي أن نضعه في إطاره التاريخي من عدة نواحي:

الثورة الجزائرية، السياسة الفرنسية، والمستوى الدولي، المعرفة كيفية اتخاذ قرار الإضراب. فالنسبة لجبهة التحرير الوطني، حاولت تجاوز التحديات التي واجهتها عام 1956م. على الرغم من السمعة التي حظيت بها هذه الجبهة المكافحة من أجل قضية عادلة، إلا أنها لم تكن تسيطر كلية على الوطن حسب شهادة بن يوسف بن خدة<sup>(2)</sup> حيث وجدت جبهة التحرير نفسها في مواجهة الحركة المصالية في اصطدامات عنيفة، كانت خاصة بالعاصمة وفي منطقة القبائل ومنطقة الخضة وتحديدًا ما بين الخلفة وبوسعادة وقصر البخاري، وأمد هذا الصراع الدامي نحو فرنسا، حيث كانت الجبهة تبدو ضعيفة أمام سيطرة الحركة المصالية على المهجر، بسبب دعايتها الزائفة والتي أدعت بأن ما يحدث في الجزائر من عمليات عسكرية في الجبال والعمليات الفدائية في المدن التي كان يقوم بها جيش التحرير، هي من صنعها. وهذا ما يفسر عدم تبعية معظم الجزائريين في تلك الفترة لجبهة التحرير الوطني، والتي تحاول تغيير هذه الموازين لمصنعيها، وفي الوقت نفسه كان عليها أن ترد على شعارات جاك سوسنيل بأن الجزائر جزء من فرنسا، والذي لم يكن يعترف حتى بالاستقلال الداخلي لجزائر، وكانت سياسته مبنية على التفرقة، وزيادة عدد قوات الجيش الفرنسي، واستخدام القمع والتشديد، وهذا نتيجة استجابة السلطات الفرنسية وعلى رأسها الحكومة اليسارية لرغبة المتطرفين من المعمرين<sup>3</sup>.

لذلك عملت لجنة التنسيق والتنفيذ على عقد أول اجتماع بعد شهر من تعيينها في مؤتمر الصومام. لدراسة الوضع في الداخل الوطني والدولي، وبدأت جبهة التحرير تعمل على إظهار ثنوليتها وزعامتها للنضال الوطني، فاستغلت حملة أحداث طرأت على الوضع الدولي قبل اتخاذها قرار الإضراب، وتشمل هذه الأحداث:

- تمويل طائرة أعضاء اللجنة السياسية الخارجية الخمسة وما ترتب عن هذه العملية من ردود الفعل في الجبالين الوطني والدولي.

1- بن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف: نادر النعمان للطباعة والنشر الجزائر: 2004، ص 109.  
2- بن يوسف بن خدة: من مواليد الدرواقية بالمدينة 23 فيفري 1920، نال الدكتوراه، ثم تحصل على شهادة الصيدلة من جامعة الجزائر، اضطر في صفوف حزب الشعب الجزائري. عام 1942م، تعرض للسجن لفترة ثمانية أشهر. بعدها انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ثم أصبح أمينا عاما بين سنتي 1951-1954م، سجن بين نوفمبر 1954م -ماي 1955م، وبعد انقائه بطورقة عين في مؤتمر الصومام، عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، غادر العاصمة بعد مقتل العربي بن مهيدي إلى الخارج، حيث خلفه بوعزة مهامها منها رئاسة الحكومة المؤقتة الثلاثة للثورة أوت 1961-19 مارس 1962م، توفي في 04 فيفري 2003.  
3- بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص 110-111.



- العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر الشقيقة في 29 أكتوبر 1956م حيث شاركت فرنسا فيه للانتقام من مصر، التي كانت تحتضن الثوار بأراضيها معقدة بأنها هي التي تسيّر الثورة وتساعدونها.

تبين الكتلة " العربية " الآسيوية" للقضية الجزائرية وعزمها على عرض القضية على جامعة الأمم المتحدة .  
وفى أثناء فرار الإضراب، والذي جاء بعد دراسة واقعية من طرف أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وبالإجماع، وتمهيدا لذلك تم إرسال التعليمات اللازمة واخذة لكل المسؤولين لمساعدة هذا العمل ونداعيمه، بحيث أرسلت التعليمات إلى رفاقائهم في تونس والمغرب، واتحادية فرنسا والوفد الخارجي بالفاخرة<sup>1</sup> .

لقد أصدرت جبهة التحرير الوطني نداء إلى الشعب الجزائري تدعوه فيه إلى الإضراب لمدة أسبوع أي من يوم الاثنين 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م، والذي استهدف التذليل على أن جبهة التحرير الوطني هي المعبّر الشرعي عن إرادة الشعب الجزائري بأكمله، والسيادة هي لإرادة الشعب بأكمله.

وجاء في البيان الذي وزع في شكل منشورات: "أيها الشعب المجاهد، أيها المواطنين من تجار وعمال وموظفين وفلاحين، وعسكريين، إنكم مستعدون لأسبوع الإضراب العظيم، أسبوع الكفاح السلمي للأمة... واصبروا المصنعة والبطش، وأنواع العذاب الذي يسطه عليكم العدو... شدد أزركم وتأخذ بأيديكم إلى النصر، على الاستقلال"<sup>2</sup> .

وفد استجابت كل الشرائح الاجتماعية الجزائرية لتعليمات جبهة التحرير، وشمل الإضراب كل التراب الوطني واختارح أيضا، حيث تواجد الجالية المهاجرة في فرنسا، وحيث الجزائريون في تونس والمغرب استجابوا للإضراب، وبلغت نسبة الإضراب 90 في المائة، سواء في الإدارة أو المصالح العمومية الرسمية مثل البريد والمسكن الخدمية ومختلف أنواع المواصلات، أو في الأسواق العامة، وتحت مظاهر الإضراب في غنى الدكاكين، ومقاومة الدراء، وهذا من أجل أن يكون لهذه العملية الصدى الواسع، وحق يتمكن مسؤولو الثورة في الخارج من استغلال تلك الأحداث وتزوير الرأي العام الخارجي بالقضية الجزائرية وبعدها.

أما في داخل الجزائر فقد تم توزيع منشور الإضراب على نطاق واسع، وهي موجهة أساسا إلى الجماهير الشعبية بهدف توضيح أهداف الإضراب والغاية منه، مما سهل من عملية تنفيذه في الوقت المحدد وشمل معظم أرجاء الجزائر.

ونظرا لمسؤولية الإضراب هب الجيش الفرنسي كل الوسائل الجسمية، وازدادت عمليات القمع الشاملة ضد آلاف المواطنين الذين ألقي القبض عليهم وتم استنطاقهم بأشنع وسائل التعذيب.

1 - بن يوسف بن حدة، مصدر سبق، ص 120.  
2 - نقلا عن مجلة الزوية، إضراب الشاذلية أيام 28-4 فيفري، 1957، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة  
لون بوفسر 1954م، العدد الأول، جانفي-فيفري، 1996، ص 81.

وفي الأيام التالية لهذا الاضراب، حمل العمال قهرا إلى مقر أعمالهم، كما أباح الجنود الفرنسيون لأنفسهم سحب أرزاق الجزائريين، وحوصرت الأحياء العربية في المدن الكبرى بالأسلاك الشائكة لتسهيل عمليات التضييق.

وإذا كان النصارى المسلمون قد أضربوا فإن زبائنهم أيضا قد أضربوا عن الشراء بدورهم، وتبدوا الأبواب المكسرة من طرف الجيش الفرنسي ومن ورائها منظر المقاهي الشعبية الخالية من روادها، واستمرت بعد 30 جازمي عمليات المناجزة وقتل عدد المضربين مرتفعا على الرغم من الإجراءات المتخذة ضدهم واضطراب البعض القليل من العمال إلى الالتحاق بمكاتبهم، واستمرت جهود السلطات الفرنسية لإرغام العمال والموظفين على استئناف عملهم على الرغم من ذلك ظلت مقاومتهم مرتفعة<sup>1</sup>. ومن النتائج الأساسية التي استحصت من الاضراب: التفاف الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني واستقاط الجزائر الفرنسية، بالإضافة إلى تعزيز مكانة الجبهة داخليا وخارجيا، وتزايد الشعور بالخوف لدى الكولون على الرغم من وجود الجيش الفرنسي بكثافة.

لقد وجدت جماهير المدن نفسها مرة أخرى في خضم المعركة بعد التجربة الأولى أثناء عشرين أوت 1955م؛ حيث تأكدت هذه الجماهير من أن هذه الحرب أصبحت مفروضة على الشعب الجزائري، فاستجاب أغلبيتها لأوامر جبهة التحرير الوطني، وهذا تأكيدا على أنها المفاوض السري والوحيد.

لقد كان هذا الاضراب تجربة أخرى لجبهة التحرير الوطني لإثبات تواجدتها بالجزائر، وتحقيق أهدافها الميدانية في مواجهة السياسة الاستعمارية وضغوطاتها المختلفة، ونتيجة هذه التطورات الناجمة عن الاضراب: توند في أوساط الفرنسيين شعور حاد بالخوف الممزوج بالرعب بعد أن شاهدوا الشعب الجزائري مضطربا ومبغضا لأوامر جبهة التحرير الوطني التي قررت هذا الاضراب العام، وفهم هؤلاء الفرنسيون الذين فروا من الأرياف ولجأوا إلى المدن بعد أن سيطر عليهم الشعور بالخوف وقلة الأمن؛ واضطراب الاستقرار على الرغم من وجود القوات المسلحة الفرنسية بجانبهم، فإن أمنهم لم يعد أمرا مضمونا. وقد تطور هذا الشعور بتطور الحرب، كما يمكن إدراك القوة السحيقة التي صادرت تفصل بين الجزائريين والفرنسيين والتي واكب نموها تطور الحرب واشتداد عمليات القمع والإرهاب.

<sup>1</sup> - بن يوسف، ابن خلدون، مصدر سابق، ص 122.

<sup>2</sup> - أحمد ميجور: "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، مرجع سابق.

وبهذا دخلت الجمهورية الفرنسية الرابعة في مرحلة الاحتضار، لأن القادة العسكريين الذين برزوا في معركة الجزائر العاصمة وأثناء سواجحة إضراب السانتيه أيام، هم الذين قاموا بانقلاب 13 ماي 1958م، وأتوا بالجنرال شارل ديغول للحكم<sup>1</sup>.

وبخلاصة القول أن إضراب السانتيه أيام الذي استمر من نهاية شهر يناير - جانفي 1957، إلى أربعة فبراير فيفري 1957، قد شكل حجر الزاوية في البرهنة على التفاف الشعب حول قيادته الثورية، على الرغم من سوء العذاب الذي سبغ على العمال والشحار والخرفيين الذين امتنعوا عن العمل في ذلك الإضراب الكبير.

#### البحث الخامس : مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات :

عمل شارل ديغول على ضمان نجاح مشروعه الجديد، الذي أعده في شهر نوفمبر 1960م، وشعاره "الجزائر جزائرية"، والذي أكدّه في تصريح مما جاء فيه: "لما كنت قد توليت الرئاسة الأولى في فرنسا، فقد قررت، باسمها اتباع الطريق الذي لا يؤدي إلى الجزائر التي تحكمها فرنسا، وإنما إلى الجزائر الجزائرية، ويعني ذلك أن الجزائر ستصبح مستقلة وتتمتع إذا شئت - وهذا هو الواقع - بحكومتها ومؤسستها وقوانينها"<sup>2</sup>. وحاول ديغول الترويج لمشروعه عن طريق الدعاية الواسعة له من جهة، وزيارة الجزائر بنفسه بتاريخ 9 ديسمبر 1960م من جهة أخرى<sup>3</sup>. نعد هذه الزيارة الخامسة من نوعها، حيث قرر ديغول القيام بجولة تفقدية جديدة تدوم ما بين خمسة أيام إلى عدة أيام، وتشمل زيارة المدن التالية: عين شوشة، تلمسان، الشلف (Orléans ville)، قيزي وزو، لحاية، سكيكدة (Philippe ville)، وبسكرة. وقدف إلى معاناة حذيفة ما يجري في الجزائر عن طريق إجراء العديد من اللقاءات الشخصية تجمع الجنرال ديغول مع مختلف الضباط العسكريين وأعضاء المصالح والإدارات الفرنسية، والعديد من الشخصيات الجزائرية المنتخبة في المجالس الاستشارية الفرنسية لتحضير الاستفتاء الذي تقرر إجراؤه في 8 جانفي 1961م. فكانت هذه الزيارة سببا في اندلاع مظاهرات المعمرين، حيث وبحسب الإعلان عن تاريخ الزيارة، قامت جمهرة الجزائر الفرنسية، التي أصبحت تتمتع بثقود واسع وسط المعمرين، بإصدار بيان إلى المعمرين بتاريخ 8 ديسمبر 1960م<sup>4</sup> ومما جاء في هذا البيان: "يطلب من العمال والفلاحين والخرفيين والموظفين وأرباب العمل، ومن النساء والشيوخ والأطفال الخروج إلى الشارع للتأكيد على مبدأ الجزائر الفرنسية"، ثم ختم البيان قائلا: "لقد حان الوقت لإبراز تصميمنا القوي على أن تبقى فرنسيين فغدا سيكون قد فات الأوان".

<sup>1</sup> بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص 128.

<sup>2</sup> - شارل ديغول، مذكرات العمل، ترجمة سموحي قوة العتة، ط2، منشورات عريب، بيروت، 1986، ص 102.

<sup>3</sup> فرانسوا ميتران، المرجع السابق، ص 278.

<sup>4</sup> - La Dépêche de Constantine : N° 16743 vendredi 9 décembre 1960.

وقد انطلقت مظاهرات المعمرين بصفة رسمية يوم 9 ديسمبر 1960م، في أهم المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، وهران، وقسنطينة، وعين قوشة، والمسلمان، وسكيكدة، والبسدة وسيادي بلعباس وصاحبيت. هذه المظاهرات الصاخبة شن سلسلة من الإضرابات في مختلف القطاعات الاقتصادية والتجارية مما أدى إلى شلل تام لأغلب تلك المدن. وهذا الرد على تحركات ديغول، ورغبته في إقناع الأوروبيين في الجزائر أنه سيد الموقف في فرنسا، وأنهم لن يستطيعوا من الآن فصاعدا فرض إرادتهم على فرنسا. فكان رد فعل الجزائريين المسلمين ردا مؤججا بين العنوية والتنظيم من جبهة التحرير الوطني، بعدما قاموا بمظاهرات معادية ينادون فيها باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطني، وأكدت هذه المظاهرات، بأنه من الصعب على فرنسا أن تسترد ثقة المواطنين الجزائريين، الذين عانوا من القمع الذي مارسه الحركات الفرنسية وجنودهم<sup>1</sup>.

فالإلام المتراكمة هي التي دفعت الجماهير إلى مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، علاوة على توجيه وتنظيم جبهة التحرير الوطني إلى القيام بهذه المظاهرات التي شكلت منعطفا حاسما في مسار الثورة، وكانت العتبة الأولى التي انطلقت منها مفاوضات الانفصال النهائي عن فرنسا في الوقت الذي كان الفرنسيون يعتقدون بأنهم قد قمعوا الثورة الجزائرية وأهلكوا قواها، وأنهم أحرزوا النصر العسكري.

إن الانتفاضة الشعبية التي عرفت بها الجماهير الجزائرية في المدن، لدليل قاطع على بطلان الإدعاءات الفرنسية، وأكدت على وحدة الشعب الجزائري والثقافة حول قيادته الشرعية والوحيدة جبهة التحرير الوطني وحكومتها المؤقتة، وأظهرت هذه الانتفاضة روح الكفاح والقدرات النضالية التي ظلت مرتفعة لدى الجماهير على الرغم من الإرهاب البوليسي والعسكري، فأفنت ديغول بضرورة التفاوض، وأن كل محاولة نرمي إلى حل عسكري ستبقى بدون جدوى.

حظيت مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، بتغطية إعلامية واسعة من قبل الصحافة الفرنسية المرافقة لزيارة الجنرال ديغول، كما حظيت باهتمام الصحافة الأمريكية والبريطانية التي نشرت العديد من المقالات، تحدثت فيها عن وقائع هذه المظاهرات الشعبية وحقيقة الصراع الفرنسي- الجزائري. وقد أمهمت هذه التغطية الإعلامية إلى حد كبير في دفع المنظمة الأممية إلى مناقشة القضية الجزائرية للمرة السادسة وسط تضامن دولي متزايد.

وفي يوم 20 ديسمبر 1960م، أصدرت الجمعية العامة قرارا تحصل على موافقة ثلاث وخمسين دولة: مقابل ثمانية دول، وتضمن القرار:

[ الاعتراف بحق الشعب الجزائري بخزية تقرير مصيره والحصول على الاستقلال.

<sup>1</sup> - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص: 524.

2- الاعتراف بضرورة الحصول على كل الضمانات التي تسمح له بتحقيق هذا الهدف، مع احترام سلامة الأراضي الجزائرية ووحدةها.

3- يعود للأمم المتحدة مسؤولية تطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره<sup>1</sup>.  
وقد توصل الناطق الرسمي لأركان الحرب داخل مقر الولاية العامة إلى إخلاصة الآية: "إننا قد تكبدنا ديون بيان في النفسية"<sup>2</sup>.  
وهذا يدل على الفشل الذريع الذي منيت به المخططات الفرنسية في مواجهة إرادة الشعب الجزائري في الاستقلال.

وهكذا انقلب السحر على الساحر، وبينما حياء كبير الفرنسيين ورؤسهم الأمل في صيانة الجزائر من الضياع، ليؤكد فكرة الجزائر الفرنسية، فإذا به يصطدم بأعني قوة جماهيرية لم يسبق لها مثيل تادي بالجزائر الجزائرية العربية المسماة، فتأكد ولأول مرة أنه لا أمل في المداينة والعناد السياسي والعسكري لأن القوى الحية في الأمة الجزائرية، لم تعد ترضى بأي بديل كان عن استقلالها الوطني.  
لأن بيان أول نوفمبر كان قد أكد من ست سنوات خلت أن الثورة لا تريد القيام بالحرب من أجل الحرب، بل تفضل الحوار والتفاهم، فالجواب ليس هدفا وإنما وسيلة لتحقيق الاستقلال. وكانت دعوة جبهة التحرير صريحة: "من أجل تجنب التفسيرات الخاطئة والأعداء، ومن أجل إظهار رغبتنا في السلام والحد من الخسائر البشرية وإراقة الدماء، تعرض على السلطات الفرنسية أرضية مشرفة للنقاشات"<sup>3</sup>.  
ومن هنا طرحت فكرة المفاوضات بقوة على الساحة الجزائرية، لكن الرد الفرنسي كان سريعا على لسان وزير الداخلية فرانسوا ميتيران: "التفاوض الوحيد في الجزائر هو الحرب".

هكذا فرضت الحرب على الجزائر وظال أمدها بسبب تعنت وتصلب القادة الفرنسيين ومخاطبتهم ومراوغاتهم. ولم تكن لدى السلطات الفرنسية النية الصادقة في فتح باب المفاوضات مع الثورة لأن المشكلة بالنسبة لها مشكلة داخلية فرنسية، لكن بعد الضغوطات الخارجية التي ظهرت بدأت الحكومات تتحجج بعدم وجود تجاوز حقيقي من الجزائريين، أمام عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني وصفت بأنها منظمة إرهابية، وهي إحدى العوائل التي اختلقتها فرنسا مما أحر إجراء المفاوضات. ولكن الذهاب إليها أصبح أمرا ملحا على الطرفين، ولاسيما الطرف الفرنسي، والملح أن المفاوضات انطلقت بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية في صيف 1961م. ولكنها كانت مفاوضات طويلة وشاقة، بدأت في شكل اتصالات غير رسمية من أجل حسن النية ودراسة نقاط القوة ونقاط الضعف، كانت أول تلك الاتصالات مع

<sup>1</sup> - Khalfia Mammeri, Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNEID, Alger, 1969 p206.

<sup>2</sup> - جيلاني مساري، مظاهرات ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني، مجلة المصباح، العدد الثاني، 1999، المركز الوطني للتراسات والدراسات، في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص 148.

<sup>3</sup> - بيان أول نوفمبر.

مصطفى بن بواعيد وبين يوسف بن خدة في سجنهما حيث التقى بمسؤولي الدائرة العسكرية للحاكم العام جاك سوسيل، كما التقى بكل من فرحات عباس وحسين لحول والشيخ خير الدين قبل التحاق هؤلاء رمحيا بالثورة.

أما أول لقاء بقيادة الثورة فجري في بداية 1956م، بين مبعوثي غي مولى الصحفيين جان دانيال وروبار بار، بعد أن دبر لهما أندري مندوزي لقاء مع بن يوسف بن خدة وعبان رمضان، وفي شهر مارس التقى عبان رمضان بمبعوثي مائنداس فرانس، اخامين شارل قارلي وريبي ستيب، ودار الحديث بينهم حول إسكافية تنظيم مفاوضات رسمية، وأثناء ذلك قدم عبان رمضان شروط الثورة وهي:

- 1- تعيين وفد يمثل جبهة التحرير الوطني من قيادات الداخل والخارج.
  - 2- الالتقاء في إيطاليا أو يوغسلافيا.
  - 3- وقف عمليات القمع وتقديم ضمانات لأعضاء الوفد الجزائري.
  - 4- يتوجب على الطرف الفرنسي تعيين بعثة عالية المستوى<sup>1</sup>.
- ثم التقى محمد حوضر في القاهرة بمبعوثين عن غي مولى، عرضا عليه النقاط الآتية:
- 5- وقف المعارك وإلقاء السلاح. إجراء انتخابات حرة. إخلاص إلى مائدة المفاوضات مع النواب الذين يختارهم سكان الجزائر.

وهذا كله بقصد إخراج جبهة التحرير الوطني، وإعطاء انطباع عنها بأنها جبهة متشددة وغير مسعدة لحل المشكل الجزائري بطريقة سليمة، وعليه فإنها تتحمل مسؤولية مواصلة الحرب، وسقوط الضحايا في ميدان المعركة، كما أن "غي مولى" كان يهدف إلى عزل الجبهة عن تونس والمغرب، وذلك في حال عدم خضوع القيادة الجزائرية إلى الضغوط التونسية والمغربية بانتهاج سياسة معتدلة. ومن جهة أخرى حصلت الحكومة اليسارية على سلطات خاصة نحوها لما تجلس النواب الجدد فراحتم تزيد من القدرة التجميعية لحيشها.

وعلى الرغم من ذلك انعقد لقاء آخر في السادس والعشرين من شهر جونية 1956م، بينعواد جمع الجزائريين أحمد فرانسيس أحمد يزيد بمبعوثين فرنسيين عن الحزب الاشتراكي الحاكم برعاية "المارشال برور تيتو" (1892-1980)<sup>(2)</sup> طالب خلالها المبعوثان الجزائريان شعبلا رسميا للحكومة الفرنسية وإجراء لقاءات سرية وغير رسمية. فوقع ذلك يوم 17 أوت 1956م بروما، حيث فاد البعثة الجزائرية محمد حوضر، لكن الطرف الفرنسي عرض نفس مقترحات لقاء القاهرة إضافة إلى توضيحات إضافية عن حدود الاستقلال الداخلي، التي تستثني الحريات العامة والحقوق الفردية والمسألة العسكرية والشؤون الخارجية

<sup>1</sup> - Dahou Ould Kablia, la guerre d'Algérie, contacts, pourparlers, négociations, l'autre combat pour l'indépendance, in El-Massadi, n° 07 p 23.

<sup>2</sup> - "نور: جوزيف برور: 1892-1980، ريفر: يوغسلافيا سابقا، من أصل كرواتي.

والنخطيط الاقتصادي والمالية<sup>1</sup>. وردت الثورة على هذه المقترحات بعد شهر بالرفض، حيث كان مؤتمر الصومام قد حدد شروط التفاوض كما جاءت في بيان أول نوفمبر، لتتوقف هذه الاتصالات بعد ذلك بسبب الشروط التي أكد عليها ميثاق الصومام واختطاف الزعماء الخمسة والعدوان الثلاثي على مصر والاعتداء الفرنسي على قرية ساقية سيدي يوسف وعدم الاستقرار السياسي في فرنسا بسبب سقوط الحكومات ثم قيام حركة 13 ماي 1958م، التي حملت دغول إلى السلطة.

لقد تبادلت الحكومات الفرنسية في تطبيق سياستها المقلسة في التعامل مع الثورة الجزائرية رافضة الاعتراف بكفاح الشعب الجزائري، على الرغم من توفير الثورة من جانبها كل الظروف المساعدة خاصة بعد تأسيس الحكومة المؤقتة ناصبة العراقل والصعوبات أمام فرص فتح محادثات جديدة بين الطرفين الجزائري والفرنسي، حول مستقبل الوضع والتوصل إلى اتفاق عادل يحقق مصالح الشعبين.

و لم تبدأ المفاوضات الجدية إلا منذ عهد ديغول الذي تأكد من استحالة القضاء على الثورة بالنوازل العسكرية. وعلى الرغم من ذلك فإن المفاوضات الفرنسية، اتبع سياسة المتابعة للتهرب من المسائل الجوهرية، وعدم الاعتراف بالصريح بجهة التحرير كمجاوز أساس ووحيد يمثل الثورة والشعب الجزائري.

فكانت المبادرات المعنة محاولات يائسة للاحتفاظ بالجزائر الفرنسية، وهذا من خلال مبادرة سلم الشجعان التي أطلقها ديغول يوم 23 أكتوبر 1958م، من خلال مؤتمر صحفي مخاطباً رجال الثورة<sup>2</sup> : "... أقول دون مواربة أن رجال الانتفاضة قاتلوا بشجاعة... فليأت سلام الشجعان، وأنا متأكد بأن الأحقاد ستروى".

ثم جاءت المبادرة الثانية التي تعذرت وأعمرت الشروع في المفاوضات، وهي مبادرة تقرير المصير التي أطلقها ديغول في بيان 16 سبتمبر 1959م، والتي أراد من خلالها ديغول وضع سند قانوني لسياسته الجزائرية أمام الرأي العام العالمي.

واعتقد أن المبادرة الحقيقية لفتح باب الحوار والتفاوض مع الجبهة، كانت من خلال دعوة الرئيس ديغول جبهة التحرير يوم 10 نوفمبر 1959م، حيث جاء فيها<sup>3</sup> : "أقول مرة أخرى إنه إذا كان قادة الانتفاضة يريدون النقاش مع السلطات حول شروط المعارك، فباستطاعتهم القيام بذلك وأكرر أن الشروط ستكون مشروطة...".

كان ديغول يعتقد بأن مبادرته تلك كانت إيجابية، وعليه إقناع الأطراف الأخرى بها، حيث يشير إلى مؤيدي فكرة الجزائر-فرنسية والشيوعيين والأشتراكيين الذين يعرفون بكثرة انتقاداتهم له، حيث أن ذلك

<sup>1</sup> - Ibid, pp 24-25.

<sup>2</sup> - رضا منتفك، الجزائر في ايليان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، دار فخر من غصون، ط1، المؤسسة الوطنية للثقافة والاعمال، الجزائر- وشار القزالي، ديروا، 2003، ص 57-58.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 70.

سوف يغضب الفئة الأولى، ويخلق لدى الفئة الثانية روح العداوة، وأما الفئة الثالثة، فإنه مقتنع بأنها تؤمن بذلك ولكنها تخفي هذا الأمر<sup>1</sup>.

بعد أن اقنع ديغول وأخكومة الفرنسية بأن المفاوضات هي المخرج الوحيد والصحيح للخروج من الأزمة الجزائرية، بدأت العراقل الأخرى تظهر لإجهاض هذه المفاوضات وتوقيفها ثانيا فوقعت حركة التمرد في أبريل 1961م.

وبعد هذه الحادثة أبدى ديغول حسن النية في استئناف المفاوضات، فأعلن عن إجراءات محددة تمثلت في هدنة لمدة شهر من جانب واحد، وإعادة فرقة كاملة من الجيش وعدة أسراب من الطائرات إلى فرنسا والإفراج عن حوالي ستة آلاف جزائري، ثم الإجراء الهام وهو الإفراج عن الخمسة التاريخيين<sup>2</sup>.

منذ مارس 1961م، أصبحت المفاوضات جدية ورسمية وتسنج ذلك من نص بحث به ديغول إلى المتفاوضين جاء فيه<sup>3</sup>: "يعتبر الجزائر ديغول أن المهم في الأمر هو أن يفتح لعامل رسمي، يستطيع الطرفان أن يطلا على الحاضر ولا على المستقبل قبل أن يعرضا لوجهي نظرها كمسؤولين، واقترحت الحكومة الفرنسية أن تحصل هذه المناقشة؛ علما بأنه لكي تبدأ ينبغي ألا يثار أي شرط مسبق لا من هذا الطرف ولا من ذلك..."

وهكذا انتهى هذا النص المرحلة الأولى من الاتصالات السرية التي كانت تقع من حين لآخر بين قادة الثورة وممثلي ديغول أو الحكومة الفرنسية. وجعل الاتصالات الآن رسمية وبالتالي فتح الطريق إلى اتفاق التي تمخض عنها توقيع الاتفاقيات النهائية التي وضعت حدا للقضية الجزائرية ونوجت بأول إعلان وهو إعلان وقد إطلاق النار يوم 19 مارس 1962م.

#### المبحث السادس: الوفد الخارجي ولجنة التنسيق والتفيع (C.C.E):

##### أولاً: الوفد الخارجي:

بعد الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني الأداة الدبلوماسية الأولى للثورة التحريرية الكبرى في الجزائر، حيث أدرك قادة الثورة منذ الوهلة الأولى أهمية المعركة الدبلوماسية في الكفاح التحريري الذي سيخوضه الشعب الجزائري ضد القوة الاستعمارية الفرنسية، فكان اتصال محمد بوضياف بمنسق عملية تفجير الثورة بأحمد بن بلة أحد العناصر الثلاث<sup>(4)</sup> المشكلة للوفد الخارجي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

<sup>1</sup> - شارل ديغول، مرجع سابق، ص 96.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 126.

<sup>3</sup> - ص 136، مرجع سابق، ص 136.

<sup>4</sup> - تشكل الوفد الخارجي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية من الثلاثي محمد خيضر، وأحمد بن بلة ونيت أحمد وذلك منذ أواخر سنة 1953م، وكان أول من وصل إلى القاهرة هو محمد خيضر وذلك عام 1951 ثم تلقى بن حسين بن أحمد في أوائل 1952، حيث كليهما ممثلي الحاج بتمثيل الحزب بدلا من الداعي المكي خلال شهر أكتوبر 1952م، وفي أواخر 1953م تلقى بهم أحمد بن بلة.



وبهذا دخلت عناصر الوفد الخارجي وعلى رأسها أحمد بن بلة في عملية التحضير للثورة المسلحة منذ جويلية 1954م، حيث كلفت بكسب الدعم المصري، وتوفير السلاح للثورة<sup>1</sup>، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الوفد الخارجي يعمل لصالح "اللجنة الختماسية" بدلا من العمل لصالح الحزب، وعشية اندلاع الثورة التحم محمد بوضياف بالوفد الخارجي حيث غادر الجزائر يوم 26 أكتوبر 1954م، عندها صار الوفد يتشكل من الزباني محمد حبيضر، وحسين آيت أحمد وأحمد بن بلة ومحمد بوضياف، كما أصبح ممثلا لجهة التحرير الوطني في الخارج.

وفي أول لقاء بين أعضاء الوفد الخارجي، تقرر أن يتولى محمد بوضياف وأحمد بن بلة المهام العسكرية، ويتقاسم المهام السياسية والدبلوماسية كل من محمد حبيضر وحسين آيت أحمد.

وعليه انقسم عمل الوفد في القاهرة بين محمد حبيضر الذي تكفل بالجانب السياسي انطلاقا من مكتبته بمرحلة تحرير المغرب العربي<sup>(1\* 2)</sup>، وزميله أحمد بن بلة الذي تكفل بالجانب العسكري والذي كان له مكتب مستقل. وأما حسين آيت أحمد فقد توجه إلى نيويورك ليصبح أول ممثل لجهة التحرير الوطني هناك. غير أن الوفد الخارجي لم يتمكن من تحقيق الوعود التي قطعها على نفسه سواء ما تعلق منها بالدعم المقدم من الحكومة المصرية أو عن طريق شرائها السلاح من الخارج، وإثر ذلك ساءت العلاقة بينه وبين الثورة الداخلية لقيادة الثورة.

لذلك نقل نشاط الوفد الخارجي إلى سويسرا وبعض العواصم الأوروبية، لقرب أوروبا من الجزائر، وسهولة الاتصال بمختلف الجهات، وهنا نلاحظ تطور نشاط الوفد الذي أصبح لا يقتصر فقط على شراء السلاح ونأمين إحصائه إلى الثورة، وإنما تعداه إلى شرح القضية الجزائرية وتدويلها<sup>3</sup>.

ولكن في يوم 24 سبتمبر 1956م، ألقي القبض على عناصر الوفد الخارجي بعد تحويل الطائرة التي كانت تقلهم من المغرب نحو تونس إلى مطار الجزائر وهم: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد حبيضر ومحمد بوضياف، ومعهم مصطفى الأشرف، ثم ألقي بهم في السجن إلى توقيف القاتل بين الطرفين يوم 19 مارس 1962م.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحفون، الكفاح القومي والسياسي، ج 3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1981م، ص 463.  
<sup>2</sup> - الكتاب، مجلة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، وذلك في 05 جويلية 1948م، انتقلت عن مكتب المغرب العربي التابع للجامعة العربية، الذي أنشأ خلال مواسم الجامعة المتعددة ما بين 15/2 فيفري 1947م، وضم سبكي الأحرار الوطنية المغربية الثلاثة، وتشكل المكتب لأول مرة من: محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا، وأحمد بن عبد الكريم الخطابي وكيل الرئيس، وأحمد بن بلة أمين، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي أمين الصندوق.

<sup>3</sup> - ينظر إلى: عامر ربيعة، اندلاع الثورة الوطنية، على الأعضاء العرب 1945م-1954م، مجلة المصائر، المركز الوطني للدراسات والبحوث، العدد 6/سبتمبر 2002، ص 36-40.

<sup>4</sup> - عبد القادر خليفي، المؤتمرات الأفراسية والقضية الجزائرية، مجلة المصائر، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية، الثورة أول نوفمبر، العدد 118/ماي 2003، ص 222.

لكن الوفد لم ينته بإلقاء القبض على أعضائه المؤسسين، بل فقد تكون من أعضاء جدد وعقد أول اجتماع له بعد جاذلة الطائرة بالقاهرة يوم 08 مارس 1957م، الذي تقرر فيه إنشاء مكتب خاص بجهة التحرير ضمن هيئة الوفد، تشكل كالآتي:

أحمد توفيق المدني، رئيسا للمكتب والدكتور أحمد فرنسيس كاتباً؛ والعباس بن الشيخ الحسين عضواً، وحامد زواجية عضواً، وعبد الرحمان كيوان عضواً. وتم تحديد مهمة المكتب وطريقة عمله على الصفة الآتية:

1. المكتب مكلف بتنفيذ المهمات التي قررت لجنة التنسيق والتنفيذ قيامه بها.
  2. العلاقات مع الحكومة المصرية حسب تعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ.
  3. العلاقات مع الجامعة العربية.
  4. الاتصالات مع السلك الدبلوماسي بمصر.
  5. الاتصال بالمشخصيات والمنظمات المصرية والعربية.
  6. مراقبة الصحف والإذاعة، وكل ما ينشر وينذاع عن القضية الجزائرية وإصدار المعلومات والتصحيحات التي يستوجبها ذلك.
  7. الدعاية، وذلك بإصدارشرة رسمية أسبوعية، أو نصف شهرية تعطي أخبار الجزائر وتبين وجهة نظر الوفد الخارجي في كل المسائل الخامة.
  8. إذاعة حديث يومي باللغة العربية في صوت العرب وحديث آخر باللغة الفرنسية عن القضية الجزائرية.
  9. نشر المقالات التي ترد عليه من المكتب المركزي لنشر في الصحف المحلية.
  10. القيام بالأعمال الإدارية والإجراءات اللازمة لأعضاء الوفد من إقامة وسكن وتأشيرات... الخ.
  11. يكون بالمكتب ملحق ثقافي مهمته الاهتمام بالطلبة الجزائريين الموجودين بمصر.
  12. يوضع تحت تصرف هذا المكتب المعاونون الآتية أسماؤهم: الأستاذ: ابن با أحمد، والحاج البومعادي والسعادي عتمان، وغيرهم ممن يرى المكتب وجوب الاستعانة بهم لإنجاح مهمته<sup>1</sup>.
- وبهذا التنظيم الجديد ازداد أداء الوفد فعالية بفعل الدعم الذي أصبح يقدمه له مكتب القاهرة، أصبح الوفد يؤدي دورا دبلوماسيا وانعا زاد من كسب التأييد الدولي للثورة من خلال البعثات والرحلات المكوكية التي قام بها أعضاؤه.

وعلى إثر انعقاد المجلس الوطني للثورة بالقاهرة يوم 20 أوت 1957م، بعد خروج لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج، تم تقسيم عمل الوفد للفترة الممتدة ما بين 22 أكتوبر 1956 إلى 20 أوت 1957م، ثم تقرر أن تتولى لجنة التنسيق والتنفيذ التي أسسها مؤتمر الصومام سنة 1956م، مهمة تمثيل الثورة في الخارج

1 - المصدر السابق، ص 286-287

بالإضافة إلى المهام الأخرى الموكلة لها والإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في الوقت الذي يراه مناسبا<sup>1</sup>.

هكذا إذن استلمت الهيئات المنتهقة عن مؤتمر الصومام مهمة الوفد الخارجي خاصة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تأسست في 19 سبتمبر 1958م، بالقاهرة، وهو تطور منطقي للأحداث يندرج ضمن تفعيل دور تلك المؤسسات التي تضمن نجاح الثورة.

#### ثانيا: لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E):

تعتبر هذه اللجنة هيئة تنفيذية، انبثقت عن مؤتمر الصومام، ويتم تعيين أعضائها من طرف المجلس الوطني للثورة. كانت لجنة تمثل مكتبا سياسيا أحيانا وجهازا للحرب أحيانا أخرى حيث تمسك كل السلطات السياسية والعسكرية ما بين دورات المجلس الوطني للثورة. هكذا جمعت سلطات جبهة التحرير الوطني في جهاز قيادي واحد ومحدد ومركزي لا يترك أي ثغرة للمفوضي قبل تدخل الصلاحيات<sup>2</sup>.

وقد احتير أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ من بين الأعضاء في الداخل، وكان مقررا أن يكون أحمد بن بلة ضمن طاقمها إلى جانب قادة الولايات الأربعة في المجلس الوطني للثورة، وهم زيغود يوسف وكریم بنقاسم وأحمد أوعمران والعربي بن مهيدي<sup>3</sup>، لكن استشهاد زيغود ثم إلغاء القبض على أحمد بن بلة في حادثة تحويل الطائرة يوم 22 أكتوبر 1956م جعل التركيبة الأولى للجنة تتشكل من: عابان رمضان وكریم بنقاسم ومحمد العربي بن مهيدي وبن يوسف بن خدة وسعد دحلب، ثم اختيارهم على أساس تفرغهم واستعدادهم في غياب بن بلة وأيت أحمد وبوضياف.

استقر أعضاء اللجنة في الجزائر العاصمة بشكل سري، وكانوا يجتمعون دوريا ويتخذون القرارات جماعيا، ووزعت المهام على الأعضاء، حيث كان دحلب مسؤولا عن الإعلام والدعاية، وكان بن خدة مسؤولا عن الاتصال بالفرنسيين المتعاطفين مع الثورة وبالشبيوعين الذين لم يشقوا بعد بالثورة وعن تأمين الأسلحة، وكان بن مهيدي على اتصال بالتنظيم الفدائي في القصبة، وأما كرم بنقاسم فكان ينسق بين الولايات<sup>4</sup>.

وعلى إثر انعقاد المجلس الوطني للثورة، تم تنصيب لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية التي أصبح عدد أعضائها أربعة عشر عضوا، بدلا من خمسة، وهم: كرم وعابان وبوالصوف وبن طوبال وأوعمران ودباغين ومهري ومحمود الشريف وفرحات عباس، إضافة إلى الخمسة المعتقلين بعضوية رمزية أو شرفية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السبتر لقدم، ص 131.

<sup>2</sup> - Saad Dahleb, op.cit., p. 11.

<sup>3</sup> - وأيت أحمد، كراوية، الثورة والقيادة السياسية، الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1981م، ص 134.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص 135.

<sup>5</sup> - Ibid, p p 84-85.

وعندما استقرت اللجنة في القاهرة بدأ نشاطها يتجه نحو العمل السياسي، وحتى القبادات التي كانت تحسب على النشاط العسكري أصبحت تتعاطى الشياطة مثل كريم بنقاسم وعبدان رمضان فأُجِبت إلى البلدان العربية لشرح القضية الجزائرية وكسب الدعم المادي لها.

وفي 19 سبتمبر 1958 قرر أعضاء اللجنة تحويلها إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لينتهي مسيرة هذه اللجنة بعد وفاة عبدان رمضان وسيطرة البعثات الثلاث على قيادة الثورة.

**البحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A):**

**أولا/ المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A):**

تطبيقا لإستراتيجية الثورة في تأسيس هياكل وأجهزة تنظم العمل وترسخ مبدأ القيادة الجماعية نص مؤتمر الصومام على تأسيس سلطة تشريعية ممثلة في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، حيث اعتبر بمثابة برلمان الثورة، وأعطيت له السلطة العليا في اتخاذ القرارات وهو يتكون من أربعة وثلاثين عضوا، سبعة عشرة بالأصالة وسبعة عشر بالنيابة، فقد كلف برسم وتوجيه السياسة العامة الداخلية والخارجية للهيئة التحرير الوطني، وتحديد خطط عملها، وتوزيع جميع سلطات اتخاذ القرار والمراقبة على أجهزتها.

كما اعتبر هذا المجلس هو الممثل عن السيادة الوطنية وحارسها طامنا بقيت الحرب مستمرة وله صلاحية التشريع ومراقبة الحكومة إلى أن تحرر أرض الوطن<sup>1</sup>.

والحق أن المجلس الوطني للثورة قد ضم في عضويته كل التيارات السياسية المتضوية تحت لواء جبهة التحرير الوطني: - أعضاء اللجنة المركزية لحركة الانتصار.

- عناصر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

- جمعية العلماء - الحرب الشيوعي.

وكان التمثيل من الداخل والخارج.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا المجلس قد مثل الشعب الجزائري أوسع تمثيل وبأصدق صورة ممكنة في مثل تلك الظروف، فكان هذا المجلس أصدق تعبير عن الإرادة الشعبية في الجزائر، وشكل هذا التمثيل الواسع لمختلف الأطراف الفاعلة في الساحة الوطنية في تلك الفترة تعبيرا قويا على تحاور إستراتيجية المرحلة الأولى للثورة، والتي اقتصر فيها الاعتماد على العناصر الثورية فقط، ذلك أن تلك الإستراتيجية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تحقق الانتصار على المستعمر الفرنسي الذي وظف كل إمكانياته الذاتية والدولية في أن واحد (الخلف الأتليسي)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الأمين شريط التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998، ص 92.

<sup>2</sup> - محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة علي الخش، دار الفتحة العربية، بنة: ص 142.

كما أن للمجلس الحق في زيادة عدد أعضائه وذلك بموافقة ثلثي أعضائه الحاضرين أو الممثلين ويعين المجلس الوطني للثورة الجزائرية مكتباً له مكوناً من ثلاثة أعضاء فيما بين دوراته، وهو مكلف باستدعاء المجلس الوطني للثورة في دورة عادية أو استثنائية بطلب ثلثي أعضاء المجلس<sup>1</sup>، ومن اختصاصاته: ... تعيين الهيئة التنفيذية، التي تقوم بتنفيذ خطته العسكرية والسياسية من بين أعضائه - منح الحكومة ثقتها وتنصيبها بأكثرية الثلثين من أعضائه الحاضرين أو الممثلين.

3. يتخذ القرارات اللازمة التي تتعلق بمستقبل البلاد.

4. يصادق بأغلبية الثلثين على الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقدها الحكومة مع الدول الأخرى، باستثناء قضية وقف إطلاق النار، التي يجب أن لا تتم الموافقة عليها إلا بأغلبية أربعة أخماس الأعضاء الحاضرين أو الممثلين<sup>2</sup>.

وبصدر هذا المجلس ثلاثة أنواع من الأعمال القانونية هي<sup>3</sup>:

5. اللوائح: وكانت ذات طابع سياسي لا نكتسي صيغة قانونية صرفة.

6. الأوامر الدستورية: وهي ذات طابع تأسيسي.

7. الأوامر التشريعية: وهي ذات طابع تشريعي.

وأما عن دورات المجلس الوطني للثورة الجزائرية فقد عقد منذ تأسيسه سنة 1956م، حتى الاستقلال سنة 1962م ست دورات منها: مؤتمران هما مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م ومؤتمر طرابلس جوان 1962م، وأربع احتساعات في كل من القاهرة وطرابلس الغرب.

وقد عهد الاجتماع الأول في القاهرة خلال الفترة الممتدة من 20 إلى 28 أوت 1957م. وقد حضر هذه الاجتماع ثلاثة وعشرون عضواً وفي هذا الاجتماع ظهرت بوادر التراجع عن بعض قرارات الصومام والعودة إلى الاعتماد على العناصر الثورية، وإبعاد العناصر السياسية حيث حشد هذا التوجه كل من الثلاثي كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوشريف والحضر بن طوبال، وخارج هذا الاجتماع عدة قرارات هي:

1- العدول عن المبدأين المشهورين وهما: أولوية الداخل على الخارج، وأولوية السياسي على العسكري.

2- تعيين لجنة تنفيذ جديدة من تسعة أعضاء، خمسة عسكريين وهم حسب الولايات العقدة: محمود الشريف، بن طوبال، كريم بلقاسم، عمر أوعمران، عبد الحفيظ بوشوفان وأربعة

<sup>1</sup> ينظر: قوانين جبهة التحرير الوطني، محمد يوسف: الجزائر في ظل الميسيرة النضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دحي، جين، وزارة المجاهدين، النكري 40، لوائح الثورة، ص 194.

<sup>2</sup> - عقلة صيف الله، التنظيم السياسي - الإداري في الجزائر 1954-1962، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية بالعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 1995، ص 237.

<sup>3</sup> الأمين شريط، مرجع سابق، ص 105.

سياسيين وهم: عياد رمضان، فرحات عباس، الدكتور الأمين دباغين، عبد الحميد مهرباني، وقد أضيف إلى هؤلاء الأعضاء الفادة الخمسة المعتقلون بفرنسا.

### 3- توسيع المجلس الوطني للثورة إلى 45 عضواً بدل 34 عضواً<sup>1</sup>.

وأما الاجتماع الثاني فقد عقد في طرابلس بليبيا في الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959م إلى 18 جانفي 1960م، بعد اجتماع المقاداة العشرة الذي حملته الحكومة مسؤولية إيجاد حلول لمشاكل الثورة.

1. كما حدد المجلس الوطني للثورة المعام الرئيسية للسياسة الجديدة التي يتعين على الحكومة المؤقتة أن تنتهجها في المستقبل.

ونتم في هذا الاجتماع المصادفة على قوانين بجهة التحرير الوطني والمؤسسات الانتقالية للدولة الجزائرية، فقد تقرر أن كل أعضاء جيش التحرير ضم حق العضوية في بجهة التحرير الوطني، وأن المجلس الوطني للثورة الجزائرية له صفتان فهو صاحب السلطة العليا للثورة، وهو البرلمان الذي يعين الحكومة.

وهذا كان هذا الاجتماع الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية ذا أهمية تاريخية كبيرة حيث شكل الثورة من قوانين وبرنامج عمل على الحكومة أن نسهر على تطبيقه. وعلى إثرها عقد الاجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة في طرابلس من 09 إلى 27 أوت 1961م، وتقرر أن يناقش مسألة المفاوضات مع فرنسا التي توقفت في "لوقران" بسبب مشكلة الصحراء خلال شهر جويلية 1961م، بدأ الاجتماع في جو مشحون على الرغم من الإجراءات الدبلوماسية التي حازت عليها الثورة<sup>2</sup>، بفعل الخلاف الكبير بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة، وفي هذا الاجتماع أبدى أعضاء هيئة الأركان (عني منجلي وقائد أحمد) معارضتهم الشديدة للحكومة المؤقتة وللثلاثي (بوالصوف، بن طوبال، كرم بلقاسم).

بعد التطورات التي مرت بها المفاوضات في عهد حكومة بن يوسف بن خدة، دعت الحكومة إلى عقد اجتماع استثنائي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس، لدراسة نص مسودة اتفاقات إيفيان في كل جزئياتها قبل التوقيع عليها، واتخاذ موقف واضح منها.

وعندها اجتمع المجلس الوطني للثورة في الفترة الممتدة من 22 إلى 27 فيفري 1962م بطرابلس اللبية<sup>3</sup>، وحضره مائة أعضاء عن الحكومة المؤقتة وهم: بن يوسف بن خدة، عبد الحفيظ بوالصوف، سعد دحسنة، كرم بلقاسم، محمد السعيد ومحمد يزيد وثلاثة أعضاء عن قيادة الأركان وهم: هواري بومدين، أحمد قايد، وأعضاء آخرون من المجلس الوطني للثورة<sup>4</sup>.

1- محمد عني، تواريخ عظماء، دار هومة الجزائر: 2003، ص 127.  
2- مصطفى مشوي، جذور توقيع 1954 في الجزائر منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص 191.  
3- عز غيدي محمد حسن، مراجع سابق ص 236.  
4- بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، تعريب حسن زغداد ومحل العين جبالتي، ديوان المطبوعات الجامعية، ت 2، الجزائر، ص 75.

كان المجموع العام للحضور 54 عضواً، صادفوا بالأغلبية على الاتفاقيات وعلى منح تفويض للحكومة المؤقتة لتوقيع عليها<sup>1</sup>.

وعلى إثر هذه المصادقة من قبل المجلس الوطني للثورة استؤنفت المفاوضات من جديد في إيفيان يوم 7 مارس، وانتهت بالتوقيع على وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962م، والذي أعلن عنه يوم 19 مارس 1962م، في منتصف النهار من قبل بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة، وبعدها تم إطلاق سراح المساجين وعلى رأسهم المساجين الخمسة: بن نلة وبوضياف وآيت أحمد وعبد خيضر ورايح برباط، ثم بدأت التحضيرات لعقد مؤتمر للمجلس الوطني للثورة الجزائرية، ومع بداية شهر أفريل 1962م، أرسدت الاستدعاءات إلى جميع قادة الولايات وأعضاء المجلس في الداخل والخارج، ولأول مرة توفرت الشروط لحضور الجميع بهدف إجراء نقاش جدي والعمل على الاستعداد لخامسة المستقبل<sup>2</sup>.

وعلى إثرها عقد مؤتمر طرابلس للمجلس الوطني للثورة الجزائرية من 27 ماي إلى 05 جوان 1962م، بطنابيس الغرب وعملت السلطات الليبية على توفير الشروط الضرورية للمؤتمر حيث منعت الصحراويين والأجانب من دخول المدينة<sup>3</sup>.

انجذب اهتمام المؤتمرين خاصة حول إعادة تنظيم جبهة التحرير وقيادتها، أو السلطة المقبلة في الجزائر المستقلة، التي ستحل محل المجلس الوطني للثورة والحكومة المؤقتة، لكن جلسات المؤتمر انتهت بطريقة غير عادية بسبب شدة الخلافات التي وقعت<sup>4</sup>.

#### ثانيا/ الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A):

بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية بعد أربع سنوات من عمر الثورة حدثا تاريخيا هاما في مسيرة الثورة التحريرية، وخطة جريئة أقدم عليها قادة الثورة حيث شكل استكمالاً لبنائها المؤسساتي، وإعادة بعث الدولة الجزائرية الحديثة، وهذا أكد إعلان الحكومة على تقديم الثورة نحو تحقيق الاستقلال، وذلك بتعزيز العمل العسكري، بمجهود سياسي ودبلوماسي يمكن الثورة من الوصول إلى أهدافها. وقد دفعت جملة من العوامل إلى تأسيس الحكومة المؤقتة حيث يمكن حصرها فيما يأتي :

1. رغبة الثورة في دخول إدعاء الحكومة الفرنسية في عديم وجود طرف جزائري مفاوض خاصة أن ثمة التفاوض قد اتضحت معالمها لدى الطرف الفرنسي، بعد وصول "الجنرال ديغول" إلى الحكم في فرنسا أوائل جوان 1958م<sup>5</sup>.

1 - محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 545.

2 - علي كافي، مصدر سابق، ص 285.

3 - از عتيدي محمد حسن، مراجع سابق، ص 239.

4 - مصطفى فتشوي، مراجع سابق، ص 206-209.

5 - محمد عرش، ثوابي عظماء، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 128.

التنصل الثاني: تنفوز الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية.....

2. توصيات مؤتمر طنجة الذي جمع حزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور التونسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية من 27 إلى 30 أفريل 1958م، ومنها تأسيس حكومة جزائرية بعد التشاور مع الحكومتين التونسية والمراكشية<sup>1</sup>.

3. حاجة الثورة إلى جهاز فعال لكسب التأييد الدولي في خضم التضامن الدولي مع الحركات التحررية.

4. الصعوبات التي أصبحت تواجهها الثورة في الجزائر تونس ومراكش اللتين أصبحتا تحتجزان جزءا من الأسلحة الموجهة للثورة.

هكذا توفرت الأسباب الكافية لتأسيس الحكومة المؤقتة، التي فوض المجلس الوطني للثورة مهمة إنشائها إلى لجنة التنسيق والتنفيذ متى توفرت الظروف، حيث شكلت لجنة فنية وإدارية قامت بتخضير مسودة مشروع تأسيس الحكومة، واجتمعت لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 09 سبتمبر 1958م، ووضعت الخطة النهائية لتشكيل الحكومة<sup>2</sup>.

فكان يوم 19 سبتمبر موقعا للإعلان الرسمي عن ميلاد هذه الحكومة تحت رئاسة فرحات عباس ونائبين له هما: أحمد بن بلة وكريم بفاطم، مع وزارة الدفاع وذلك بحضور عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين والديبلوماسيين العرب فأخذ بذلك الإعلان بعدا واسعا على المستويين العربي والدولي. وتكونت الحكومة بالإضافة إلى المناصب السابقة من ثلاثة وزراء دولة وثمانية وزراء وثلاثة كتاب دولة.

وأما عن أهداف تأسيسها فتتمثل كما لخصها أحمد توفيق المدني هي<sup>3</sup>: "... إقناع الرأي العام العالمي بأن المفاوضات الجزائرية موجودة، وهو يظهر رغبته في الاتصال ضمن مقاضيات وطنية بالحكومة الفرنسية على مقتضى الشروط التي أعلنتها الثورة ... والمهمة الأساسية للحكومة المؤقتة هو تحقيق الاستقلال وتمكين الجزائر من إبداء صوتها في وسط عالمي، والتهيئة لهذا العمل.

أما الهدف الثاني كما جاء في الرسالة التي وجهتها الحكومة غداة تشكيلها للرئيس المصري جمال عبد الناصر حيث جاء فيها<sup>4</sup>: "إن تشكيل هذه الحكومة... في هذا الوقت بالذات، إنما هو رد عملي على على ذلك التحدي الصارخ الذي ألقت به الحكومة الفرنسية على وجه الشعب الجزائري المتجاهد عندما أعلنت سياسة الإدماج التام، وأخذت توالي تنفيذها بواسطة إرغام الشعب على المشاركة في الاستفتاء الذي تقوم به فرنسا يوم 28 سبتمبر 1958م: حول الدستور الفرنسي الجديد... وتضع حدا فاصلا لما

1 - أرغندي، محمد لحسن، مرجع سابق، ص 170.

2 - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 114.

3 - أرغندي محمد لحسن، المرجع السابق، ص 171.

4 - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص ص 402-403.





## 1- المفوض السامي:

حددت مهام المفوض السامي وصلاحياته في المواد من أربعة إلى ثمانية ضمن قسم تنظيم السلطات العامة في الجزائر، حيث يعين بمرسوم صادر عن مجلس الوزراء الفرنسي ويتخضع مباشرة لسلطة وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية. فهو يمثل الجمهورية الفرنسية في الجزائر حيث يسهر على المصالح الإدارية والعسكرية ويساعده في ذلك أمين عام يعوضه في حالة غيابه وضابط برتبة جنرال يكون القائد الأعلى للقوات المسلحة في الجزائر<sup>1</sup>.

وطبقا لذلك تم تعيين السيد كريستيان فوشي<sup>(2)</sup> Christian Fouchet كمفوض سام جديد ومساعد له هو السيد برنار تريكو، مع العلم أن هذه التسمية كانت موجودة منذ عام 1958م أي بعد قيام الجمهورية الخامسة التي ألغيت تسمية الوزير المقيم في الجزائر، والتي اعتمدت سنة 1956م.

## 2- السلطة التنفيذية المؤقتة:

جاءت المواد المحددة لنشاط وسلطات هذه الهيئة في المواد من تسع إلى ثماني عشرة حيث تنألف من رئيس ونائب للرئيس وعشرة أعضاء، كل واحد منهم مكلف بإدارة شؤون معينة حددت كما يأتي: الشؤون العامة، والشؤون الاقتصادية، والزراعة، والشؤون المالية والشؤون الإدارية، والأمن العام، والشؤون الاجتماعية، والأشغال العامة، والشؤون الثقافية، والتربية.

وقد جاء في المادة الخامسة عشر<sup>2</sup>: "تضطلع السلطة التنفيذية بتأمين النظام، وتوضع تحت سلطتها قوة حفظ النظام... وكذلك مصالح الشرطة". وهكذا نستنتج أن قوة حفظ النظام هيئة مؤقتة أخرى رابعة. وبما أن المرحلة انتقالية، اعتبرت هذه الهيئة انتقالية ومؤقتة ومهمتها محددة في الصلاحيات والزمن. فهي تمثل في تسيير شؤون الجزائر فيما بين وقف إطلاق النار والاستقلال، وهي تعمل بالتسابق مع المفوض السامي الفرنسي في الجزائر.

ثم عُيِّن أعضاء هذه الهيئة بالتسابق بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وضممت 12 عضوا، تحت رئاسة عبد الرحمان فارس<sup>3</sup>، الذي التحق رحلما بالمنصب يوم 29 مارس 1962م، فادما من فرنسا مروورا بالرباط حيث التقى بقيادة الحكومة المؤقتة<sup>4</sup>.

ويبدو من الوهلة الأولى أن الهيئة حيادية أو على الأقل تحقق التوازن بين الطرفين، لذلك تم اختيار أعضائها بعناية فائقة، غير أن لكل طرف حساباته، وفرنسا كانت ترى فيها بوابة معادلة لجزائر الغد. أما

<sup>1</sup> - المصدر السابق، من ص 412-413.

<sup>2</sup> - كريستيان فوشي: كان سفير فرنسا في الدمارك، عُيِّن مفوض سامي في الجزائر يوم 19 مارس 1962م، واستمر في منصبه إلى غاية 07 جويلية 1962م.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، من ص 415.

<sup>4</sup> - بن يوسف بن خدة، مصدر، ص 129.

<sup>5</sup> - محمد حسين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ص 550.

الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسستها السياسية والعسكرية..... ١

الحكومة المؤقتة فكانت تأمل أن تكون أداة لاستلام السلطة هلدوء في جزائر الاستقلال<sup>١</sup>، لكن الواقع إنما كانت أداة إدارية تسمّر الجزائر بواسطة بين فرنسا وجبهة التحرير في انتظار إقامة سلطة مباشرة من الثورة<sup>٢</sup>.

كان الأعضاء الجزائريون فيها يتفقون التعيينات من الحكومة المؤقتة ثم أصبحت تأتيهم من المكتب السياسي بعد تأسيسه، حيث وضعت الهيئة تحت متابعة أحمد بن بلة، وهكذا أصبحت مهمتها شكلية بعد ذلك.

واستمرت الهيئة إلى غاية استلام الحكومة الجزائرية السلطة يوم 26 سبتمبر 1962م.

### 3- قوة حفظ النظام:

سميت أيضا باسم القوة الخفية، كانت تتكون نظريا من حوالي سنين ألف رجل، أغلبهم جزائريين كانوا يعملون في الجيش الفرنسي كمتطوعين ومحترفين ومجندين في إطار الخدمة العسكرية<sup>٣</sup>.

حددت المواد تسعة عشر إلى عشرين (19 إلى 20) تشكيل هذه القوة وإدارتها التي تعين بواسطة مرسوم بالاتفاق مع السلطة التنفيذية<sup>٤</sup>، لكن في الواقع أن هذه القوة لن ترى النور على الرغم من تعيين رؤسائها وهما العقيد مقداد ومساعدته العقيد جريالي.

وضعت هذه القوة في تشكيلات الجيش الفرنسي، فكانت تابعة لوجستيا للجيش الفرنسي وهذا ما يجعل استقلاليتها صورية، وتشكلت قوة خارج ذلك الإطار حول مدينة الجزائر قوامها خمسة آلاف رجل بقيادة العقيد غنيم، لكنها لم تتمكن من دخول العاصمة إلا يوم 14 ماي بعد هجوم قوات المنطقة المستقلة للجزائر.

أما جهاز الشرطة الذي وضع تحت تصرف الهيئة، فإنها لم تتمكن من التحكم فيه بسبب سيطرة عناصر منظمة الجيش السري عليه.

وهنا يمكن القول أن الهيئة فشلت في تدبير الملف الأمني وهذا ما جعل الوضع يزداد خطورة مع توسع عمليات المنظمة السرية؛ وقد يكون ذلك هو السبب الذي دفع قيادتها إلى فتح اتصالات مع المنظمة السرية لوضع حد لأعمالها.

<sup>١</sup> - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 200.

<sup>٢</sup> - Belaid Abdesselam. In Le hasard et l'histoire, entretiens de Mahfoud Bennoune et Ali Elkenz, ENAG editions 1990, 101 P 197.

<sup>٣</sup> - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 201.

<sup>٤</sup> - رهناء مالك، محضر سابق، ص 416.

#### 4- محكمة النظام العام:

أما هذه المحكمة فقد يبدو إذا لم توجد، على الإطلاق، لأنها لم تعثر على أية معلومات حولها ما عدا نص المادة اثنان وعشرون (22) التي جاء فيها: "تتألف محكمة للنظام العام تضم عددا متساويا من قضاة خاضعين للنظام المدني العام وقضاة خاضعين للنظام المدني اقليمي".<sup>1</sup>

وما يعزز ذلك الطرح هو تعفن الوضع وصعوبة تطبيق وفرض احترام القانون أو النظام بأي قانون وأي نظام في ظل سلبية السلطات الفرنسية وانشغال المسؤولين الجزائريين بالانصراف على السلطة!<sup>2</sup>

#### ثالثا/ برنامج طرابلس والاختيارات الكبرى:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كان على قادة الثورة التفكير في مرحلة ما بعد إعلان الاستقلال، لذلك اجتمع المجلس الوطني للثورة باعتباره السلطة العليا وبرلمان الثورة في مؤتمر أو اجتماع خاص في طرابلس الغرب ما بين 27 مايو و 06 جوان، لوضع برنامج أو المسهل الذي تسيّر عليه الدولة الجزائرية مستقبلا.

ومن أجل ذلك الغرض شكلت لجنة تحضيرية لصياغة البرنامج وتحضير الوثائق، تكلفت من: بن بلة، أحمد زويد، محمد الصديق بن يحيى، مصطفى الأشرف، رضا مالك، محمد حربي ومحمد تمام، موزعين أفواجا على النحو الآتي:

8. رضا مالك ومصطفى الأشرف: تحديد طبيعة الثورة، والمقصود به الجوانب الإيديولوجية والتأريخية للثورة.

9. محمد الصديق بن يحيى ومحمد حربي: السياسة الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الخارجية.

10. محمد تمام: خطة تنظيم الحزب، وكان ذلك هو المحور الأساسي والمهم.

أمنيت اللجنة مدة عشرة أيام لإتمام عملها، ثم عقدت جلسة فيما بينها لعرض التقارير التي كانت متباعدة في التوجهات والرؤى والأفكار، لكنها اختلفت لتكون انشروع المقدم للمؤتمر.<sup>3</sup> وهو الذي أطلق عليه فيما بعد تسمية "برنامج طرابلس"، الذي حدد معالم السياسة العامة والتوجه السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة الجزائرية المستقلة.

تضمن جدول أعمال المؤتمر نقطتين في غاية الأهمية والحساسية في نفس الوقت:

11. مناقشة وإثراء مشروع برنامج طرابلس والمصادقة عليه.

12. تعيين قيادة جديدة لتسلم مقاليد الحكم في الجزائر، والتي عرفت باسم "المكتب السياسي".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - السبدر نفسه، ص 416.

<sup>2</sup> - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 205.

<sup>3</sup> - محمد عبادي، مرجع سابق، ص 285.

#### أ- تقييم اتفاقيات إيفيان:

- استهل المؤثرون أشغالهم بقراءة منأية للاتفاقيات، وبعد تمحيص وتدقيق، وبعد الخروج إلى نيان أول نوفمبر ووثيقة الصومام، وقع الإجماع على الملاحظات الآتية:
1. إن اتفاقيات إيفيان وضعت حدا لحرب إبادة لم يعرف التاريخ مثيلا لها.
  2. إبقاء مكنت هذه الاتفاقيات الشعب الجزائري من استعادة سيادته كاملة ووحدته الترابية.
  3. إن هذه الاتفاقيات قد كانت بالنسبة للشعب الجزائري انعطافا سياسيا، أهم نتاجه تقويض أركان النظام الاستعماري الإمبريالي والتخلص من الهيمنة الأجنبية.
- ومن جهة أخرى أعرب المؤثرون عن قلقهم إزاء الضمانات التي منحت للمستوطنين وجعلت منهم أقية مخطوطة. كما وقفوا أيضا على الأخطار التي قد تنجم عن بقاء القوات الفرنسية واحتفاظها ببعض القواعد العسكرية والمطارات العسكرية والقواعد المخصصة لإجراء التجارب النووية، وعبر أعضاء المؤتمر عن أمنهم في أن تتولى سلطات الجزائر المستقلة بحث كل تلك القضايا من جديد، نظرا لما لها من تأثير على عملية التنمية والبناء والتشييد<sup>1</sup>، كما تم استعراض الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، والتي كانت تستدعي حولا جذرية، فكان ذلك تقبلا وتبريرا للاختبارات التي تم تبنيها في المشروع.
- لذلك جاء تحليل برنامج طرابلس شذرا من العوامل التي قد تؤدي إلى الإبقاء على الوضع الموروث عن الاستعمار، الذي يريد الاحتفاظ بمصالحه في الجزائر باستخدام أشكال أخرى كالتعاون والتبادل وغيرها، حيث أن الاستعمار الفرنسي يحاول التكيف مع مرحلة الاستقلال بانقلابه إلى استعمار جديد من النوع الاقتصادي، وهو ما حاربه الثورة المسلحة حربا مريرة<sup>2</sup>.
- وأخ البرنامج على محاربة ما أسماه بـ "القوة الثالثة" التي هي ليست القوة الفرنسية المباشرة وليست قوة جبهة التحرير، وبما هي قوة برزت من أحلام الامبريالية الفرنسية، في أن يتصدر الاتحاد المعتدل في الجبهة على الاتحاد الثوري، مما يضمن التعاون بين الجزائر وفرنسا في إطار الامبريالية الجديدة.
- ثم يتعرض البرنامج إلى نقد ذاتي في مسار جبهة التحرير وأخطائها ونقائصها التي ركزت على الكفاح من أجل الاستقلال وأهملت الجوانب الأخرى التي كانت تنطور بدورها وخاصة الجانبين الاقتصادي والاجتماعي وحتى الفكري، وبالتالي إهمال التربية السياسية والاجتماعية للفرد الجزائري والتركيز على التربية الثورية.
- وبعدها نجده يحذر من وقوع الجزائر المستقلة في انقطاع عن الحقيقة الوطنية<sup>3</sup>، وهو الوضع الذي أوقع الحركة الوطنية في المأزق خلال الخمسينات.

1 - محمد العربي الربيزي، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1996)، ج 2: دار هومة، الجزائر: 2000، ص 229-230.

2 - عبد الله نريخت، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأدبي لوج في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م، ص 157.

3 - المرجع السابق، ص 159-161.

## ب- الاختيارات الكبرى:

كان إذا تقييم اتفاقيات إيفيان تقايما لمبادئ المظروحة والاختيارات الكبرى التي تسيير عليها الجزائر المستقلة، فتكون المخرج الوحيد من مخلفات الاستعمار، ووسائل فعالة لئناء والتشبيد والتحرر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، لذلك أمكن تقسيم البرنامج إلى أربعة محاور هي: المحور السياسي والمحور الاقتصادي والمحور الاجتماعي والمحور الثقافي. كما تفرع المحور السياسي إلى عدة فروع تتعلق بنظام الحكم والسياسة الخارجية ومستقبل جهة التحرير الوطني.

لقد لخص البرنامج كل تلك المحاور في شعار واحد هو " الثورة الديمقراطية الشعبية " ويعرفها بأنها: " تشبيد وأن للبلاد في إطار المبادئ الاشتراكية والسلطة للشعب " <sup>1</sup>.

هكذا كان النهج الاشتراكي أحد هذه الاختيارات الكبرى في هذا البرنامج، ويتجلى في كل المحاور السابقة الذكر، وتتمثل مهام الثورة الديمقراطية الشعبية كالآتي: <sup>2</sup>

1. إقامة الدولة الجزائرية على أساس معاداة الامبريالية ومعاداة الإقطاع، وذلك يتطلب بالضرورة تحلي الطبقات الحية في البلاد بروح المبادرة واليقظة وممارسة المباشرة في جميع الميادين.
  2. إلغاء المياكل الاقتصادية والاجتماعية التي أوجدها الإقطاع واستبدالها بمياكل جديدة ومؤسسات يكون هدفها الأول هو تحرير الإنسان.
  3. استرجاع القيم المكبوتة أو تلك التي قضى عليها الاستعمار والعمل على صياغتها وتنظيمها وفقا للحدثة والحسنة...
  4. حمل الطبقة الرجوازية على أن تخضع مصالحها الخاصة لوحدة الشعب، وتعدل عن إرادة التحكم في مصير البلاد، وتخصص من مزاياها الأساسية التي تدفعها إلى الارتباط بالاستعمار الجديد، والتي هي: الالهزامية والديماغوجية وروح التهويل والاستخفاف بالمبادئ...
  5. نشر الوعي في أوساط الجماهير الشعبية الواسعة التي يجب أن تدرك بأن عملية البناء والتشييد... لا بد من إسنادها إلى الشعب نفسه، والشعب هو: الفلاحون والعمال والشباب.
  6. وضع فكر سياسي واجتماعي يعكس بوفاء مطامح الجماهير...
  7. إحداث تصور جديد للثقافة التي يجب أن تكون وطنية وثورية وعلمية.
- أما وسائل تحقيق مهام وأهداف الثورة الديمقراطية الشعبية فهي: بناء اقتصاد وطني وانتهاج سياسة اجتماعية ترمي إلى إفادة الجماهير، ثم انتهاج سياسة دولية أساسها الاستقلال الوطني ومناهضة الامبريالية.

<sup>1</sup> - بحث العربي الربيعي، مرجع سابق، ص 246.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 247-248.

تفصل الثاني: تطور الثورة الجزائرية والجزائريين ومؤسستها السياسية والعسكرية..... (1)

أما مصير الجبهة فحدده الميثاق بتحويلها إلى حزب سياسي طلائعي، ومنظمة جامعة، حيث جاء في النص: "الحزب ليس تجمعاً وإنما هو منظمة تجمع كل الجزائريين الواعين الذين يواصلون من أجل ثورة ديمقراطية شعبية"<sup>1</sup>.

أما جانب الديمقراطية الذي تسعى إلى تحقيقه تلك الثورة فيكون ضمن إطار الحزب، حيث ورد في البرنامج: "تحقيق الديمقراطية وتمازج ضمن الحزب بالتبادل المستمر بين القمة والقاعدة لضمان حياة سياسية نشيطة. وضمانات تحقيق ذلك هي: مبدأ انتخاب المسؤولين في كل المستويات دورية - وانتظام الاجتماعات. - قانون الأغلبية. - مع معاقبة أي عضو بظنون موافقة المؤسسة الحزبية التي ينتمي إليها. - طرح الخلافات أمام القاعدة. - أولوية المؤسسات العليا على المؤسسات الدنيا".

هكذا كان تصور برنامج طرابلس للجزائر المستقلة، التي سوف تحول إلى ورشة ضخمة في طريق إعادة البناء والتشييد والتخصص من رواسب الماضي ومآسيه.

#### رابعاً: استفتاء تقرير المصير:

يظهر أن المهمة الرئيسة للهيئة التنفيذية المؤقتة هي التحضير لإجراء استفتاء تقرير المصير، فدخل الجزائريون في رهان صعب يتمثل في إظهار قدرتهم على توفير الظروف الملائمة لإجراء استفتاء تقرير المصير، وبالتالي تمكين الشعب الجزائري من التعبير بكل حرية وإقتناع وبدون ضغط عن رأيه، بالإجابة عن سؤال الاستفتاء: "هل تريد أن تصبح الجزائر دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا حسب الشروط المقررة في تصريحات 19 مارس 1962م؟" وتكون الإجابة بـ "نعم" أو "لا"<sup>2</sup>.

كانت العملية الانتخابية خضعت للنظام الذي حدد شروط الاستفتاء على تقرير المصير، والذي اعتنى بكل جوانبها، من حيث تأليف الهيئة الناخبة والدعاية الانتخابية وتنظيم الاقتراع والرقابة على الانتخاب. وفي هذا الشأن أنشئت لجنة خاصة للإشراف على العملية ومراقبتها، عرفت باللجنة المركزية للاستفتاء وتقرير المصير، وترأسها الجزائري المحامي قدور ساطور، وكان من أعضائها جزائريون من الحقوقيين خاضة، وعدد أعضائها الإجمالي هو سبعة وتساعدها جنك جهوية، وتتمتع هذه اللجنة بعدة صلاحيات محددة في المواد 33 إلى 39 من نظام الاستفتاء<sup>3</sup>.

ومع الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، وجدت الهيئة التنفيذية صعوبات كثيرة في أداء مهامها خاصة التحضير لإجراء الاستفتاء، بسبب المنظمة الإرهابية والصراع الذي نشأ بين الفيارات الوطنية مما جعل مجموعة جبهة التحرير في الهيئة المؤقتة تقدم استقالتها التي رفضتها الحكومة المؤقتة، يضاف إليها

<sup>1</sup> - عبد الله شر بطم مرجع سابق، ص 195.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 204-205.

<sup>3</sup> - محمد حسنين، مرجع سابق، ص 552.

<sup>4</sup> - رمضانك، مصدر سابق، ص 403-410.

صعوبة طبع حوالي ست ملايين بطاقة تصويت<sup>(1)</sup> بسبب العطلة الصيفية في فرنسا واستحالة ذلك في الجزائر<sup>1</sup>.

إن هذه الاستشارة الشعبية كانت تخدم الطرفين الجزائري والفرنسي، فالحكومة المؤقتة وباقي قادة الثورة قصبوا إشراف الشعب الجزائري حتى يكون الانتصار شعبيا ووطنيا ويكون الاستقلال ذا مصداقية أكثر بالنسبة للمجتمع الدولي. أما بالنسبة للجانب الفرنسي فكان من أجل التخلص من الضغوطات التي كانت تنهم دغول بإهداء الاستقلال للجزائر وقطع الطريق أمام المنظمة الإرهابية<sup>2</sup>، مع العلم أن الهيئة الناجبة كانت تتكون من أوروبيي الجزائر أيضا كما نصت عليه المادة الأولى التي حددت شروط الاقتراع في الجزائر.

بعد استكمال كل الترتيبات والإجراءات بما فيها الحملة الانتخابية التي ميزتها الملتصقات واللافات، والكتابات الداعية للإدلاء بـ "نعم"، وصل اليوم الخامس (أول جويلية 1962) حيث خرج الشعب بكثافة بلغت نسبة المشاركة 91.88% من مجموع المسجلين الذين قدروا بأكثر من 6.5 مليون ناخب. يقول علي هارون الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للانتخابات<sup>3</sup>: "لقد أخفينا النتائج النهائية إلى يوم 05 جويلية... وكلف الخوافظ الوطني للكشافة الإسلامية محمد علي دريوش بالانتماء عليها".

#### حماسا: الاستقلال

يوم 05 جويلية نقل عبد الرحمان فارس النتائج النهائية التي أسفرت عن استفتاء 2 جويلية من نفس العام<sup>(4)</sup> إلى المفوض السامي الفرنسي، ثم رفع العلم الوطني فوق مبنى الهيئة التنفيذية ليعلن عن استقلال الجزائر.

تقاطعت برفيات النهائي والاعتراف باستقلال الجزائر من الأشقاء والأصدقاء، مع العلم أن فرنسا كانت قد اعترفت بالاستقلال يوم 03 جويلية مستبفة بذلك الإعلان الرسمي، ويوم 07 جويلية عينت فرنسا سفيرا لها في الجزائر هو (جان مارسيل جيبي) Jean Marcel Jeanneney. فقدم أوراق اعتماده إلى عبد الرحمان فارس، ليخلف بذلك المفوض السامي<sup>5</sup>.

<sup>(1)</sup> - لجاشوقي مصطفى إلى شمس هندية (أردن) التي رفقت على المقلب بنعجل.  
<sup>1</sup> - المصدر: نسف، من 336.

<sup>2</sup> - Rédha Malek, Méritons notre Indépendance, in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 07.

<sup>3</sup> - Ali Haroun, Nous avons étouffé les résultats jusqu'au 05 juillet, in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 115.

<sup>(4)</sup> - كانت النتائج النهائية كما يلي: المسجلون 6549736، عند الأصوات المعبرة 800 / 601 صوت، الأصوات المأداة 25565، نعم 5975581 صوت، لا 16534 صوت.

<sup>5</sup> - سعيد حليل، مرجع سابق، ص: 553.



وهكذا طويت صفحة 132 سنة من الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وكما نضمت عليه الاتفاقيات استمرت الحياة التنفيذية المؤقتة في أداء مهمتها إلى غاية انتخاب أول جمعية وطنية تأسيسية، حيث حددت تاريخها بيوم 12 أوت 1962م<sup>1</sup>.

وجملة القول أن الثورة الجزائرية التحريرية قد ولدت من رحم المعاناة والشقاء والبؤس الذي عاينه الشعب الجزائري قرن وثلث قرن من الزمن، وكانت قد استفادت من المرة العنيفة التي تعرضت ضارثر اكتشاف المنظمة الخاصة، فقامت بتصحيح المسار وضربت أمثلة رائعة في البطولة والنضال والالتزام والتضحية العسكري والسياسي والدبلوماسي. فحولت الثورة إلى غدير وورشة تكوين لإعداد المناضلين الثوريين.

كانت الثورة الجزائرية ثورة شعبية لأن الجماهير التفت حولها دون قناعة أيديولوجية أو مذهبية، بل لأنها وسيلة الشعب في استرجاع كرامته وحرية، فقدمت هذه الجماهير أرواحها وفودا حتى لا تسقط شعلة هذه الثورة إلى أن تصل إلى بر الأمان، وقد استطاعت خلال مسيرتها الطويلة أن تنشأ مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية واجتماعية، بل ومناهج سياسية تسير على هديها وتستلهم بنورها في اقتحام العقبات الاستعمارية التي طالما وضعت في طريقها من قبل أساطين الفكر السيامي والعسكري الفرنسي الذين كانوا لا يثنأون ينظرون ويخططون لقمع الثورة ووأدها في المهد، فانطلقت أول ما انطلقت شراكتها بتشكيل جبهة سياسية وجيش تحرير وطني وإصدار بيان مبراري يوضح الرؤية على المستويين الداخلي والخارجي، ثم شنت هجوما عسكريا مركزا لم يسبق له مثيل على تسع وثلاثين مركزا استعمارية في الشمال القسنطيني، ثم انتقلت إلى التنظيم السيامي والعسكري والتشريعي من خلال أول مؤتمر يعقد بعد اندلاع الثورة حوالي عشرين شهرا، ثم أُنشأت مؤسسات أخرى كالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وبنان العمل السياسية والعسكرية، ووضعت نظاما محكما للتنسيق السياسي والعسكري بين الداخل والخارج، واستطاعت أن تفرض على فرنسا الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال والسيادة، وأن تجبرها على الجلوس مع ممثلي جبهة التحرير الوطني للتفاوض على كيفية تسليم البلاد لأصحابها الشرعيين. وقد حاولوا غلاة المعمرين (الكولون)، أن يؤثروا على مجرى المفاوضات وأن يجبروا الحكومة الفرنسية على التراجع إلى المربع الأول، ولكنهم باعوا الفشل الذريع أمام تصميم طلائع الحرية على المضي قدما في التفاوض مع ممثلي الحكومة الفرنسية، واستطاعوا فعلا أن يتبرعوا اعتراف فرنسا بالجمهورية الجزائرية كدولة للشعب الجزائري.

<sup>1</sup> - Ali Haroun, L'été de la discorde, Casbah éditions, Alger 2000, P-104.

# الفصل الثالث

## الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية (1954-1962)

- المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر.
- المبحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة
- المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م

### الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية (1954-1962):

تعتبر تونس امتدادا طبيعيا للجزائر من جهة الشرق تضاريسا و مناخا و بحاري مائية. ومن الناحية البشرية هناك تشابهك وترابط كبير بين السكان، على طول الشريط الحدودي وحتى في بعض المناطق الداخلية مثل: تالة، القصيرين، الحميد، ونقطة... حيث كان التنقل يتم في أوقات الحرب والأزمات بالخصوص، والتي عرفها القطران منذ قرون، خاصة منذ الغزو الفرنسي للجزائر واحتلالها سنة 1830م، كانت تونس مستقرا منجأ للمهاجرين الجزائريين مدنيين ومقاومين هربا من بطش الاحتلال ومن مظلته، فكانت تونس مستقرا لهم بالقرب من وطنهم الأصلي وأرض الأجداد التي بقيت حية في ذاكرتهم ووجداتهم، وقد سهلت عمليات الحجرات والتنقل على عدم وجود حواجز طبيعية بين البلدين وعدم وجود اختلافات عرقية أو دينية ومذهبية ولغوية.

ومن الناحية التاريخية عاش القسم الأكبر من شرق الجزائر تحت النفوذ القرطاجي وفي ظل الحضارة التي حملها هؤلاء من الشرق ووجدت تفاعلا وتقبلا من السكان. كما عاينا موريتانيا تحت الاحتلال الروماني والبيزنطي. ولما قدم المسلمون كانت القيروان بتونس مركزا هاما للفتح والدعوة ثم نشأ المذهب المالكي ولطوى التيارات السياسية والمذهبية إلى المغرب العربي والقادمة من بغداد أو دمشق فانصهر المغرب العربي كله في الحضارة العربية الإسلامية.

ومن الناحية الاقتصادية كانت هناك حركة تجارية نشطة من القاسم عبر البر والبحر فالأسواق في تونس كانت مفتوحة أمام التجار الجزائريين وكذا أسواق الشرق الجزائري.

فهذه الروابط التي تشترك فيها العوامل الطبيعية والبشرية الاقتصادية والحضارية وتشابكها منذ آلاف السنين قد شكلت وحدة حقيقية بين البلدين والشعبين الشقيقين.

وعندما قصفت تونس على استقلالها في مارس 1956 رفض بعض المجاهدين التونسيين تسليم السلاح و انتقلوا للجهاد في الجزائر منهم: عبد الله البوعمراني و الطاهر الأسود، علي احمامي، علي درغال<sup>1</sup>... وهكذا تشترك مرة أخرى تونس والجزائر في النضال السياسي والكفاح المسلح و تتمتج الدماء من اجل الحرية والاستقلال لشمال إفريقيا<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المراد عثمان سعدي بن الحاج: مذكرات، دار الأمة، سنة 2000، ص: 58، 59، 60.

<sup>2</sup> عبد شوقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأقاليم الجزائرية. كتاب الثورة الجزائرية في

الصحافة العربية 1954-1962، بحث جماعي غير منشور، ص من 85-103.

### لكيف أصبحت تونس أهم قاعدة عسكرية و سياسية و إعلامية للثورة الجزائرية ؟

عندما اندلعت الثورة الجزائرية في التاسع من نوفمبر 1954 كانت الثورة في تونس قد بلغت مرحلة حاسمة حيث بدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق حتى اكتمل في مارس 1956م وقد شجع هذا الاستقلال وأغرى الوطنيين الجزائريين الذين تركزوا في القاهرة منذ 1952م من اتخاذ تونس كقاعدة لنشاط المحاضرين خاصة في التدريب أو تمرير الأسلحة إلى الجزائر وهذا بحكم الموقع الاستراتيجي لتونس كحلقة وصل دائمة بين الجزائر والمشرق العربي لذلك أقام بها بعض قادة جبهة التحرير الوطني وثوارها وكذلك بعض الممثلين بالداخل من أجل الاتصال بزعماء الثورة في القاهرة والاتصال بالبلدان الغربية لدعم وشراء الأسلحة، ومع تطور الثورة أصبحت تونس بنبأ فشيئا قاعدة فعلية خاصة منذ 1957م، وحتى الاستقلال 1962م، حيث أنشئت قواعد عسكرية ومخازن للأسلحة لجيش التحرير قرب الحدود مع الجزائر. وفي العاصمة تونس تكون مركز لقادة الثورة وزعمائها السياسيين والعسكريين.

### المبحث الأول/ اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر:

تعد البلاد التونسية امتدادا طبيعيا للجزائر من الناحية الشرقية تضاريسا ومناخيا وبحاري مائية. أما من الناحية البشرية فهناك ترابط عائلي وطيد بين السكان على طول الشريط الحدودي، وحتى في بعض المناطق الداخلية مثل: تالة والقصرين والجريد، ونقطة وتبسة وسوق أهراس والقالبة وعناية، وقد كان التنقل بين البلدين سائدا على مر العصور في أوقات الحرب والسلام على حد سواء، ولاسيما أوقات الأزمات التي عرفت بها البلاد بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، حين كانت تونس ملجأ للمهاجرين الجزائريين مدنيين ومقاومين هربوا من بطش الاحتلال ومظالمه، وكانت البلاد التونسية موطنًا ومستقرا لهم بعد وطنهم الأصلي أرض الآباء والأجداد، التي ظلت حية في وجدانهم وذاكرتهم، وقد سهلت عمليات الهجرة والتنقل عدم وجود حواجز طبيعية بين القطرين علاوة على غياب فروقات عرقية أو دينية أو مذهبية أو لغوية أو تاريخية بينهما.

أما في القديم فقد عاشت السواحل الجزائرية عمارة والشرقية بصورة خاصة تحت نفوذ القرطاجيين. كما عاشت تونس تحت النفوذ الروماني الذي كان يحكمها من الجزائر، ثم من تونس، ثم وفي ظل الدولة العربية الإسلامية تبادلا البلدان الجزائر وتونس تسيير دفة الحكم على امتداد ست قرون، ثم خضوع المنطقة الشرقية الجزائرية للنفوذ الحفصي، وبعد ذلك حكم تونس وليبيا في العهد العثماني من الجزائر "عهد باي لا رباي"، وتبعية المناطق الغربية إلى الجزائر ومن ثم فقد عرف سكان البلدين حياة مترجلة غاية الامتزاج عبر العصور والأجيال حتى مجيء الاستعمار الحديث، فحاول الفرنسيون فصل الشعبين عن بعضهما، ولكن ذلك كله كان وهمًا حيث بقي الاتصال مستمرًا دائمًا، بل وقد ازداد تطورا وازدهارا مع مطلع القرن

العشرين، حين تعززت هذه الروابط في ظل الاحتلال الفرنسي للشمال الإفريقي وظهور المقاومة الوطنية ثم الحركة الوطنية السياسية؛ فقد كان من مؤسسي الحزب الدستوري بقلم حوالي ثلاثة عشر عضوا من الجزائريين، وحتى رئيسه "عبد العزيز الثعالبي" كان من أصول جزائرية؛ وظل هذا الحزب يمثل ثانيا من قبل صالح بن يحيى الجزائري، الذي كان غنيا وماتا فقيرا بسبب الإنفاق المستمر على هذا الحزب لمدة معتبرة<sup>1</sup>. وخلال الحرب الكونية الثانية، تأسست لجنة تحرير المغرب العربي بباريس في ألمانيا<sup>2</sup> من جزائريين وتونسيين، وبعد هذه الحرب، وضعت الحركة الوطنية لشمال إفريقيا ميثاق المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947م، الذي شمل أحزاب تونس، الجزائر والمغرب.

وشهد التقارب سنة 1952م. بباريس وفي شهر مارس 1954م بالقاهرة التعاون والتنسيق من أجل تحرير الشمال الإفريقي من الاستعمار الفرنسي.

وعندما اندلعت ثورة تونس مع أوائل سنة 1952م، تحرك العديد من الجزائريين على الحدود أو قربها للمشاركة في الثورة، وكان أبرزهم المجاهد "شريط زهر"، عندما تحصلت تونس على استقلالها في مارس 1956م، رفض بعض المجاهدين التونسيين تسليم السلاح وانتقلوا لتجهاد في الجزائر منهم: عبد الله البوعمراني، والطاهر الأسود، علي الصمامي، وعلي درغال.

وهكذا تشترك مرة أخرى تونس والجزائر في التضامن السياسي والكفاح المسلح وتخرج الدماء من أجل الحرية والاستقلال لشمال إفريقيا<sup>3</sup>.

وتصبح تونس أهم قاعدة عسكرية وسياسية وإعلامية للثورة الجزائرية، فعندما اندلعت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، كانت الثورة في تونس قد بلغت مرحلة حاسمة، حيث بدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق حتى اكتملت في مارس 1956م، وقد شجع هذا الاستقلال الوطني الجزائريين، الذين تمركزوا في القاهرة منذ سنة 1952م، لإثبات تونس قاعدة لنشاط قيادة الثورة خاصة في التدريب أو تمرير الأسلحة إلى الجزائر، وهذا بخكم الموقع الاستراتيجي المجاور لتونس كحلقة وصل دائمة بين الجزائر والمشرق العربي لذلك أقام بعض قادة جبهة التحرير الوطني وثوارها، وكذلك بعض الممثلين بالداخل من أجل الاتصال بزعماء الثورة في القاهرة، والاتصال بالبدان العربية للدعم وشراء الأسلحة، ومع تطور الثورة أصبحت تونس شيئا فشيئا قاعدة خلفية فعالة للثورة الجزائرية، خاصة منذ سنة 1957م، وحتى الاستقلال عام 1962م، حين أسست قواعد عسكرية ومخازن الأسلحة لجيش التحرير قرب الحدود مع الجزائر وفي العاصمة تونس أقيم مركزا لقيادة الثورة وزعمائها السياسيين والعسكريين.

<sup>1</sup> - محمد الصالح ناجاري: النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 275.

<sup>2</sup> - يوسف الزويبي: نشاط مكتب المغرب العربي بباريس، المحلة التاريخية المغربية، العدد 9 : 1977، ص 171.

<sup>3</sup> - محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأفلام الجزائرية، كذاب الثورة: التحرييرية في الصحافة العربية (1954-1962)، بحث غير منشور، ص ص 85-103.

واضح أن الصحافة التونسية قد بدأت تهتم بالقضية الجزائرية منذ مجازر الثامن ماي 1945م اهتماما متزايداً على الرغم من التعقيم الإعلامي والسياسي الذي كانت تمارسه الحكومة الفرنسية على الجزائر، لأنها كانت تعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، على الرغم من وجود حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي يفصل بين البلدين بأكثر من ألف وستمائة (1600) كلم، ويعود اهتمام الصحافة العربية عامة والتونسية خاصة بالقضية الجزائرية، إلى بروز بعض الشخصيات الوطنية، التي تخطت الحدود الجزائرية في اتجاه المشرق العربي أمثال: الشيخ الفضيل الوزتلاني والشيخ البشير الإبراهيمي، والشاذلي المكي، وأحمد بن بلة وآيت أحمد حسين ومحمد خيضر، وغيرهم من الشخصيات الوطنية التي رأت بأن القضية الجزائرية لا نستطيع أن نجد طريقها إلى الحل، إلا بخروجها إلى النطاق العربي أولاً ثم إلى النطاق الدولي ثانياً. وقد بدأت الصحافة التونسية تركز بالدرجة الأولى على الحياة السياسية في الجزائر منذ مطالع الخمسينات وبالضبط. بعد اندلاع الثورة سنة 1954م.

ولعل أول ما سجله في هذا الفصل ما كتبه جريدة الصباح عن تكوين جبهة متحدة لأحزاب شمال إفريقيا، التي تأسست في كنف الجامعة العربية يوم الرابع من شهر أفريل 1954م، عندما اجتمع نواب الأحزاب التونسية لشمال الإفريقي بالأمانة العامة للجامعة العربية وحرروا ميثاقاً "جبهة تحرير المغرب العربي" يتضمن مقدمة وعشرة فصول، ومما جاء في هذا الميثاق: {على نواب الأحزاب والبعثات السياسية المغربية في المشرق الإفريقي، أن يعملوا تحت لواء منظمة واحدة تحمل اسم "لجنة تحرير المغرب العربي"، ويكون مقرها الرسمي بالقاهرة، ويمكن هذه المنظمة أن تكون فروعاً لها خارج الشمال الإفريقي}. وتتمثل أهداف هذه اللجنة في النقاط الآتية:

- 1- التكفاح في سبيل الاستقلال التام لتونس والمغرب والجزائر .
  - 2- إنقواء هذه البلدان تحت لواء الجامعة العربية.
  - 3- رفض كل سياسة إتحاد مع فرنسا أو سياسة ازدواج السيادة.
  - 4- يمثل في هذه المنظمة شخص واحد فقط من كل بلد مغربي<sup>1</sup> .
- واضح أن هذه اللجنة تعتبر أول تنظيم سياسي راديكالي موحد، بدافع عن استقلال شمال إفريقيا الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد لجنة الدفاع عن أقطار المغرب العربي .
- ولعل ما يميز هذه اللجنة هو ارتباطها بالجامعة العربية، ومنحها ميزانية خاصة قدرتها في أول إنشائها بـ خمسة وعشرين مليون فرنك، وهو مبلغ مهم في ذلك الوقت، وكان أول عمل سياسي جماعي قامت به هذه اللجنة فور تكوينها، هو إرسال مذكرة إلى اللجنة السياسية للجامعة العربية، التي كانت مجتمعاً بالعاصمة المصرية تطالبها فيها التأكيد في تصريح رسمي على ما يأتي:

<sup>1</sup> - جريدة الصباح: جبهة متحدة احزاب شمال افريقيا، ص 5.

- 1- اعتبار الجزائر جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي.
- 2- استنكار الاعتداءات الفرنسية وسياسة التمييز العنصري الجارية في الجزائر.
- 3- مطالبة الجامعة العربية بإثارة قضية الجزائر أمام المنظمات العالمية، وتشكيل لجنة من الجامعة تقوم بتلك المهمة<sup>1</sup>.

وتنقل جريدة الصباح التونسية الصادرة يوم عشرة من شهر أبريل 1954م، عن جريدة "فرانس سوار" حواراً أجرته مع ثلاث زعماء من العرب هم: الأمير عبد الكريم الخطاطي والأستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد للجامعة العربية، والسيد أحمد حسين مدير محطة إذاعة صوت العرب، ومما قاله الأول: "ليس لي أي ارتباط بحزب الاستقلال أو بعلال الفاسي، ثم إنني لا أريد الإدلاء بأي تصريح في هذا الموضوع، وأعتبر أن الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من الخروج من الأزمة الحالية هي: منح الحرية لأقطار شمال إفريقيا الثلاثة: تونس والجزائر والمغرب، وأنه لا مناص من اندلاع حرب مماثلة لحرب الهند الصينية في صورة ما إذا بقي الحال على ما هو عليه..."

والحق أن الاهتمام بحرية استقلال بلدان المغرب العربي قد تواجد بشكل واضح منذ نهاية الحرب الكونية الثانية، حين تأكد زعماء هذه البلدان من أن فرنسا الاستعمارية لن تتنازل عن احتلال هذه الأقطار إلا بقوة السلاح؛ لأنها لا تفهم إلا لغة الرصاص وقد مضى على الحركة الوطنية المعاربية زهاء نصف قرن من الزمن، وهي تطالب فرنسا سلمياً بمنح هؤلاء السكان حقوقهم في الحرية والاستقلال ولكنها ظلت تصر على أن الجزائر هي جزء لا يتجزأ من الراضي الفرنسية، وأن تونس والمغرب هما محميتان فرنسيتان لا يمكن الطعن فيهما.

وهكذا ظل الوضع في الجزائر منذ مطالع الخمسينات يشغل بال كثير من السياسيين الوطنيين في كل من الجزائر وتونس على حد سوي، لاسيما منذ أن أصبح التعبير عن صراع القومية الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي تعبيرا مباشرا تتحدث عنه مختلف الجهات السياسية والإعلامية، وأصبحت القضية الجزائرية تستقطب الوطنيين الثوريين الأحرار في العالم كله، كما تستقطب السياسيين الليبراليين في فرنسا ذاتها. وفي هذا السياق نقلت جريدة الصباح التونسية في يوم ثلاثين أبريل 1954م، تصريحاً لأحد الصحافيين الفرنسيين الم. جيل مارتيي: رئيس تحرير جريدة الملاحظ "l'observateur" أدلى به للجريدة: "مما جاء فيه: "إذا فكرنا مثل وزرائنا، فإن المسائل لا تصبح مؤكدة، إلا إذا لم نترك لنا الحوادث مجال التفصيل، يجوز لنا القول بأن المشكلة الجزائرية غير مؤكدة، ولكن إذا كنا نعتقد أنه يحق

1 - المصدر نفسه.



اعتبار المشكلة مؤكدة ابتداء من الحين، الذي يبقى فيه متسع قليل من الوقت كله وجب علينا أن نضع مشكلة الجزائر في طليعة شواغلنا " .

وقد ظلت الصحافة التونسية تتحدث عن القضايا المغاربية مجتمعة أحيانا ومنفردة أحيانا أخرى، ولكنها غالبا ما كانت تركز على موافق السياسيين الفرنسيين المتضاربة أحيانا والمتفقة أحيانا أخرى اتجاه الجزائر التي كانت تشكل العمود الفقري في حركة التحرر المغاربي. وإذا كانت المسألة التونسية والمغربية تثير هواجس الخوف في نفوس السياسيين الفرنسيين من أنه إذا تم التسامح معهما على الاستقلال الداخلي، فإنهما سيسعيان إلى الاستقلال التام عن فرنسا وبالتالي فإن الجزائر التي تعتبر " القلب النابض " لأقطار الشمال الإفريقي الخاضعة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، فخذ طريقها إلى الانفصال هي الأخرى عن الكيان السياسي لفرنسا . ومن ثمة فإن الدولة الفرنسية ستغدو صغيرة سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

أما بعد اندلاع الثورة الجزائرية في فاتح من نوفمبر 1954م، فإن خطاب الصحافة التونسية قد تغير نوعا لتغير الوضع في الجزائر. وإذا كنا لا نملك المقالات التي تتحدث عن الثورة الجزائرية منذ شهر نوفمبر 1954م، فإن المقالات التي في متناول أيدينا منذ شهر فيفري 1955م، تركز على الأوضاع الخطيرة التي أصبحت تهدد الوجود الفرنسي حثيثة في الجزائر .

وقد أثارت معركة سياسية في البرلمان الفرنسي من النواب الاستعماريين المتطرفين والنواب المعتدلين، ولم تتوقف حتى استقلال الجزائر سنة 1962م<sup>1</sup>.

واضح أن السياسيين الفرنسيين، كانوا يربطون القضية التونسية بالقضية الجزائرية ويعتبرون ما يقع في الجزائر، أو في تونس سيؤثر على البند الآخر لا محالة.

فرنسيو الجزائر كانوا مناهضين للسياسة التي تتبع مع تونس في ذلك الوقت.

وقد احتج م. كروزي الجمهوري على هذه السياسة فقال: " إن فرنسيي الجزائر معاضون على الدفاع عنها مهما كلفها ذلك من ثمن وذلك ضد حكومة أثارت اضطرابات الجزائر بالمفاوضات التي أجرتها مع تونس " .<sup>2</sup>

وبعد تعزيج السيد كروزي، جاء دور نائب وهران م. كلنسي الجمهوري المستقل فقال: "... إن الأمر لم يستشبه بالجزائر وأن ثلاث مائة جندي فرنسي أصبحوا غير قادرين على حمل السلاح وأن تسمع واللائين آخرين قد قتلوا في أسابيع بفعل الإرهابيين، ومع ذلك فإن جموع المسلمين ما لبثوا مخلصين، غير أن عمل الحكومة الفرنسية قد عطل تطورا كاد يؤدي بالفرنسيين والمسلمين إلى المساواة، وعلى وزير الداخلية أن

1 - جريدة الصباح التونسية: صور جنيد لمعركة شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 6.  
2 - جريدة الصباح التونسية: مرجع سابق، ص 6.

يعمل بحزم وأن يؤكد للتوار بأنهم لن يحصلوا على الأموال كما حدثت مع فلاقة تونس<sup>1</sup>. وغير النائب عن جوفه من أن تكون سياسة م. سوستيل معادية للمعمرين.

أما النائب الشيوعي "م. غويو"، فقد هاجم سياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر ووصف عملها بأنه عمل إرهابي أو قمع تقوم به ضد السكان الأهالي، وأن البوليس رجال يقدمون على تعذيب المعتقلين. وهكذا كانت الجلسة البرلمانية الفرنسية في شهر فيفري سنة 1955م، جلسة معمة بالأراء والتفريعات الاستعمارية والتحررية في آن واحد.

فيما عبر النواب الاستعماريون ممثلو الكولون في الجزائر عن أسفهم لتهاون الحكومة الفرنسية في قمع الثورة الجزائرية والتساهل مع الفلاقة في تونس حسب قولهم، واعتبروا أن الإصلاحات التي يشرف عليها وزير الداخلية ويطبقها حالا سوستيل في الجزائر إصلاحات ستقضي في النهاية إلى فصل الجزائر عن فرنسا، والرأي عندهم هو عدم التنازل عن حقوق فرنسا في بلدان الشمال الإفريقي، لأنها هي صاحبة الحق. ينبغي أن نحافظ على حقوقها مهما كلفها ذلك من أهوال وعتاد ورجال، في حين طالب النواب الشيوعيون بوقف الإرهاب الفرنسي والقمع المنتهج في الجزائر وإعطاء المغرب الأقصى حقه في الاستقلال التام.

ومن البرلمان الفرنسي وموقف بعض النواب الاستعماريين المتطرفين واليساريين الشيوعيين المعارضين لسياسة القمع والتعذيب في الجزائر، تنتقل إلى موقف إحدى المنظمات الجزائرية المعتدة من الرعاع الثوري المتزايد في الجزائر، ألا وهي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، التي نشرت على أعمدة جريدتها البصائر مقالا بعنوان "النصر للجزائر"، وتلقته جريدة الصباح التونسية تحت عنوان "نصر للقضية الجزائرية"، مما جاء فيه: "نقتطف هذه الفقرات من افتتاحية قوية باللهجة صبارمة الواقع مع زميلنا الجزائري البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن التطور الذي اتخذته قضية الجزائر الشقيقة، وهي كما قالت الإميلة قضية بلغت لأول مرة حدا سقطت من أجنة حكومة فرنسا.

"إن هذه الحادثة تعتبر عنصرا عظيما وكسا ثريا للقضية الجزائرية، فهي قضية قد أخذت تكتسح المعازل الحكومية والبرلمانية، وصارت بفضل قوة الأمة وإيمانها وثماسكها، من القضايا التي تسقط من أجلها حكومات، وتتشكل من أجلها حكومات، وأصبح أمر تغيير الحالة في الجزائر محور المذكرات التي تجري بين مختلف الأحزاب والشخصيات قبل تشكيل الحكومة والنقطة الأساسية في تحرير متهجها الحكومي..."<sup>2</sup> وتواصل جريدة الصباح التونسية نقلا عن جريدة البصائر الجزائرية: "... إن هذا الاندفاع الشعبي العظيم الذي مثل كل أوجه الحياة في القطر الجزائري، يستطيع به أن يحقق هذا الوطن العزيز ما يريجه من حرية كاملة، وحكم شعبي ونظم عادلة، وسواء وقفت حكومة (مندس فرانس) مع هذا التيار الجارف وحاولت

<sup>1</sup> - المكنن نفسه.

<sup>2</sup> - جريدة الصباح: نصر للقضية الجزائرية، المجلد 465، 1955/02/10، ص 2.

مخارطة فسقطت، أو وقفت حكومة القذ ضد هذا التيار الجارف وحاولت كسره فكسرت، فإن هذا التيار الشعبي الجارف سينتصر وسيفوز وسيحطم أمامه كل مقاومة، وسيكسر أمامه كل الحواجز وسيوصل الجزائر إلى ساحل أمانيها ويحقق لها آمالها في حياة السعادة والكرامة".<sup>١</sup>

كان أول تغيير حازم يصدر عن العلماء في الجزائر بعد صدور بيان محمد البشير الإبراهيمي من القاهرة يوم الثالث من شهر نوفمبر 1954م<sup>٢</sup>، على الرغم من أن بيان الإبراهيمي كان أشد، لهجة وأعظم تشريح لأوضاع الجزائر في ظل الاحتلال وأحر لمحة خاطب بها الشعب ودعا إلى الالتفاف حول الثورة، فإن بيان الجمعية من قلب الجزائر يعد أقوى وأخطر البيانات التي صدرت عن الأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية، والدينية حتى ذلك التاريخ طبعاً، باستثناء بيان أول نوفمبر، ولم يتوقف بيان الجمعية عند تحريض الجماهير على الالتفاف حول الثورة التي لم يذكرها بالاسم، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال: "... إن الصبر لمن صبر الساعة الأخيرة، ونحن في الساعة الأخيرة من هذا الكفاح الطويل المرير، فنصبر ولتصابر ولتربط، ولنكن نحن الصابرين في الساعة الأخيرة، ولنعلم أن تحقيق الأماني وتحرير البلاد من قيود الاستعباد، ليس هو نتيجة مسعى حكومة أو برنامج حزب، أو ألوية مجلس نيابي لا يعرف نفسه، بل أن كل ذلك هو نتيجة تضامن الأمة وتماسكها ووقوفها الموقف المشرف في الدفاع عن حقها، فلتكن أمتنا كذلك، ولتبقي كذلك والمستقبل لها"، وتتابع جريدة الصباح<sup>٣</sup> دائماً ما يقع في الجزائر بشكل مستمر من خلال الصحافة الجزائرية أو الصحافة الفرنسية على حد سواء، وقد نقلت في شهر مارس 1955م برنامج الاتحاد الديمقراطي الجزائري بزعامة السيد" فرحات عباس" عن جريدة الجمهورية الجزائرية الناطقة بلسان الحزب ومن خلال هذا البرنامج يتضح للباحث أن السيد فرحات عباس، وإن كانت نظراته إلى الجزائر قد تطورت بشكل واضح فإنه حتى شهر مارس 1955م، كان ما يزال يحلم بالحل السياسي مع فرنسا عن طريق الإصلاحات، في وقت كانت فيه تروان الثورة تلتهب في الأوراس وفي الشمال القسنطيني وفي بلاد القبائل وفي مناطق أخرى من الوطن<sup>٤</sup> كما جاء في جريدة الصباح، غير أن الشيء الذي يهمنا في هذا السياق هي الموضوعات التي كانت تنشر في الصحافة عن الثورة الجزائرية عموماً وعن العلاقات الجزائرية التونسية في شتى المجالات إبان مرحلة الدراسة عنى وجه الخصوص.

أما في شهر أبريل 1955م، فنقنيس من جريدة الصباح تصريحاً بشره وفد شمال إفريقيا في مؤتمر باندونغ يوم 20 أبريل 1955م، والذي وقعه عن تونس الزعيم " صالح بن يوسف" وعن الجزائر الزعيم " حمين أيت أحمد"، وعن المغرب الزعيم " علال الفاسي"، وقد جاء في هذا التصريح الذي نقلته " هافس باريس"

١ - الشكل نفسه.

٢ - الشيوخ البشير الإبراهيمي: الآثار

٣ - جريدة الصباح التونسية: مرجع سابق، ص 2.

٤ - جريدة الصباح التونسية: جمعية الصداقة الجزائرية، العدد 978، 05/03/1955م ص 1.

أن وفد شمال إفريقيا طلب من الكتلة الآسيوية الأفريقية أن تتخذ في الأمم المتحدة أيضاً موقفاً مدعماً وفعالاً في تحرير الجزائر وتونس والمغرب بصورة لا تصبح كلمة حق الشعوب في التصرف في شؤونها بنفسها كلمة جوفاء، ويجب أن يكون الهدف الأول هو استقلال شمال إفريقيا، ويجب أن تكون الدورة العاشرة للأمم المتحدة مقصورة على مناقشة النظام الاستعماري<sup>1</sup>، ويقترح التصريح أن يكون رؤساء حكومات الدول الآسيوية والإفريقية حاضرين تلك الدورة، وذلك حتى يكون لتدخل وفودهم في المناقشة صبغة قوية تعبر عن العزم الراسخ. وفيما عدا الأمم المتحدة يوصي التصريح بشن حملة دبلوماسية تقوم بها الدول المشاركة في مؤتمر باندونغ، ويطلب من هذا المؤتمر أن يصادق على قرار حازم يعبر فيه عن إرادته في مضاعفة المساندة للأمان القومي لشعوب الجزائر وتونس والمغرب<sup>2</sup>. ويستطرد التصريح قائلاً: "أنه نظراً للحالة الخطرة جداً في شمال إفريقيا والدواعي الذي تزداد حلقاته استحكاماً كل يوم بين فرنسا وبلاد شمال إفريقيا تقترح أن يعد المؤتمر عدة إجراءات عاجلة مثل: "عرض الوساطة"، ويطلب وفد شمال إفريقيا من جهة أخرى اتخاذ موقف واضح ضد النظام اللاشعبي القائم الآن بالمغرب العربي، وفي الختام يطلب الوفد من المؤتمر أن يمتنع إلى تمثلي شمال إفريقيا الذين ليس لهم حتى الآن حق صفة التمثيل الرسمي بالمؤتمر<sup>3</sup>.

وهكذا بدأت العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة تتطور يوماً بعد يوم وننتقل من العمل السياسي الوجودي المغاربي العام إلى العمل السياسي الثنائي بين القيادتين الجزائرية والتونسية وصارت الصحف التونسية تردّد اهتماماً بالجزائر وثورتها المباركة حتى بلغت الذروة في التأييد والمساندة المنطقية للثورة وقادتها وشعبها المكافح.

فجريدة الصباح التونسية مثلاً لم تكن تكتفي بنشر الأخبار التي تزودها بها وكالات الأنباء العالمية حول الثورة الجزائرية فحسب، وإنما كانت تعتمد في نقل المقالات التي نشرها الصحافة سواء في فرنسا أو في بلاد المغرب العربي وتقبس من هذه الجريدة ملخصاً عن مقال تفتته عن جريدة "توليزي فرانس"، كتب بقلم "براي بانس" بعنوان: "الاستسلام في تونس خطراً على الجزائر"، إن مضمون هذا المقال لا يتطابق تماماً على العنوان الكبير، لأنه يعتبر الثورة في تونس واستسلام فرنسا أمام التونسيين هو خطر على الجزائر، والحقيقة هو خطر على فرنسا وليس على الجزائريين، بل العكس فإن الجزائر ستستفيد من استقلال تونس كما تستفيد من أية هزيمة تلحق بفرنسا سواء في تونس أو في المغرب، أو في أية مستعمرة فرنسية أخرى، ولكن بما أن فرنسا تعتبر الجزائر فرنسية، فإن تعبير الكاتب يكون تعبيراً صحيحاً، وهو في الواقع تعبير خاطئ. وقد قسم مقاله إلى عدة عناوين فرعية وهي: "أبداً من الثورة، صداقة بالحساب، الثورة مع

1 - جريدة الصباح التونسية: وفد شمال إفريقيا في مؤتمر باندونغ، العدد 1017، تونس: 20/04/1955، ص 1.

2 - المرجع نفسه.

3 - المكان نفسه.

التوسيين"<sup>1</sup>. وهذا المقال الذي لمخصص فيه بعض الفقرات، هو امتداد لمقال سابق لم يتمكن من العثور على عتواه.

وهذا المقال الذي لمخصص منه بعض الفقرات هو امتداد لمقال سابق لم يتمكن من العثور على عتواه ومما جاء فيه: "ولكن ما يجب أن نقوله هو أنه إذا لم يرفع التفاوض ونورة كما نأملها فإننا لا نحالة سنواحدة ما هو أسوأ، وهو ضياع الجزائر والمغرب الأقصى، لأن يكون نتيجة حتمية لضياع تونس، والكاتب هنا يدعو المستوطنين في الجزائر وتونس والمغرب إلى الثورة على الحكومة الفرنسية بسبب الضيقة التي قد تلحق بها في الجزائر والمغرب إذا امتنعت في تونس للأمر الواقع ومنعت التوسيين الاستقلال الداخلي والاستقلال التام.

والكاتب هنا ينتقد الحكومة الفرنسية ويتهمةا بالبور والبطون والتهديدات المجرمين ويعني بذلك "الطلاقة في تونس"، ويقول: "إن بعض أصلقائنا من الجزائريين بعد أن تيرن لهم الفلاس في تونس أخذوا يساءلون معنا إذا لم تكن الساعة التي تزدن أحيوا ينتهاء أيام فرنسا.

ومما إذا لم يكن من الأسبب لهم أن يشرعوا في التعاون مع الأعداء، فقبل حركة الإرهاب في تونس كان فيها أصدقاؤنا يشكلون 95% في المائة من السكان وكانوا يعلنون ذلك ويصرحون به، ولكن عندما انتصر الإرهاب وكتب له أن يتفوق لم تعد هذه الصداقة التي ما تزال قائمة في داخل نفوسهم نستطيع أن تعلن عن نفسها ومن ذا الذي يجزم أن يؤخذ هؤلاء الناس على هذا الموقف بعد أن لم نعرف كيف نسبهم؟ كيف نواخذهم على أن لن يعودوا ينقون فرنسا التي ظهرت أمامهم في مظهم من حشر طائفته وقدرات وسجائده وبقته بنفسه على أن القدرة والشجاعة والثقة بالنفس ما تزال موجودة في فرنسا ولكن الظواهر وحدها هي التي تقوم ضدها"<sup>2</sup>.

إن صاحب هذا المقال، قد حشر الحكومة الفرنسية من فقدان أصدقائها بالجزائر إذا استمر الشوار على ما هم عليه من الضعف والتقهيم أمام الشوار في الجزائر وتونس معا.

ويواصل الكاتب تعليقه على وضع فرنسا في الجزائر وتونس منبها إلى الخطر الذي قد ينجم عن هجرة الجزائريين إلى تونس بسبب استسلام فرنسا فيها لم يتوقف هيبه مع الأوراس بالجزائر ويعمري نصاعة الثورة فيها إلى نجاح الشوار في تونس الذين يصنفهم بالإرهابيين في البداية..... معاً: " منذ الآن بدأ البعض من مواطنينا التوسيين في الجزائر ممن هم مهددون مباشرة وتجهون في الطريق المؤدي إلى تونس بفضل استسلام فرنسا فيها، إن أعدائنا كان لهم من المرأة ما جعلهم يعتقدون أننا خضعاء، فالأمر الساري اليوم بين الناس في الأوراس هو أن الإرهاب قد انتصر في تونس فلماذا لا ينجح في الجزائر أيضا.

<sup>1</sup> - برابي باتني: الاستسلام في تونس خطر على الجزائر، جريدة الصباح التونسية، العدد: 1017، 1955/04/20، ص 1.

<sup>2</sup> - برابي باتني: الاستسلام في تونس، بوار على الجزائر، مرجع سابق، ص 1.

ويضيف الكاتب مدقفا السياسة الفرنسية في الجزائر قائلا : " ففي الانتخابات، الإقيسيه الأخيرة في مقاديرها فستعينة تمكن حزب الإتحاد الديمقراطي الذي يرعاه " فرحات عباس " من أن يجد أنصارا وبكسب أصواتا كثيرة وذلك بفضل تضامنه مع المثقلة في هذه المنطقة.....

الغلبة الذين يسمح لهم " جنود التحرير الأبطال " والإدارة الفرنسية لا تهب شيئا من هذه المداينة المرمية ولكن ماذا كان رد فعلها عليها ؟ عجز واضح فكيف إذن يعجب بعد هذا من أن تتعاضد الاعتدالات وتكثر وتمتد الثورة الممنوحة كل يوم أكثر<sup>1</sup> .

إن هذا الكاتب الذي انتقد الحكومة الفرنسية بعري سبب انتشار الثورة وتطورها في كل أنحاء القطر الجزائري يوما بعد يوم إلى ماون إدارة الاحتلال في المزيد من القمع والإرهاب لسكان ويعترف بأن الشعب الجزائري أصبح ساحر هذه الثورة والمتضامنين معها حتى من السياسيين الجزائريين الذين لم ينظموا بعد لصفوف الثورة خرب السيد فرحات عباس " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري " .

وهنا هذا الكاتب أن يدرك أن هذه الثورة ليست كمثورات القرن التاسع عشر أو محتاليع القرن العشرين، لأنها ثورة شعبية قائمة على الأساليب الحديثة في المقاومة الوطنية.

إن الكاتب الفرنسي الاستعماري المتطرف " بول باني " لم يكن ماثقدا الحكومة الفرنسية فحسب، بل فقد انتهى به الأمر إلى دعوة فرنسي تونس والجزائر إلى الثورة على السياسة الفرنسية في كل من تونس والجزائر لأنه يرى الوضع في كلا البلدين مرتبط ببعضه البعض والتعني عن تونس عن طريق السياسة والدبلوماسية يؤدي لا محالة إلى فقدان الجزائر.

وهذا ما يؤرخ المستوطنين الغلاة لأفهم يعتقدون أن الجزائر هي فولة من أجسادهم وليس فقط قطعة من فرنسا وإنما جاء في هذه الفقرة من المقال قوله: " تلك هي إخاللة اليوم ، إخاللة البانسة التي تدر بكل خطر وخوف ، ولكن بما أن باريس ترفض أن تدرك واقعهم ، فإن الوقت إذن قد حان لكي نستبق ، نستبق لندخل إلى جانب أصدقائنا التونسيين في الكفاح الختوم الذي يستعينون له " .

إن هزيمة الحكومة الفرنسية في تونس خطر عمت لجزائر الفرنسية وفرنسي الجزائر لا يمكنهم أن يتأخروا هذا الخطر إلا بالاعتماد على أنفسهم، لقد دقت الساعة التي يجب عليهم فيها أن ياركوا الخطر الخندق لهم ويقابلوه ، بما يجب من رد الفعل أما غدا فإن الوقت يكون قد فات وقد علقمت جريدة الصباح التونسية على هذا المقال الذي نقلته من صحيفة " تونيزي فرانس " منتقدة صاحب المقال لقد لاغها معهم دعوته سافرة لفرنسي تونس والجزائر للقيام بالانتفاضة والثورة على الحكومة الفرنسية ذاتها واعتبرت صاحب

<sup>1</sup> - المراجع نفسه .

هذه الدعوة رحلتا استعماريًا متحلفًا عن العجز<sup>1</sup> : "...هينأت إذن أقوام ما يزالون مصريين على أن ينفوا عملياً لا يفقهون شيئاً على الرغم من جميع الكوارث التي قامها الشعب الفرنسي في سبيل تطهيرهم الاستعمارية الذميمة . ثم هم بالإضافة إلى ذلك فقد فقدت منهم كل روح وطنية حقيقية ابتلاهم وأنهم ، زاحين نأتمهم في حرب حقيقية خائفة ضد شعوب مسالمة لا تبحث إلا عن صداقة الشعب الفرنسي واحترامه ...".

لا تفتأ جريدة الصباح التونسية تواصل مقالاتها الواصلة تلو الآخر عن الأوضاع في المغرب العربي . ولكنها تركز دائما على الجزائر نظرا لما يقع فيها من أحداث حساس بعد اندلاع ثورة الفلاح من نوفمبر 1954م . وقد نشرنا في يوم 26 ماي 1955 مقالا بعنوان "لابد من الحل السياسي" تناول فيه الكاتب بعض ما تعالجه الصحافة الفرنسية حول القضية الجزائرية وخاصة وبلدان الشمال الإفريقي بصفة عامة .

وقد ركز فيه على مقال "م.جان روس" الذي نشر في جريدة "فيران تيرور" الفرنسية ومما جاء فيه : "تدرجت الحالة في الجزائر نحو حالة من الخطر غير عتها" م.سوميتيل" نفسه بأنها تدعو إلى التخلي في مقاطعة قسنطينة ، كما تدرج الوضع في المغرب إلى زيادة حركية الإرهاب"<sup>2</sup>.

أما في تونس فإنه على الرغم من الاستفزازات التي يقوم بها المتطرفون من الاستعماريين والمتعصبين لإعادة القوضي إلى البلاد التونسية فإن الوضعية في تونس في مجموعها عادية والشعب هناك ينتظر عودة الخبيب بورقيبة والوراء التونسيين إلى بلادهم بعد التوقيع على الاتفاقيات ، فإذا كان الأمر كذلك في تونس فكما نرى على الرغم من الاستفزازات الجارية لم تخطو فيها الحوادث إلى التعكير العام . فإن الفضل في ذلك يرجع إلى الأسلوب الذي عوخت به المشكلة التونسية والذي نادر به إليها على أنها مشكلة عامة تسببت في الثورة والإرهاب وكان الحل الناجح لها هو "الحل السياسي" ، أما في الجزائر فإننا لا نزال في مرحلة التمعق والضغط"<sup>3</sup>.

وإن خطورة الوضع فيها جعلنا نبلغ درجة لا نخلو من جنون في استعمال اجهاز العسكري بصورة لم يسبق لها مثيل ، ولكن النتيجة التي نحصلها عنها أظهرت أنه لا يمدنا شيئا أن نرجل المشكلة السياسية ، إن بقاها دائما على الطليقة التي تقول : "النظام أولا ثم الإصلاحات فيما بعد مع صرف 90% من جهودنا في عمليات الضغط والتمسيع و10% في المعالجة السياسية هو الذي يعسم البشر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بوابي مانس : الانسلاخ في تونس خطر على الجزائر ، مرجع سابق ، ص 1.

<sup>2</sup> - م.جان روس : "لابد من الحل السياسي" ، جريدة الصباح : العدد 1049 : 1955/5/26 ، ص 41.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 1.

<sup>4</sup> - نفسه.

ويعطي الكاتب " جان روس " ضرورة تقييمه لأوضاع الثورة و جيش الاحتلال معا في الجزائر ويخبر فرنسا من أن الثورة لم تعد تقتصر على الأوراس ، وإنما انتشرت شمالا لنجم عمالة قسنطينة كلها تقريبا ، ويقدم مقالة يبي الثوار الجزائريين والجيش الفرنسي في مسألة الاستمادة من حزم ، الفيتام في أن الجزائريين استفادوا فعلا من هذه الحرب لاسيما في السرية والاعتماد على الشعب في التموين ، بينما لم يستفاد الجندي الفرنسي من ذلك أي شيء .

ويعبر المسألة الجزائرية مسألة سياسية لا عسكرية : " إن الثورة الجزائرية عندما بدأت كان عند أعصابها يضع مناد ، في جبال الأوراس ، ولكننا اليوم نشاهد مقاطعة قسنطينة كلها في " حالة الطوارئ " و كل المثلث الواقع بين قسنطينة سكيكدة والمليحة أصبح منطقة فقد فيها الأمن ، والثوار يحولون بالنسبة لثورة المركزية التي عندهم بها الأهالي بصورة مباشرة أو غير مباشرة وهم يستعملون أسلوب الفيتامين الذي لا يراهم به أحد في حين أن محاربينا نحن يظهر عليهم أنهم لم يتعلموا شيئا من تلك الحرب في هذه العملية . أما معارضة هذه القوة التي نستعملها في إثارة الغضب في فلول السكان لقوة الثوار الذين لا تراهم والتذين يعملون بأشواط الكبر والفر فمعتاد أننا نظهر مرة أخرى عجز قواتنا العسكرية الجزائرية من جهة ، كما نقيم من جهة أخرى الدليل على أن المشكلة مشكلة سياسية فماذا تستطيع البداية أن تفعل ضد البداية التي تسمع لسعها قاتلا ؟ "

ويستمر الكاتب في نقد سلطات الاحتلال في الجزائر بل وفي الحكومة الفرنسية قاطبة على السياسية الخدباء التي كانت تسلكها مع الثوار ، ومع الوضع العام في البلاد بصورة عامة فهم يرى أن المسؤولية الجماعية التي يطبقها " سوستيل " في الجزائر ضد السكان لم تجد نفعا مادام هناك معمرين متعصبون تقفون أمام الإصلاحات وأمام الحل السياسي .

ومما يزيد الكاتب قنفا وتشاوما من الحل هو غياب سلطة واحدة في الجزائر يمكن التفاوض معها لحل المشكلة الجزائرية كما هم الحال في تونس مثلا ، ويختم مقالة بأن الحل الوحيد للمسألة الجزائرية هو الحل السياسي لا الحل العسكري ، مضيفا :

" فكمي تقع نسلبت العقاب على السكان المتعاونين مع الثوار . ننظر الإدارة محسبما يشاع - في تطبيق المسؤولية الجماعية وقال : سوستيل في هذا الصدد : " إن المسؤولية الجماعية يجب أن تطبق على سكان البوادي الذين تقع في جهتهم أعمال اعتداء أو تخريب لا يمكن القيام بها إلا بمغونة أولئك السكان " ، ولكن هل يعتقد " سوستيل " حقا في هذه الطريقة ويؤمن بهذه الفكرة ؟ أم تعلمه التجربة بأنها أعظم دليل على الضعف ؟ إن مما يحزن القلب أن " سوستيل " عندما يطالب بالإصلاحات تقاومه عناصر الإستعمار وتخرب



أعماله وننادي تنحيتها من منصبه وعندما يتخذ تدابير للقمع يجد أن أولئك الاستعباريين أنفسهم قد تجاوزوه وأفلت منه رماهم ومادا يبقى للشعب الجزائري من كل ذلك؟<sup>1</sup>

ويضيف "جان روس" قائلا: "الواقع أن خطورة المأساة الجزائرية تضعنا أمام السؤال الآتي: كيف أمكن أن يتطور عدد الثوار في أشهر قليلة من بضعة مئات إلى عدة آلاف؟ ولماذا امتدت منطقة الخطر إلى مقاطعة بأكملها بقطع النظر عما يجري في بلاد القبائل عن بعد سبعين كيلو مترا من الشواطئ؟ إن هذا السؤال وحده كاف ليقيم الدليل على إفلاس سياسة بأكملها، إن المؤسف هو أن الجزائر ليس فيها رئيس سياسي يخضع له جميع الناس بحيث يستطيع أن يقبل حل معقول في نظر الجميع كما هو الشأن في تونس وليس فيها سلطان مخلوع يمكن أن يتدخل في الأمر ويعين على الحل الممكن، وإنما فيها أحزاب وطنية منقسمة ولكن يظهر أنهم لا يمكنون سلطة على الثوار إذ أن هؤلاء الأخيرين يولفون نوعا من القوة الثالثة انطلقوا في طريق الحل الذي قادهم إليه اليأس والبلاد كلها بفعل سياسة حمقاء أصبحت مادة انفجارية وتسير اليوم حركة التمرد بشكل يتنبه انفجارات البارود".

ويضيف قائلا: " فمن هو الذي يتمتع بالتنفيذ الإلزام لإيقاف هذه العمليات؟ وما هو الحل الذي يمكن أن يقود إلى اتفاق معقول؟".

من الحزن مرة أخرى أن لا نجد جوابا على هذا السؤال إلا السكوت الفاجع<sup>2</sup> ومع ذلك فإن الكلمة يجب أن لا تبقى للرشاشات والمدافع - خاصة - ونقول هذا على الرغم من أنه لا يسر أصحاب القوة وأن المدفع وحتى الدبابة عاجزان أمام رشاشة صغيرة تحمئها شاب في قلبه الإيمان سواء أحببنا هذا أم كرهنا وسواء أردنا أم لم نرد؛ فإننا سنكون يحيرين في الجزائر على أن تعطي الأولوية للحل السياسي".

وإذا كان جان روس يتفقد الحكومة الفرنسية على تخاذلها كما يرى أمام ثوار الجزائر المكافحين فإن لجنة تحرير شمال إفريقيا ترفع في الوقت نفسه عقيرتها منادية بتأييد الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي وتعلن عن تأييدها لكل من تونس و الجزائر وتقيم بدول مؤتمر بانديونغ 29 وبدول الجامعة العربية التي صادقت على لائحة للتدخل السريع لفتح مفاوضات بين فرنسا وممثلي الجزائر "وترفع اللجنة صيحتها بصارم الاحتجاج لدى الحكومات المشاركة في عضوية ميثاق الأطلسي، لأنها سمحت لفرنسا باستخدام قوات خاضعة لسلطة هذه المنظمة وكان استخدامها في الجزائر وبذلك تكون متواطئة مع الاستعمار الذي استنكره العالم أجمع. وهكذا ظلت الصحافة التونسية نولي اهتماما مباشرا بتطور الأوضاع السياسية في الجزائر لاسيما منذ اندلاع شرارة الفاجع من نوفمبر 1954م، تنقل وترجم وتنتشر ما يصرح به السياسيون العسكريون الفرنسيون سواء في فرنسا أو في الجزائر، وتعيد نشر ما تكتبه الصحافة العالمية بعد ترجمته إلى اللغة العربية معقنة ومحللة وناقدة تارة وناشرة للأخبار دون التعليق والنقد تارة أخرى، وما

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

أن تونس والجزائر كانتا تعانيان من نظام استعماري واحد، فإن المقالات كانت تجمع غالبا بين أوضاع البلدين، وتربط بينهما في الصراع والظراء، وتحاول التقريب بين سياسة البلدين في العمل والدعوة إلى التحرير الوطني متبعة أعمال المنظمات العربية والدولية التي تنص على للقضايا السياسية في البلاد المغاربية لاسيما الجزائر.

إن جرائد الصباح والعمل والأسبوع والدستور كانت تضع القضية الجزائرية في مقدمة قضايا التعامل الإفريقي، لاسيما الأسبوع والصباح وهو توجه إن دل على شيء، فإنما يدل على عراقلة العلاقات الجزائرية التونسية وتطورها بتطور الظروف السياسية والمناخات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وسنرى في المبحث الثاني كيف تعمقت تلك العلاقات السياسية والعسكرية بين البلدين حتى صارت تونس تمثل القاعدة الخلفية للجزائر طوال سبع سنوات ونصف.

### المبحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة :

لاشك أن الدارس للعلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة، يجد أنها قد حظيت بمكانة هامة لدى التونسيين من حيث الاهتمام السياسي وحجم التضامن الشعبي، وذلك بحكم اجترار وتوطد الصلات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية بين القطرين، ولهذا اعتمدت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها على الوجهة التونسية كمطلق للتزويد بالأسلحة وتركيز القواعد الخفية والنشاطات الإعلامية والسياسية، وفي هذا الصدد سنحاول النظر في مظاهر التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية بخصوص تأييد الثورة الجزائرية، وإبراز مواقف النظام التونسي من دعم الكفاح السياسي والتعبوي للقضية الجزائرية بالتعرض لخلفيات الموقف التونسي وأبعاده في مدى فاعليته في دعم القضية الجزائرية..

والحق أن التوجه المغاربي المشترك في تعميم الكفاح المسلح سرعان ما فتر إثر تصريح قرطاج ومباشرة الحزب الدستوري لمفاوضاته مع فرنسا لإنهاء المقاومة، إذ كانت العناصر المؤثرة في الحزب تحرص على أن يكون إضار العمل المسلح محدد بالحوال والزمان، لكونه عنصر ضغط على فرنسا، إلغاء نظام الحماية والجلوس إلى المفاوضات، لكن هذه السياسة ما كانت لتثمر في رأينا لولا انعكاسات الثورة الجزائرية، فقد أدى اندلاعها بعد أشهر من تصريح قرطاج إلى إسراع فرنسا بتوقيع مع التونسيين، وسلمت في جوان 1955م بالاستقلال الذاتي لتونس، وعززت موقف بورقيبة في مواجهة الرافضين لهذا الاتفاق والداعين إلى مواصلة الكفاح المسلح ومساندة الثورة الجزائرية<sup>1</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة الجزائرية قد تفوقها إلى تونس وتعاون مع أنصار "صالح بن يوسف" لتمرير السلاح وشن الهجمات على القوات الفرنسية، كان الصراع على أشده بين بورقيبة وصالح

<sup>1</sup> - رغبة علم: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر العدد 4، مركز البحوث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (1954م-1962م)، الجزائر، 1999، ص 142-143.

بن يوسف، إذ كان كل منهما يحاول تأكيد اتجاهه، ولكن حدة الصراع شغقت إثر إعلان فرنسا استقلال تونس في مارس 1956م<sup>1</sup>. وفي السياق الرافض للعلاج الأحادي في بلدان الشمال الإفريقي، وبعد تغلب تيار بورقيبة صرح "حسين التريكي" عضو لجنة تحرير المغرب العربي إلى جريدة الشعب البغدادية الصادرة في 28 ماي 1956م قائلا: "إن كل حل لقطر واحد من أقطار المغرب العربي يعتبر خديعة استعمارية فاضحة، ولا يمكن أن يؤمن استقلال أي قطر، ولذلك فإننا نؤمن أن استقلال تونس ومراكش متوقف على استقلال الجزائر، وهذا يحدد الفرنسيين يلجؤون إلى المناورات السياسية، وأنقاص الاستقلال ضمن التكامل والتبعية المتبادلة، وذلك حتى يتمكنوا من إضعاف المغرب ونشيط صفوفه، وبذلك تتاح لهم الفرصة للظفر بالمغرب بنذا تلر الآخر، كما احتلوا العرب قطرا بعد قطر، إن الثورة المتدعة الآن في الجزائر هي في الحقيقة ثورة المغرب العربي، ولذلك وجب على كل من شعبي تونس ومراكش أن يساندوا الجزائر في ثورتها لكي تتمكن من الحصول على استقلالهما الحقيقي والاحتفاظ به، وكم يؤسفنا أن نرى بعض زعماء تونس وقد انقلبت عليهم تلك المؤامرات فأخذوا في التحني عن النضال الموحد، بل أنهم تجاوزوا ذلك عندما اندفعوا لمغادرة جيش التحرير الجزائري، ووقفوا إلى جانب فتح قيادة المعلوم السيد...".<sup>2</sup>

من جهة أخرى، جزم هؤلاء أن الزعماء العرب كانوا يؤكّدون بقوة على ضرورة وحدة الكفاح المغربي، ويعتبرون ثورة الجزائر هي ثورة المغرب العربي كله، وليست ثورة الجزائر وحدها. وقد أكد من قبل السيد فرحات عباس "ما ذهب إليه السيد "حسين التريكي" عندما صرح في ندوة صحفية بالقاهرة يوم 25 أفريل 1956م، قائلا: "إن كيان الجزائر مرتبط بكل الارتباط بكيان تونس... فمن المعلوم أن الغزو الفرنسي للجزائر كان السبب المباشر في غزو تونس أيضا... فكيف يتصور بعد هذا غزو الجزائر الشقيقتين تحررا حقيقيا، مع بقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟ فإما أن يتم تحرير الجزائر أو أن يكون استقلال تونس... مجرد سراب خادع، لقد توحدت الآن جميع القوات الوطنية المكافحة ضد الاستعمار في سائر أنحاء المغرب العربي تحت قيادة موحدة...".<sup>3</sup>

وفي إطار العلاقات الجزائرية التونسية علقت صحيفة جريدة الجزائر "le journal d'Alger" قائلا: "هل هناك محاولة تونسية جزائرية لحمل فرنسا على مراجعة القضية الجزائرية؟ وقد علقت على هذا العنوان بعد أن أعلنت عن زيارة السيد "محمد اليزيد" إلى تونس قائلة: لقد أجرى السيد اليزيد في السابق عدة محادثات مع المسؤولين الجزائريين بتونس، فهل المراد من هذه المحادثات الاتفاق على السياسة التي ينبغي إتباعها لتعزيز المعركة الوطنية بالجزائر؟ أم هو البحث عن حل يكلف وسيط رسمي يعرضه على الحكومة

1- فتحي الذويب: عيد النصر وثورة الجزائر، 11، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984م، ص 180.

2- جريدة الشعب البغدادية، 1956/05/28.

3- جريدة العمل التونسية: هناك محاولة تونسية جزائرية لحمل فرنسا على مراجعة القضية الجزائرية، العدد: 460، 16 أبريل 1957م، ص 1-6.

الفرنسية<sup>1</sup>، وتؤكد أن هناك محاولة تونسية جزائرية جديدة تعد لحمل فرنسا قريبا على مراجعة القضية الجزائرية....<sup>2</sup>

والحق أن حجم التضامن الشعبي التونسي وتحسك المعارضة بمواقفها، فرض على حكومة بورقيبة دعم الثورة الجزائرية خصوصا السماح للثوار الجزائريين بمواصلة نشاطهم بتونس مثلما كان يحدث سابقا .

ولكن لم يكن بوسع تونس عشية استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية، أو تبدي تأييدها لأهداف جبهة التحرير الوطني في كفاحها، خاصة وأن النقوذ العسكري والاقتصادي كان ما يزال سيد الموقف ولم يتحقق لنشاط الثورة الجزائرية، ولذلك راحت تقدم دعمها الخفي للجزائر، وهي في مفاوضات مع الجزائر وتتاور من خلال بذل الجهود السليمة لإيجاد حلول للقضية الجزائرية من جهة أخرى.

إن نظرة جبهة التحرير الوطني لاستقلال تونس كانت متباعدة، إذ أن مسؤولي الوفد الخارجي وثوار المنطقة انتأخذا لحدود تونس، كانوا يفضلون استمرار تونس في الكفاح ويرتاضون للتعامل مع أنصار صالح ابن يوسف في تزويد الثورة بالسلاح، حيث واصل عبد الحفي الأوراسي وعلماس التعاون مع المعارضة دعم الجنوب التونسي.

أما مسؤولو الداخل فأدركوا أنه لا مناص من التعاون مع الحكومة الجديدة التي أبدت رغبتها في ذلك بفضل تضامن الشعب التونسي، وتفر في مؤتمر الصومام بعد دراسة الوضع الاعتماد على المسعى الحكومي وتنسيق العمل مع حكومة بورقيبة في الميدان السياسي والتعبوي، وخاصة إيجاد آلية محكمة لتسريع الأسلحة.<sup>3</sup>

لقد تدعم نشاط جبهة التحرير الوطني بتونس منذ شهر ماي 1956م، وذلك بإنشاء النظام السياسي والعسكري للثورة الجزائرية تحت مسؤولية عبد الحفي الأوراسي وجماعة الداخل، وبعدها بإشراف علماس<sup>(\*)</sup>، حيث توطن النشاط السياسي والعسكري بقاعدة تونس وأطرت الجالية الجزائرية، كما ازدادت قوة التأيد الشعبي التونسي مع القضية الجزائرية، وقدمت الحكومة التونسية تسهيلات معتبرة للثورة الجزائرية وأصبح لهذه الأخيرة نفوذها الخاص في تونس منذ سنة 1956م.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المراجع السابق.

<sup>2</sup> - بنظر المادي أحمد توفيق: حياة كفاح مذكرات، ج3، ط2، م و ك، الجزائر، 1988م، ص 152.

<sup>3</sup> - أحمد محسن (ع)، من الأعضاء البارزين بحزب الشعب، ساهم في تأسيس اتحادية الجبهة بفرنسا إلى الألفية سنة 1955م، لم تكتب مسؤولا عن التسليح بلبيدا، ثم عين مسؤولا سياسيا وعسكريا بتونس، حيث قام بتنظيم القاعدة وتضامنها، وأثر الاموال التي لا تفتقر عارضين جماعة الداخل، فتمت تهيئته وتكليفه بشؤون التسليح في ألمانيا إلى غاية الاستقلال.

- بنظر: GURNTRI MOHAMAD Organisation Plitico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962 OPU Alger 1994 T.I P 715.

<sup>3</sup> - المراجع نفسه.

وهكذا كان موقف الحكومة التونسية التضامني مع الجزائر تعبيرا عن رغبة الشعب التونسي حيث اعتبر زهانا سياسيا لتحقيق الانتصار على المعارضة اليوسفية، وذلك بكسب الجزائريين إلى جانبها وتنظيم نشاطهم بشكل يحقق الاستقرار والأمن في تونس.

لذا نادى حكومة بورقيبة بكسب الجزائريين إلى صفها والحصول على اعتراف جهة التحرير الوطني بنظامها، وتحقيق الاستقرار والنظام في تونس بشكل يزيل الرئس بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا وفي إطارها يسهل معالجة مشاكل الشمال الإفريقي، غير أن المشكل الجزائري وقف عائقا أمام تعاون الحكومة التونسية مع فرنسا، وتعرضت المفاوضات التونسية الفرنسية حول اتفاقية التعاون إلى الانقطاع المستمر نتيجة تصليب الموقف الفرنسي وإصراره على بقاء القوات الفرنسية في تونس، وضرورة إيقاف مساعدة التوار الجزائريين، والتزام موقف الخياد بخصوص المشكل الجزائري.

وعلى الرغم من التسهيلات المدعمة لنشاط جهة التحرير الوطني في تونس، فإن الموقف السياسي للحكومة التونسية لم يرق إلى مستوى أهداف ومبادئ الثورة الجزائرية، نظرا لاختلاف التوجهات السياسية وتباين طبيعة القضية الجزائرية عن القضية التونسية، وينحلي لنا أن تصور المشكل الجزائري في نظر بورقيبة ينم عن تجاهله لحقيقة الثورة الجزائرية.

إذا لم يكن بورقيبة يسم بأن الجزائريين أدرى بحلافهم وأعرف بحلول قضيتهم، وعلى الرغم من اعترافه أن المشكل التونسي يختلف عن المشكل الجزائري وتسليمه باختلاف الوضع بينهما، فإنه كان يظن أن فرنسا كما نازلت عن تونس والمغرب ستلجأ للتفاوض مع الجزائر والتنازل عليها.

وأن على هؤلاء ألا يعولوا على الخيل العسكرية فيقبلوا بمساعدة التفاوض مع فرنسا ولو أدى ذلك إلى القبول بحكم الذاتي<sup>1</sup> السلمية التي تضمن للشعب الجزائري الشفيق حقوقه الوطنية لسود الاطمئنان كامل أقطار شمال إفريقيا ويزول آخر عامل يكثر صفو العلاقات بين الشعبين التونسي والفرنسي<sup>2</sup>.

والحق أن الحكومة التونسية قد أدركت خطورة انعكاسات حرب الجزائر على الاستقلال التونسي انذي أكدت أنه لا يزال ناقصا ولن يكتمل إلا بإيجاد حل للقضية الجزائرية خاصة وأن حسامية الشعب التونسي تزايدت أمام القمع الفرنسي المتواصل للشعب الجزائري ومطاردة القوات الفرنسية المربطة في تونس للتوار الجزائريين، وعليه فقد قام الرئيس بورقيبة منذ 1956م، بتقديم اقتراحات للتفاوض بين طرفي النزاع، كما دعا للتعاون بين أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة، وإيجاد تسوية للمشكلة الجزائرية في إطار

1- ينظر: بورقيبة الحبيب من أرواح المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، ط1، شركة فنون الرسم، 1984م، ص 75.

2- خطاب الرئيس بورقيبة في مجلس الأمة التونسي، 19 أفريل 1956م، المصدر السابق.

الجامعة الفرنسية- الشمال إفريقية وتوالت الاتصالات بين المسؤولين الجزائريين وحكومة تونس. بالتحضير لعقد ندوة في تونس يوم 23 أكتوبر 1956م، للتباحث والتشاور فيما يخص وحدة الشمال الإفريقي. وسبل فض المشكل الجزائري، وعلقت تونس أماني كبرى على نجاح الندوة، وكان بورقيبة يعتقد أن الحكومة الفرنسية تبدي رغبة في عقد لقاء ثلاثي يجمعه مع الملك محمد الخامس والقادة الجزائريين، لضبط مطالب مشتركة تقدم إليها، لكن ثقة بورقيبة والملك محمد الخامس في فرنسا وثقة زعماء جبهة التحرير الوطني في قادة الشمال الإفريقي، كانت نتيجةها الفرضية الجزئية للطائرة المثقلة للزعيماء الجزائريين الخمسة، وهي في طريقها من المغرب إلى تونس، وكان الهدف من عمل الإدارة الفرنسية هذا هو إفشال الندوة واعتقال ابن بلة ورفاقه، وهو ما أثار استنكار جبهة التحرير الوطني وضاعف من تضامن تونس مع القضية الجزائرية فقد قامت احتجاجات شعبية عارمة في تونس، وقامت الحكومة التونسية باستدعاء سفريها بباريس وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين<sup>1</sup>.

وأكدت أن هذه الفرصة قد نقلت كفاح الجزائر إلى تونس، وباعدت الشمال الإفريقي عن فرنسا وقفرت بالمشكل الجزائري نحو خطورة أشد، وأكد الرئيس بورقيبة أن السلطات الفرنسية لن تتمكن من إحباط ما خطعت له ندوة تونس من أهداف، وأن انعكاسات هذه الحادثة ستعود بالفائدة على القضية الجزائرية<sup>2</sup>. وبذلك عرفت العلاقات التونسية الفرنسية تراجعا كبيرا بفعل هذا الحادث، إلا أن توجهات الرئيس بورقيبة كان هدفها النجوى دائما إلى الغرب لطرح قضايا الشمال الإفريقي، لهذا قام بمساع مع الرئيس الأمريكي إيزنهاور بخصوص تعاون بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة للضغط على فرنسا لإيجاد حلول سلمية للقضية الجزائرية.

وتحس بورقيبة لإقامة مشروع حلف بدان غربي البحر الأبيض المتوسط، وهو تحالف غربي يمكن أن يجد حولا لمسألة الجزائرية بعد أن وافقت كثير من الأطراف على الانضمام إليه وحاول بورقيبة إقناع جبهة التحرير الوطني بالانضمام إلى هذا الحلف، لكن مساعيه واتصالاته بقيادة الجبهة باءت بالفشل، على الرغم من تأكيده لقوائده هذا الحلف وأن الولايات المتحدة الأمريكية ستمارس ضغطها على فرنسا لتقيام مفاوضات مع الجزائريين، إلا أن توجه جبهة التحرير الوطني عارض مثل هذه الأحلاف.

إن تطور المشكل الجزائري الذي هدد كامل الشمال الإفريقي دفع تونس إلى التأكيد على ضرورة تكتل الشمال الإفريقي، لهذا قام الرئيس بورقيبة بعدة مساع في هذا الاتجاه مع المغرب وإيبيا، ف عقدت تونس معاهدة تضامن وصداقة مع الحكومة المغربية في مارس 1957م، وبعد شهرين عقدت معاهدة أخرى مع

<sup>1</sup> ج. راجع قليل عمر: ملحمة الجزائر الجديدة، ط1: دار الإذاعة، قسنطينة، 1991، ج3، ص 133، 134.  
<sup>2</sup> ينظر: المقاومة الجزائرية، العدد 15 (20 ماي 1957م)، ص 12.

المملكة الليبية سنة 1957م، وأكدت المعاهدتان ضرورة الوصول إلى حل سلمي لقضية الجزائر في إطار تكتل الشمال الإفريقي.

لقد وجدت هذه الجهود التونسية على المستوى الإفريقي تجاوبا لدى المسؤولين الجزائريين، ومكنت جبهة التحرير الوطني من تأكيد مطلب وحدة الشمال الإفريقي، وخصوصا كسب تعاون السلطات التونسية في الميدان السياسي، والاستفادة من تمهيداتها المهمة في تمرير الأسلحة واستقبال اللاجئين واعتماد الأراضي التونسية كقواعد خلفية لتتوار<sup>1</sup>، وبمناسبة احتفالات تونس بالذكرى الأولى للاستقلال استدعت الحكومة التونسية وفدا رسميا يمثل جبهة التحرير الوطني.

وقد اعتبرت الأوساط الفرنسية هذا الإجراء آنذاك بمثابة اعتراف تونسي بجبهة التحرير الوطني ولم يؤكد الرئيس بورقيبة هذا الاعتراف صراحة من قبل، وهو يدعو الطرفين الفرنسي والجزائري إلى إيجاد حل عادل على أساس تقرير مصير الشعب الجزائري، وكانت المناسبة فرصة للوفد الجزائري لإجراء الاتصالات مع الوفود الدولية ليؤكد في ندوة صحفية على أهداف النضال الجزائري، ورغبة الشعب الجزائري في التخلص من الاستعمار وانتزاع استقلاله بنفسه: "إن جبهة التحرير الوطني لا يمكن أن تقتنع بحل لا يسبقه الاعتراف باستقلالها"<sup>(2)</sup>.

لقد تأكد الحضور السياسي لجبهة التحرير الوطني في تونس بعد التحاق لجنة التنسيق والتنفيذ C.C.I في ماي 1957م، واتصالها بالمسؤولين التونسيين لشمين فعالية الدعم التونسي لنشاطات جبهة التحرير الوطني السياسية والتعبوية والاجتماعية، وركز أول اجتماع لها في تونس على تنظيم شؤون الثورة بهذه القاعدة الإستراتيجية، ولكن بعد شهرين فضلت الالتحاق بالقاهرة.

ويبدو أن تونس لم تكن في مكان آمن نظرا لحرشات القوات الفرنسية لها، فاجتازت لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية القاهرة مقرا لها لأهمية مصر آنذاك ومساندتها للقضية الجزائرية كما أن نوابا الرئيس بورقيبة وعروضه التفاوضية لم تكن تريح أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ففضلت الانسحاب خفية الاضطرار بالنظام التونسي<sup>2</sup>.

لقد كانت أهداف جبهة التحرير الوطني من الكفاح المسلح هو تحقيق اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر كسبداً أساسيا للتفاوض وإيقاف القتال، وقد تضمنت ميثاق الثورة هذا المبدأ الأساسي، لكن لجنة التنسيق والتنفيذ لم تفره بشكل جلي للنظام التونسي، إلا خلال اجتماعها في تونس أكتوبر 1958م، قبل

<sup>1</sup> انظر الذيب فتحي: عيد النصر وثورة الجزائر، مرجع سابق، ص: 361.

<sup>(1)</sup> - خلال هذا الاجتماع دعت جبهة التحرير الوطني إلى ضرورة عقد لقاء مع الحكومتين التونسية والسعودية لبحث خطة موحدة لحصول الجزائر على استقلالها، وأكدت على مبدأ الاستقلال التام كشرط للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية ينظر نصر بيان لجنة التنسيق والتنفيذ، بشهر أكتوبر عني، وزارة الإعلام والثقافة.

ينظر: ملفات وثائقية، رقم 24، النصوص الأصلية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، مصدر سابق، ص: 131-132.

<sup>2</sup> انظر الذيب فتحي: عيد النصر وثورة الجزائر، مرجع سابق، ص: 106-361.

شروع الرئيس بورقيبة في مباحثاته مع الملك محمد الخامس و طرح مشروع الوساطة المشتركة إيجاد حل للمشاكل الجزائري (\*) .

ولاشك أن التمسك بهذا المطلب يتعارض تماما مع مبدأ وأسلوب بورقيبة في التعامل مع القضايا السياسية، واجتمع الرئيس بورقيبة مرتين بقيادة جبهة التحرير الوطني قبل سفره إلى المغرب محاولا إقناعهم بعدم التمسك بشرط الاستقلال، لأن ذلك يصعب موقفهم دوليا في الوقت الراهن، فوضحا : " إن أي شعب يتنازل إن يحصل على استقلاله مباشرة بل يتم بالتدريج " .

وحاول الرئيس بورقيبة استمالة الملك محمد الخامس للضغط على قادة الثورة وتلين موقفهم، لكن أحداثات المسؤولين الجزائريين مع الملك محمد الخامس وضعت حدا لتلك التأثيرات، وصدر البيان المشترك التونسي المغربي في نوفمبر 1957م، مؤكدا على موقف جبهة التحرير الوطني، وتضمن توجيه الطرفين " بناء حارا لإجراء مفاوضات تؤدي إلى حل عاجل بفضي إلى تجسيد سيادة الشعب الجزائري وفقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة " .

واقترح البيان وساطة الدولتين التونسية والمغربية على النزاع لحل المشكلة الجزائرية، وردت جبهة التحرير الوطني بالإيجاب على مبدأ الوساطة موضحة في بيان لها تمسكها بمبدأ الاستقلال " نعم لتجسيد السيادة إن كانت تعني الاستقلال لا إذا كانت تسجل في التراجع " <sup>2</sup> .

ولاشك أن مشروع الوساطة المشتركة جاء متقدما على مقترحات الوساطة التونسية السابقة، كما أنه حقق مكسبين لجبهة التحرير الوطني، فعلى الرغم من رفض فرنسا للمشروع فهو يعترف على لسان الدولتين التونسية والمغربية بمشروعية الكفاح الذي تقوضه جبهة التحرير الوطني ويؤكد حق الشعب الجزائري في السيادة، وأن جبهة التحرير الوطني تعتبر مفاوضا زحبا لحل القضية الجزائرية، وأدى تمسك الحكومة التونسية بمبدأ الوساطة إلى دعم القضية الجزائرية سياسيا، ولم ينته عام 1957م، حتى صدقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على توصية نسجل الوساطة المغربية كسبيل حل مشكلة الجزائر <sup>3</sup> .

غير أن الحكومة الفرنسية رفضت مشروع الوساطة مدعية أن تونس والمغرب ليستا محابذين للنزاع، ولا تكفيان عن دعم النوار الجزائريين، ووجهت الحكومة الفرنسية حملة دعائية للتشكيك في مضمون الوساطة مثيرة الشكوك حول مفهوم السيادة وأهداف الوساطة، وما إذا كان غرضها إيقاف القتال أم حصول ضمانات السيادة، ومن جملة ردود الرئيس بورقيبة المتمسكة بأهداف الوساطة تأكيده على وجوب تغيير فرنسا إطارها القانوني الذي ندعيه على الجزائر مؤكدا للراي العام الفرنسي الأهداف الوطنية

<sup>1</sup> - خلال هذا الاجتماع دعت جبهة التحرير الوطني إلى ضرورة عقد لقاء مع الحكومتين التونسي والمغربية لبحث حملة موحدة لحصول الجزائر على استقلالها، وأكدت على مبدأ الاستقلال التام كشرط للتدخل في مفاوضات مع الحكومة.

<sup>2</sup> - يفتنر الديب فتحي: المرجع السابق، من ص 361 490.

<sup>3</sup> - EL MOUJDAHID ORGANE CENTRALE DU FLN , Imprimé en Yougoslavie, Juin.

<sup>4</sup> - يفتنر أبي محمد: مواقف جزائرية، ص 50.



للثوار الجزائريين: "إن هؤلاء الناس حملوا السلاح من أجل انتراع الاستقلال، ولا يمكن أن يقبلوا عرض وساطة من أجل إيقاف القتال فقط من غير أن يكون وراءه شيء غير الإطار القانوني"<sup>1</sup>.

إن استمرار مساندة الحكومة التونسية للثورة الجزائرية واعتبارها مشروع الوساطة خلا سياسيا حاسما لمعالجة المشكل الجزائري سبب فتور العلاقات التونسية الفرنسية، وأكدت تونس فشل أسلوب التعاون المنتهج مع فرنسا، إذ شكلت مسألة الجزائر حجر عثرة أمام تواصل سياسة التعاون التي كانت تونس في أمس الحاجة إليها لتبتيغ اليلاد، وهذا ما جعل الرئيس بورقيبة يعيد النظر في سياسة بلاده الخارجية فقد أكد أنه "لا سبيل إلى تعاون صحيح دائم بيننا وبين فرنسا ما دامت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي... لا يمكن أن تكون ضامنا مرتاحة لتعاون مع دولة تستعمل وسائل جتهتية تقمع حركة استقلالية ترمي إلى التحرر والاعتاق" وإزاء سياسة تونس المتبعة بشأن القضية الجزائرية تمكأت فرنسا في توقيع الاتفاقية المالية، المتعنة بالقرض الفرنسي لتونس، وأوضحت عن عدم استعدادها لتوقيع هذه الاتفاقية المقدرة بـ 14 مليار فرنك ما دامت تونس وحكومتها تؤيد الثوار الجزائريين، وأمام التغبوط الفرنسية المتوالية أوضح الرئيس بورقيبة موقف بلاده في رفض شكل التعاون المشروط الذي تطرحه فرنسا، وأكد: "إنني أصرح بصفتي رئيس حكومة أننا لسنا بحاجة إلى تلك القروض، إذا أريد بما استعناها وسيلة ضغط علينا"<sup>2</sup>، كما مارست القوات الفرنسية بالجزائر ضغوطا على الحكومة التونسية بحجة تتبع الثوار الجزائريين وقطع المساعدات التي يتلقونها من تونس، وشهدت القرى والمدن التونسية القريبة من الحدود حملة متزايدة من الاعتداءات والمطاردات، أثارت تدمير السكان الذين تعرضوا للاعتداء وهدمت منازلهم وأتلفت مزارعهم، وحالبت الحكومة التونسية بوضع حد لهذه الأعمال المخالفة للاتفاقيات المبرمة بين تونس وفرنسا والقانون الدولي.

وأكدت وجوب احترام سيادة الأراضي التونسية وحلاء القوات الفرنسية عن تونس<sup>3</sup> ولم تنسب هذه الاعتداءات قطع التضامن التونسي الجزائري بقدر ما زادت تآججا، وجات السلطات الفرنسية للمطالبة بإقامة منطقة حدودية محايمة تفصل الجزائر عن تونس. وتحرسها القوات الأمية أو قوات مشتركة تونسية فرنسية كإجراء وحيد لكف اعتداءات، وأمام فشل أسلوبها العسكري اهتذت إلى مناورة حراسة الحدود بهدف الحد من نشاط الثوار المترايد وقطع الإمدادات والاتصالات بين تونس والجزائر، وهذا ما أكدته رئيس الحكومة الفرنسية أمام المجلس الشعبي الوطني بقوله: "ستعمل الحكومة الفرنسية بجميع الوسائل اللازمة لإنهاء

<sup>1</sup> - ينظر المجلد، الثامن المركزي لجبهة التحرير الوطني (الطبعة التونسية): المجلد 16، ص 32.

<sup>2</sup> - ينظر بخصوص سيادة التعاون الفرنسية ومسألة الجزائر، محمد حسن، جاس: حول اتجاهات السياسة التونسية، مجلة العلوم تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية، القاهرة، المجلد 3 (ديسمبر 1957م)، ص 16-32.

<sup>3</sup> - د. حمق محمد، وقام للشهداء، شركة العمل للنشر، تونس، 1968م، ص 177.

الإعانة التي منحها تونس للجزائريين، يجب أن يفهم السيد بورقيبة بأنه يعرض الصداقة التونسية الفرنسية لمخطط<sup>1</sup>.

وقد أوضحت الحكومة التونسية استنكارها للاعتداءات التي تسببها القوات الفرنسية على التونسيين والجزائريين، واتخذت أحادية النجد منها، ورفضت أي شكل من أشكال التدخل في تونس، ودعم قبولها بإقامة قوات مشتركة لحراسة الحدود أو أن تقوم القوات الأممية بهذه المهمة التي ستكون في غير صالح الجزائريين<sup>1</sup>، وأمام هذا العرض واصل غلاة الاستعماريين بالجزائر قديدياتهم للطعن في السيادة التونسية وإثارة المشاكل للحكومة التونسية حتى لا تتوصل لأي اتفاق مع الحكومة الفرنسية يحقق مكاسب للتعاون أو يفرضي إلى جلاء القوات الفرنسية من تونس، إذ قامت القوات الفرنسية بشن هجوم على قرية عين دراهم الحدودية في ماي 1957م، وادعت أن الثوار الجزائريين تسببوا فيه لعرقلة المفاوضات التونسية الفرنسية، وأرادت القوات الفرنسية تحويل هزيمتها العسكرية خلال معركة جبل الكوشة بالتراب الجزائري إلى نصر دبلوماسي بالادعاء أن الثوار الجزائريين يحاربون فوق التراب التونسي وعلى التونسيين أن يتحملوا مسؤولياتهم<sup>2</sup>.

وإذا كانت الأحداث العسكرية في بداية الخمسينات لم تبدأ من الجزائر، لأن الاحتلال الفرنسي كان يلقي بكل ثقله على هذه البلاد باعتبارها القلب النابض الذي يحرك الجناحين تونس والمغرب ولذلك تأخرت الثورة المسلحة في الجزائر عن شقيقتها (تونس والمغرب) ولكنها عندما انطلقت كانت أقوى وأعنف وأشمل من تلك التي اندلعت في تونس سنة 1952م، لأنها ولدت من رحم المعاناة السياسية والحرمان الاقتصادي والإقصاء الاجتماعي والتمييز الثقافي وجرح في الهوية الوطنية.

حفا إن الثورة الجزائرية لم تكن ردة فعل تتجاوزت غلاة المستوطنين ووحشية إدارة الاحتلال، ولكن هدم الأفعال كانت معتبرة ضمن الأسباب الحقيقية في تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

حقا إن تطور الوعي السياسي وتصاعد المشاعر الوطنية بضرورة بناء الدولة القومية "الدولة الأمة"، كان عسرا قويا في حركة التحرر الوطني، ولكن ذلك لا ينفي تكاثف العوامل الأخرى التي كانت مكرسة في نفوس النخبة والجمامير على حد سوي.

إن المتصفح للصحافة التونسية يجد الثورة الجزائرية تحت مساحة شاسعة في صحائف تلك اليوميات والأسبوعيات والدوريات التي كانت تصدر فيها نظراً لنشاط الدؤوب، والعمل المكثف الذي تقوم به جبهة التحرير الوطني في هذا البلد، أو في بلدان أخرى.

1- قليل عسار: منحة الجزائر الجديدة، مرجع سابق، ج2، ص 77.  
2- المسبأ: العدد 18 (16 فيفري 1958م)، ص2.

اعتمدت الثورة الجزائرية في الداخل على الكفاح المسلح وتنظيم الشعب بعيدا عن إدارة الاحتلال، واعتمدت في الخارج على الدعاية السياسية الواسعة في كل أصقاع المعمورة، لأن الدعاية هي واحدة من الركائز الأساس في أي عمل يراد له النجاح والكمال، والثورة الجزائرية كسائر ثورات العالم في حاجة ماسة إلى الدعاية لترويج أفكارها وأهدافها والرد على خصومها ودعائهم المضادة، ومن يتحكم في أساليب الدعاية يضمن ربح المعركة والنصر على الأعداء لأن "... معركة الأفكار لها أهمية أكبر من حرب الأسلحة..."<sup>1</sup>، ولكن السلطات الاستعمارية لم تكن غافلة عن هذا العمل الهام، وكان لها باع طويل باعتمادها على "العمل السيكولوجي" للرد على دعاية جبهة التحرير الوطني وبث دعايتها الخاصة.

كانت الصحافة التونسية التي تعكس حالة الوجود الجزائري في تونس في نطاق عملها هذا العمل ضاعف من ثقل المهمة على كاهل من كتبوا في الصحافة التونسية من الجزائريين بأنهم دائما كانوا خاصعين للرقابة المشددة، وعلى الرغم من ذلك أدوا المهمة حسب المستطاع.

وقد كانت الصحافة التونسية تطرق مختلف الموضوعات عن الجزائر، ولكنها تركز في الغالب على التقليد بفرنسا باعتبارها دولة استعمارية معتدية.

ومن بين الموضوعات التي كانت تكتبها جريدة الصباح التونسية مثلا مقال بعنوان: "متى يتعظ الفرنسيون؟" بتاريخ 19 جانفي 1957م، مما جاء فيه: "أن الأسباب والشتم هما أروع أصناف الكفاح وأهون ضروري الحرب على الأعداء وإنما نقوله سنرد للحقائق وتقريراً للوقائع، مبرهتين عليه بالدلائل والشواهد، مؤيدين إياه بأحكام المجتمع الدولي..." الجزائريون بأنظارهم شطط إخوانهم الإفريقيين ونعني بهم شعبي تونس والمغرب لأن المقال الأول يهسها مباشرة وأكثر من غيرهم فاستقلال تونس والمغرب يبقى ناقصا ومهذبا من قبل فرنسا ما دامت الجزائر لم تستقل بعد<sup>2</sup>، فالجزائر بمثابة قلب الطائر الذي جناحه المغرب وتونس، ويوم سددت فرنسا سهمها إلى قلب الطائر سقط دون مقاومة<sup>3</sup>.

وكما اتخذت الأقاليم التونسية للدفاع عن حرية الجزائر واستقلالها، شن الكتاب الجزائريون من تونس أيضا حملة واسعة النطاق ضد الممارسات القمعية العنصرية في الجزائر، والتي تقوم بها سلطات الاحتلال الفرنسي، مدافعين على مبدأ الحرية والاستقلال للشعب الجزائري وفي هذا السياق كتب كل من الأديب الجزائري الطاهر وطار والمؤرخ الجزائري يحيى بوعزيز والأديب حمادي غريش مقالات ضافية دعما للثورة ونقد الاستعمار، قال الأول: "حينما رفع الجزائريون أصواتهم لطلب المساندة من الأشقاء وحتم عليها حتى يكون المغرب العربي أهلا للحرية، التي حصل عليها جزء، ويكافح من أجلها جزء آخر، حدثت الاستجابة لندائهم

<sup>1</sup> رashed: متى يتعظ الفرنسيون؟ الصباح، 19 جانفي 1957م، ص 3.  
<sup>2</sup> عبد الرحمن شبان: عيد تونس عيدنا، جريدة الصباح 20 مار من 1957م، ص 2.  
<sup>3</sup> الصنبر نفسه.

الكل يحاول أن يقدم ما يقدر عليه، سواء كانوا من ذوي المسؤوليات أو من سطاء الناس، بل وحتى المسؤولون المدعمون شاركوا في ذلك".<sup>1</sup>

وقال الثاني: "إذن مساعدة الجزائر هي ضمان الاحتفاظ بهذه الحرية التي دفع البلدان في سبيلها ثمنًا باهظًا بعد أن فهم أن الاستعمار لا يفقه إلا لغة الحديد والنار".<sup>2</sup>

وكتب الثالث مقالًا عن الثورة الجزائرية والاحتلال الفرنسي وعلاقتها بتونس والمغرب، حيث أوضح أن البلدين مرتبطين بالجزائر جغرافيا وروحيا وأن ما يقع في الجزائر يؤثر على البلدين الآخرين. وهذا دائما في إطار نشاط جبهة التحرير الوطني.

لقد كانت المواقف بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية مواقف منسجمة على الدوام إلا في بعض الخطات الاحتلافية عند التونسيين.

وأول خلاف وقع بين الثورة الجزائرية والحزب الدستوري كان حول الاستقلال الداخلي لتونس، والذي بدأ من تصريح قرطاج يوم 31 جويلية 1954م. كما رأينا من قبل - والذي اعترف فيه رئيس الحكومة الفرنسية "منديس فرانس" بالاستقلال الداخلي لتونس وهن نقطة البداية في الطريق الذي أدى إلى استقلال تونس يوم 20 مارس 1956م، بعد تجربة قصيرة من الحكم الذاتي ابتداء من 3 جوان 1955م. الشيء الذي أدى إلى توقف المقاومة المسلحة التونسية لهائلا بتسليم أسلحة المقاومين في شهر ديسمبر 1954م، أي في الوقت الذي انطلقت فيه الثورة الجزائرية في شهر نوفمبر 1954م، هذا الأمر قد ألقى الجزائريين عاصفة وأخم في بداية الطريق وفي حاجة ماسة إلى المساعدة، مما جعلهم يرفعون عيونهم لاستنكار استسلام المقاومة التونسية، معتبرين ذلك "عارا على تونس" و"نقطة سوداء تسجل في طريق تونس الحافل بأنشطة الشجاعة والمواقف الشجاعة والكفاح المرير والجهاد المقدس" أما "تجربة التفاوض فمجرد عاصفة تنكرها الأمة الجزائرية وتصفها بكل سوء".<sup>3</sup>

وقد علق أحد الكتاب التونسيين "الحبيب بن ناسي" على عملية الاستقلال الداخلي لتونس قائلا: "لقد تحمل الديوان السياسي للحزب الدستوري الحز، وزر هذه التجربة وتوجهت له الاتهامات أقلها أنه ارتكب حناية على الحركة النورية بالجزائر عندما أرغم الثوار التونسيين على الاستسلام".<sup>4</sup>

والملاحظ أن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الديوان السياسي للإنتفاذ من طرف الجزائريين، بل فإن ذلك يعود إلى أيام مشاركته في حكومة تنسيق المفاوضات خصوصا عند موافقته على إصلاحات 8 فيفري 1951 فكانه "... ضرب القضية المغاربية عملة من الخنف وفي وقت عصيب..."<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الطاهر وصار: هات بينك يا أخي التونسي، الصباح، 12 أوت، 1956م، ص 3.

<sup>2</sup> - يحيى بوعزيز: قضية الجزائر مشكلة الغرب يا قوم، جريدة الصباح، 10 أوت 1957م، ص 3.

<sup>3</sup> - العربي تونيسي: عار عليك يا تونس، الأسبوع، 26 ديسمبر 1955م، ص 10.

<sup>4</sup> - فضيل الورتلاني: الجزائر الشائرة، ص 51.

<sup>5</sup> - أحمد توفيق المدني: تصريح للنعم المغربية، الزهرة، 2 ديسمبر 1955م، ص 2.

"وقد اعتبر الجزائريون أنصار الديوان السياسي للحزب الدستوري آخر أناسا إلتفاعيين وأصحاب مصالح شخصية لا يهمهم من الأمر كله إلا ملء جيوبهم وتوسيع مزارعهم"، أي أنهم يشكلون تيارا بالمناضلين الجزائريين بدون ميادئ يدافعون عنها، ووصل الأمر إلى حد مهاجمة بورقية: باعتباره رئيس الحزب، ومهندس المفاوضات والاتفاقيات مع فرنسا، بواسطة منشورات أذيعت في الجزائر العاصمة<sup>1</sup> لذلك فقد ناصر الجزائريون صالح بن يوسف في خلافته مع بورقية<sup>2</sup>، وخاصة أنه كان ينادي بسقوط اتفاقيات الاستقلال الداخلي وبوجوب مواصلة الكفاح المسلح إلى غاية الاستقلال التام للبلدان الثلاثة: تونس، الجزائر والمغرب، عن فرنسا دفعة واحدة. "وقد جر عليهم هذا الموقف مضايقات وملاحقات من قبل الشرطة التونسية عقب انتصار جناح بورقية"<sup>3</sup>. يبدو أن هذا الموقف الذي وقفه المناضلون الثقلون الجزائريون، كان يتأثر من تلك المنشورات -السابقة الذكر- وخاصة البلاغات التي كان يصدرها الوفد الخارجي بجهة التحرير الوطني لتأييد صالح بن يوسف ضد الحبيب بورقية.

والحق أن هذه الانتقادات الجزائرية للسياسة التونسية، قد توقفت بعد تحقيق استقلالها التام يوم 20 مارس 1956م، وتحكم الحبيب بورقية في الأوضاع وإن ظهر البعض منها بطريقة نبئة وخافتة<sup>4</sup>.

وإذا كانت اتفاقيات الحكم الذاتي لم تستمر كثيرا وتحولت إلى الاستقلال التام، فإن تأثيرها كان مباشرا على الثورة الجزائرية، لأنها حررت قوات إضافية كانت مشغولة بما في محاربة (القلاقة) تونس وتحويلها إلى الجزائر لمقبع الثورة، مع توفير ميزة إضافية وهي تسهيل المضارب العسكرية، التي كانت تثقل كاهل الميزانية الفرنسية<sup>5</sup>، وهذا يؤدي إلى أن: "... تزيد قدم الاستعمار رسوخا في الجزائر فيكسب له بذلك الحدود، وتعيش الجزائر المسكينة محقة احتلالا أبديا سرمديا... وذلك هو الخوف الأكبر"<sup>6</sup>.

أما الحزب الدستوري التونسي بزعامة الحبيب بورقية فقد كان يؤمن دوما بأولوية الإستراتيجية السياسية على العمل العسكري<sup>7</sup> وبأنه يستحيل تكوين قيادة عامة تسيّر من القاهرة الثورات في البلدان الثلاث، التي هي في مراحل مختلفة من التطور والنضج، ولأن الحركة الوطنية التونسية الأنصح والأشد تطورا والأكثر تنظيما وهي التي بدأت النضال الأول فمن حقها أن تعقد اتفاقا أوليا مع فرنسا<sup>8</sup> لاسترجاع جزء من الاستقلال كمرحلة أولى والاستقلال التام كمرحلة ثانية في أقصر مدة لا تتجاوز الستة أشهر، نظرا للطرفية المغربية الملائمة حسب محمد بجاوي<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بلاتون: الإصلاحات المهنية، الأسبوع، 12 فيفري 1951، ص2.

<sup>2</sup> - محمد بجاوي: جانب عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971م، ص 124.

<sup>3</sup> - يحي بوعزيز: (الصباح في معارك التحرير، وصوت الجزائر الحرة، الصباح، 27 أكتوبر 1956م، ص 3.

<sup>4</sup> - Cathi

<sup>5</sup> - حمادي بغيريش: "نهاية تخشاها فرنسا..."، الصباح، 07 أوت 1956م، ص2.

<sup>6</sup> - Jean.

<sup>7</sup> - نفسه.

<sup>8</sup> - محمد بجاوي: مرجع سابق 13.

لا شك أن هذا الجدل العقيم قد أدى إلى اتفاق ضمني بين الطرفين فقد فهم الجزائريون أنه "... ليس ثمة حكومة مغربية أو تونسية تقبل بأن تترى بلادها في حالة حرب فيما هي تدال الاستقلال ولو مقرونا ببعض التحفظات"<sup>1</sup>، هذا الوعي دفعهم إلى كسب القادة التونسيين وتحويل هذا البلد الجاور قاعدة أساسية لنشاط الثورة السياسي والدبلوماسي.

إن ضغط الثورة الجزائرية وتصاعدها ومعارضة صاخر بن يوسف جعل الحبيب بورقيبة يتصلب في سياسته نحو فرنسا، وبالتالي تحقيق الاستقلال التام لتونس وتقديم الدعم للثورة الجزائرية أفلها وجود جالية جزائرية تعيش على أرضها منذ عقود بموجب التكفل بها في تلك الظروف العصيبة من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل وحتى العسكرية أيضا.

وإذا كان مبعوثوا جبهة التحرير الوطني قبل استقلال تونس كانوا يقومون بتمويل الجيش وتوضيح أهداف الثورة في سرية تامة عن طريق البلدين الشقيقين فإنهم بعد حصول هذا البلد على استقلاله التام أصبح الدعم للثورة علنا وبدون تردد، وأمام تشدد جبهة التحرير الوطني في التمسك بمبادئها الاستقلالية التحررية، فإن حكومة تونس قد وقفت بفضل ضغط الشعب التونسي الشقيق موقفا صريحا من القضية الجزائرية<sup>2</sup>، التي تكون أساسا للتوازن في شمال إفريقيا، وهذا ما كان يدفع جبهة التحرير الوطني إلى التحفيز:

1. تحرير الشعب التونسي في الحكومة للضغط على فرنسا في الميدان الدبلوماسي.
2. توحيد النشاط السياسي بإنشاء لجنة تنسيق بين الحزب الدستوري وجبهة التحرير الوطني.
3. إنشاء لجان شعبية لتأييد الثورة الجزائرية في تونس.
4. التدخل بمختلف الوجود في جميع مناطق العالم مناصرة الثورة الجزائرية.
5. الاتصال الدائم بالجزائريين المقيمين في تونس ( القيام بعمل إيجابي ملموس لدى الرأي العام والصحافة والحكومة).
6. العمل على التضامن بين الهيئات النقابية المركزية (الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام للعمال الجزائريين بعد تأسيسه سنة 1956م).
7. التعاون بين الجمعيات الطلابية التونسية الجزائرية والمغربية عامة.
8. تنسيق نشاط الهيئات الاقتصادية المركزية<sup>3</sup>.

وجملة القول أن العلاقات الجزائرية التونسية إبان السنوات الأولى من الكفاح الجزائري قد تميزت بمناورات سياسية كبيرة وتشجيع الأعصاب، ومحاولات استعمارية لفصل القضاة الجزائريين والتونسيين، وانقسام

1- محمد بجاتي، المرجع السابق، ص 115.  
2- شاذلي، المرجع السابق، ص ص 226-227.  
3- نفس المرجع.

الرأي السياسي التونسي انقساما واضحا بين اتجاهين مؤيد لل مسار المشترك، ومعارض مثل الأول المناضل صالح بن يوسف ومثل الثاني المجاهد الحبيب بورقيبة وعلى الرغم من انتصار المعارض، فإن قيادة جبهة التحرير الوطني استطاعت أن ترحح الكفة لصالحها بتفان من الشعب التونسي أولاً، ثم بالضغط السياسي والعسكري أحيانا على القيادة السياسية التونسية.

ومع أن بورقيبة زعيم الحزب الدستوري كان يميل إلى فصل الفضيتين عن بعضهما البعض عملا بسياسة التماثل، فإنه قد وقف مواقف سياسية شجاعة إلى جانب الثورة الجزائرية، ورفض سياسة العصا والجزرة التي كانت تمارسها عليه الحكومات الفرنسية وفضل الوقوف إلى جانب الشعب الجزائري على المساعدات الفرنسية المشروطة.

ومع أنه قد حاول إقناع القيادة الثورية الجزائرية باتباع سياسة التدرج ( خذ وطالب)، غير أن جدلية القيادة الجزائرية وتمسكها القوي بالقرار المستقل، قد أفضل كل المحاولات الاستعمارية وسياسة الضغط الممارس على الحكومة التونسية، فكانت العلاقات خلال الفترة الواقعة بين (1954م-1958م) هي علاقة بناء وتأسيس جديد للتقارب الملحمي بين البلدين الشقيقين، وسيوضح استمرار العلاقات بين الشعبين إلى غاية 1962م، مدى أهمية هذه المرحلة في تخطيط المناورات الاستعمارية على صخرة التصادم والتضامن والاتحاد بين الجزائر وتونس في المبحث الآتي.

### المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م:

في اجتماع انعقد بليبيا بين القيادتين التونسية والليبية حضرها الرئيس "بورقيبة" ورئيس عن البرلمان الليبي " بن حليم" لمعالجة قضايا المغرب العربي، شكلت فيه القضية الجزائرية اهتماما خاصا بين تلك الأطراف المتجاورة، حيث استعرض كل من الرئيس بورقيبة والرئيس بن حليم الخطر الناجم عن الوضع القائم بالجزائر وتبادلا الرأي في الطرق التي توصل إلى إيجاد حل عاجل يرضى رغبات الشعب الجزائري المناضل.

وكان من رأي الرئيس " بن حليم الليبي": " أن بلاد شمال إفريقيا ستبقى مهددة بشبح الاستعمار إلى أن تستفل الجزائر"، في حين يرى الرئيس بورقيبة: " أنه لن تستطيع فرنسا إخضاع الجزائر بالحدود والنار" <sup>1</sup>.

وفد تعرضت تونس نتيجة آراء بورقيبة إزاء الثورة الجزائرية إلى ضغوطات كبيرة من قبل فرنسا وقد قال " ساكس لوجون" كاتب الدولة الفرنسية للقوات المسلحة اليرية بعد عودته من الجزائر إلى فرنسا في رده عن الذين سألوه حول تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة عن الجزائر: " إن كان السيد بورقيبة قد اتخذ قرارات تم الجزائر، فقد أخذنا نحن أيضا قراراتنا وأظن أنها متماثلة" <sup>2</sup>. وقد صرح "المنجي

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية : العدد 484، 14 ماي 1975م، ص 6.

<sup>2</sup> - جريدة العمل التونسية: ساكس لوجون وموقف بورقيبة من الجزائر، العدد 489، 19 ماي 1957، ص 6.

سليم" ممثل تونس في الأمم المتحدة أن العالم الحر قد يضر بمصالحه إذا ما امتنع عن التدخل في القضية الجزائرية حيث أوضح: "أن الأمن في الأمم الحرة الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط معرضا للأخطار إذا لم يقع تطبيق القرار المعتدل، الذي صادقت عليه الأمم المتحدة بشأن الجزائر، وأكد أن أية خطوة لم تتخذ حتى الآن تنم بالمقابلة بين الفرنسيين والوطنيين الجزائريين، حتى يوجد الحل المشرف المرصى للجزائر لذلك فإن الوضع يزداد خطورة يوما بعد يوم بصفة مستمرة وأن الحكومة الفرنسية تبحث في الظاهر عن حل (القضية الجزائرية) بوسائل الضغط عوض أن تستخدم طريقة المفاوضات".

وأضاف المنجي سليم "... وكما تأخر موعد الحل عظم خطر العناصر المتطرفة في الجزائر وفي البلدين المجاورين، وأن العالم الآخر يضر بنفسه بمصالحه الخاصة إذا امتنع عن التدخل في القضية الجزائرية، وعدد كبير من الأمم الحرة لا توافق سياسة فرنسا في الجزائر".

ويضيف المنجي سليم قائلا: "أن تونس بوصفها أمة حرة قد سلكت مسلك (الأمم الحرة)، وهي تريد أن تبقى مرتبطة بالعالم الحر، فإذا ما تأخر نشاطنا بشأن الجزائر إلى موعد انعقاد الدورة القادمة لبيت الأمم المتحدة، فإن الوضع سيمتد وتخشى حينئذ من أن نلاقي بعض المفاجآت المكروهة، وأن الفرنسيين قتلوا مليوناً من المدنيين الجزائريين... وعظم بيانه قائلا: لن نحول أكاذيب فرنسا ولا عدد الضحايا المتزايدة دون مواصلة الشعب الجزائري لنكفاح حتى النصر"<sup>1</sup>.

وهكذا فقد ظلت الحكومة التونسية تتعرض إلى ضغط، وحصار الحكومة الفرنسية منذ أن أعلنت موقفها الواضح من تأييد القضية الجزائرية-كما ذكرنا سابقا-.

وقد كتبت جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الحر في عددها الصادر يوم 14 جانفي 1958م، تحت عنوان: "العلاقات الفرنسية التونسية تتوتر بسبب قضية الجزائر"، حيث كانت السلطات الفرنسية تتهم التونسيين بالمشاركة في المعارك ضد الفرنسيين التي تدور رحاها على الحدود الجزائرية التونسية مثل معركة (جبل الكوشة)، و(عين دراهم) و(فم الحنقة) و(ساقية سيدي يوسف) الخ... وفي هذه الحادثة الأخيرة كتبت جريدة العمل التونسية والصادرة يوم 16 من شهر جانفي 1958م، تعليقا تحت عنوان: "العلاقات الجزائرية التونسية بين سيامة فرنسا، استغريت فيه من أن الصحافة الفرنسية قد وقفت موقفا لصالح السلطات الاستعمارية الفرنسية من حادثة ساقية سيدي يوسف وألقت المسؤولية على السلطات التونسية، لأنها وقعت على مقربة من الحدود التونسية الجزائرية.

وقد فتح هذا الجاذب الباب للحكومة والصحافة الفرنسية حتى تنهز الفرصة لاتخاذ موقف فاس تجاه تونس، فاحتجت الحكومة الفرنسية بصراحة لأنها حاربت تعتبر الحكومة التونسية المسؤول الرئيس على

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية: "بيان من صحيفة العلم المغربية حول مجزرة ملوزة"، العدد: 504، 6 جوان 1957م، ص 1.



الحرب الحارية بالجزائر، وادعت الصحافة الفرنسية بهذه المناسبة: "أن الرئيس الحبيب بورقيبة أصبح سجين الجزائريين ولا يراقب الوضع السائد في بلاده".

ولاحظت العفل أن المتطرفين الفرنسيين الذين رفضوا مذابح أنبوب الغاز الطبيعي عبر الأراضي التونسية كانوا يخافون من أن تجبر الحكومة الفرنسية يوما "ما" على قبول وجهة النظر التونسية لوضع حد للحرب الجزائرية<sup>1</sup>.

لقد ظلت مشكلة الجزائر كبذل يصارخ القوة الاستعمارية من أجل الاستقلال والحرية موضوعا ي طرح بحدة على كل الهيئات والمنظمات التونسية، وظلت الحكومة الفرنسية تغازل تونس من أجل الضغط على الجزائر النائرة في وجه الاحتلال وما فتئت الصحافة الفرنسية تكتب المقالات تنو المقالات دفاعا عن سياستها في الجزائر، راعمة على الدوام: "أن الجزائر شأن داخلي فرنسي مسخرة لدفع الدول العربية والأجنبية بعيدا عن قضية الجزائر في مختلف الهيئات الدولية".

وقد علق جريدة العمل التونسية في عددها الصادر يوم 4 مارس 1958م، قائلة: "لقد أقامت الأيام الدليل على أن فرنسا ما ضحكت يوما للمغرب إلا لتشد على تونس والعكس بالعكس: وكانت دائما... تسعى لجلب مودة المغرب وتونس على حساب الجزائر لأن سيطرتها على الجزائر ضمان لاستمرار سيطرتها على تونس"<sup>1</sup>، ثم إن البوذية المغربية تنقلب غمرا وترعرا في نفوس المغاربة، ولا يحصل ذلك إلا باشتراكهم في الخن وخوضهم المعارك جنبا إلى جنب وانتصارهم معا.

لقد ظلت القضية الجزائرية غمز حديث كل السياسيين التونسيين في شتى المناسبات والاجتماعات واللقاءات، وقد ظل الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة يدعوا فرنسا إلى التعقل والظهور بمظهر الحق والعدالة والديمقراطية باعتبارها تنتمي إلى العالم الحر.

ويؤكد على أن التماذي في هذه الممارسات الاستعمارية سيؤدي بالعرب جميعا إلى فقدان الثقة بالعالم الحر كله ويندد بعد خروجه من الأحداث مع الوسيط الأمريكي "روبير مورفي" بحرب الإبادة في الجزائر ويوجه نداء إلى الضمير الإنساني قائلا: "إن سياسة فرنسا تعود بنا إلى العهود المظلمة".

وبه الحبيب بورقيبة إلى أن الوسيط الأمريكي مورفي انتبه إلى خطورة الموقف في شمال إفريقيا بسبب قيام حرب الجزائر واستمرارها.

ويشير الرئيس بورقيبة في تصريح آخر حول القضية الجزائرية: "هناك ما بين المغرب وتونس منطقة تسمى الجزائر فيها عشر ملايين من البشر هم في قبضة حيوانات كاسرة لا رحمة فيها ولا شفقة، ويقع هذا وسط العالم لا في أطراف منه، بل في منطقة لا تبعد عن فرنسا بأكثر من ساعة وعن إيطاليا بساعتين

<sup>1</sup> - جريدة العمل.

وكذلك إسبانيا ... في هذه المنطقة عشرة ملايين مهددين بالقضاء بجميع وسائل الإرهاب حتى يصبحوا فرنسيين، إن هذه الحالة خطيرة، وإذا لم تعالج قبل قوات الأوان تكون النتيجة أن نذهب جميعا إلى البحر...".

وقد لاحظ الخبيب بورقيبة انتباه العالم إلى المشكل الجزائري على أنه يمثل أخطر معضلة عالمية في شمال إفريقيا معتمدا في ذلك على تصريح وزير الخارجية الأمريكي المساعد "مستر دالون" الذي قال: "إنني أجزم بأننا سنبدل كل مجهود للتحقق من عدم استعمال سلاحنا كما وقع في قذف الساقية ... ربما كانت هذه الیقظة مرحلة في سبيل الحل المنشود، ومن الممكن أن يأتي الحل عن المساعي الحميدة خصوصا وقد قبلت فرنسا تشكيل لجنة فرنسية تونسية يرأسها محاييد لمراقبة الحدود. فلماذا لا نتسع مشمولاتها إلى النظر في نفس المشكل الجزائري وتبحث له عن حل، وبذلك نحل جميع المشاكل المتفرعة عنها؟".

ورأى الرئيس بورقيبة: "في بيان جبهة التحرير الوطني الجزائرية الذي نشر يوم الثامن عشر فيفري 1958م، ما يشجع على إيجاد الحل لحرب الجزائر وذلك بعد أن عبرت جبهة التحرير الوطني عن أملها في أن يكون الغرب قادرا على تشييد بناء مجموعة كبيرة واسعة من الممكن أن تشارك فيها أوروبا وإفريقيا في دائرة استقلال الشعوب وحريتها الحقيقية".

و دائما في إطار العلاقات الجزائرية التونسية نشرت جبهة التحرير بيانا حول أسرى الحرب 14 جاء فيه: "إن جبهة التحرير الوطني تلاحظ بكل أسف أنه في الوقت الذي تظهر فيه هيئتهما كبيرا لمشكلة أسرى الحرب الدقيقة، تواصل المحاكم الفرنسية إصدار أحكامها بالإعدام على أسرى الحرب الجزائريين، وذلك على أساس تشريعاتها الخاصة والقانون الجنائي... وعلى الرغم من أن جبهة التحرير قدمت جميع التسهيلات الممكنة لبعث المصابيح الأحمر الدولي، بحيث نقلت الأسرى الفرنسيين الأربعة من وراء الأسلاك الشائكة إلى جبال أقرب نزولا عند طلب الصليب الأحمر الدولي، فإن الحكومة الفرنسية لم تتروّد في تنفيذ الإعدام على عدة مجاهدين... إن جبهة التحرير الوطني توجه إلى الرأي العام الفرنسي والدولي أن يكونا حكما في هذه الأعمال المنافية للقوانين الدولية... إن جبهة التحرير الوطني توجه نداء إلى فئامة السيد الخبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، ليهتم في نطاق عرض وساطته التي تبنتها الأمم المتحدة بهذه المشكلة المولدة".

والحقيقة أن الرئيس الخبيب بورقيبة كانت له مكانة متميزة في الوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية، إذ لا نكاد ننتصفح صحيفة من الصحف التونسية مثلا إلا وأخذ فيها موقفا أو تصريحا أو تنديدا أو تأييدا لبورقيبة لصالح الثورة الجزائرية، وقد وجه رسالة يوم أول مارس سنة 1958م إلى الرئيس الأمريكي

إيزنهاور" بلغت فيها نظره إلى حرب الإبادة التي تشنها فرنسا في منطقة الحدود الجزائرية التونسية وتناحيا اللا إنسانية بالنسبة لعشرات الآلاف من البشر طردوا من مضاجعهم وأقبلوا على تونس.

والحقيقة أن القضية الجزائرية قد ظلت تهمن على العلاقات الجزائرية التونسية طوال سنوات الحرب، وكانت دائما موضوع عداوة بين القادة الجزائريين والتونسيين، إذ لا يكاد يجتمعهما لقاء في أي بلد، إلا وتكون الثورة الجزائرية من الموضوعات الساحنة بينهما، ففي زيارة لمبعوث الحبيب بورقيبة" عبد الله مراحات" مدير ديوانه إلى الملك الليبي" إدريس السوسني"، كانت القضية الأساسية التي أطلعها عليها هي: تطورات الحالة بالجزائر وتأثيراتها على الشمال الإفريقي بأسره.

لقد عجلت جريدة العمل التونسية على مطالبة فرنسا الحكومة التونسية بعدم التدخل في حرب الجزائر بأن هذا المطلب ذاته هو اعتراف من الحكومة الفرنسية بالحرب الجزائرية الفرنسية ذاتها قائلة: "إذا كانت تونس أول المشاركين فعجبة التحرير الوطني الجزائرية هي المشارك الثاني، فالمنطلق إذن يقتضي تطبيق شروط الحرب، كما تقتضي المصلحة بإهاء الحرب، لكن العناد الاستعماري تغلب على المنطق... والغريب أن مسألة الجلاء ومسألة بترت ومسألة المطارات لم تعد تثير ما كانوا قد أبدوه من اهتمام، وإنما المسألة الرئيسية الآن هي (حرب الجزائر) أليس هذا اعتراف صريح بأن مشكلة الجزائر إنما هي المشكلة الأساس؟".

لقد ظلت مواقف تونس إزاء القضية الجزائرية مواقف ثابتة وجريئة، فقد نشرت جريدة العمل التونسية بيانا عن موقف تونس حكومة وشعبا مع الثورة الجزائرية في يوم الجزائر: "تتجه جل الأنظار إلى الجزائر وهي تواصل كفاحها البطولي في عزم وثبات من أجل نيل ما يصبوا إليه أبنائها الأحرار من حرية واستقلال في جميع أنحاء الدنيا يعتلي الخطباء منصاتهم ليتحدثوا عن الجزائر وشعبها الباسل وليستكروا الأعمال الرحشية التي يقوم بها جيش الاحتلال منذ ثلاث سنوات ضد الجزائريين... اليوم يقف الأحرار في الدنيا إلى جانب شعب الجزائر ويبحثون إليه وهو في الجبال والغابات يحارب ويناضل ويواجه الحديد والنار بالحديد والنار.

اليوم تملأ أصوات الإباء في إفريقيا وآسيا مشيدة بهذا الكفاح المقدس في سبيل قضية عادلة يحاول الطاغى المستبد أن يخمده... وسوف يقيم أنصار الحرية الدليل على تأييدهم لقضية الشعب الجزائري بتوجيه النداءات العاجلة إلى هيئة الأمم المتحدة... وسوف يفيلون على مد جيش التحرير المناضل في الجزائر بالمساعدات المادية بفتح الاكتتابات وجمع التبرعات والمبات فتعلم فرنسا أن الجزائر ليست وحدها وأن العالم كله يراقب سير الحرب فيها... وفي هذا اليوم بينما تحي الشعوب الحية للسلام" يوم الجزائر" ما يسجل

الشعب الجزائري حشفة أخرى من فضائل التاريخ المجيد... وفي تونس يرسل الشعب قاطبة قبحته إلى شقيقه الشعب الجزائري، ويؤكد له تأييده الكامل ومساندته المطلقة في مقاومته للاستعمار.

لقد أثارت العلاقات التونسية مع الثورة الجزائرية حقبة فرنسا وسخطها، حيث انتقدتها في مناسبات عديدة باعتبارها تزيد في هيب الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

وقد صرح يوم 30 مارس 1958م، النواي العام للجزائر "سوستال" حول هذه العلاقة: "... أنه أصبح من الواضح أن تونس في حالة حرب مع فرنسا وأرجع ادعاءه هذا إلى بيان الحكومة التونسية ما انفكت تقدم المساعدات إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية سواء من الوجهة العسكرية أو السياسية... وأشار إلى أن التونسيين قد ساهموا في معركة جيل الكوشة وأن سبب عدم استقرار السلام في الجزائر هو الروح العدائية، التي تضمهرها تونس إزاء فرنسا، والاستعداد الذي تبديه مما يبعث الجزائريين على تعليق آمالهم على تونس، ثم هاجم سياسة الحكومة الفرنسية التي تنتهجها تجاه تونس... وتساءل سوستال عما أقعد فرنسا عن تقديم مذكرة إلى الأمم المتحدة بخصوص هذا المشكل، وانتقد ثقافت بعضهم بدون ثان ولا روية على التفاوض، وطالب بأن يتم عقد اتفاق على سلوك سياسة بناءة في إفريقيا الشمالية، وذلك في كنف احترام الحضور الفرنسي بالجزائر والاعتراف به مستقبلا".

وقد صرح السيد/ المنجي سليم سفير تونس بالولايات المتحدة الأمريكية، في اجتماع الكتلة الإفريقية الآسيوية التي قدمت مذكرة للأمم المتحدة بخصوص الجزائر، قائلا: "يجب إعطاء العناية للقضية الجزائرية" وبذل سبيل المساعي لحمل الأمم المتحدة على الالتفات إليها من جديد، خطورة الحالة التي انتهت إليها في المدة الأخيرة.

ثم نلاد السيد/ الفداي قبصل تونس بواشنطن الذي ألقى على الحاضرين نص العريضة التي قدمت للأمم المتحدة بخصوص الجزائر: "إنه إذا لم يبادر بتدارك الأمر في الجزائر فإن الحالة ستزداد تعقدا وتصبح جند خطيرة، ومن المتحتم بذل جميع الجهود الممكنة للتأكد من أن أهداف قرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة المصادق عليه في بداية السنة الجارية (1957م) لن يبقى حبرا على ورق... الأرواح لا تزال ترهق والآلام متواصلة في الجزائر دون أن تتخذ السلطات الفرنسية أي إجراء في سبيل التعاون ولم يزد تسلط القمع الجماعي واستعمال العنف والقساوة سوى أن يسير التوجه نحو حل سلمي ديمقراطي عادل مطابق لميثاق الأمم المتحدة"<sup>1</sup>.

وعن جريدة العمل التونسية التي كتبت مقالا مطولا أشارت فيه إلى نشاط السفراء العرب لدى الكتلة الإفريقية الآسيوية، قصد دفع القضية الجزائرية إلى الأمام في الأمم المتحدة ومما جاء في هذا العدد من

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية، العدد: 460، 16 أبريل 1957م، ص 1.

الجريدة: " في الأيام الأولى من شهر فبراير 1958م، تجتمع الكتلة الآسيوية الإفريقية لدراسة الإمكانيات والخطوات اللازمة للتقدم بالمسألة الجزائرية مرحلة أخرى من النجاح. وخاصة بعد أن اتخذت الجمعية العامة في دورتها الماضية قرارا يدعو الطرفين الفرنسي والجزائري، للدخول في محادثات تهدف إلى الوصول لحل لهذه المشكلة على ضوء مبادئ ميثاق الأمم المتحدة".

وظل السفير التونسي في الأمم المتحدة المنجي سليم يبذل قصارى جهده هنا (الأمم المتحدة) دعما لوجهة النظر الجزائرية في مختلف الأوساط الرسمية والسياسية والدبلوماسية، والذي يتشاور مع السيد "محمد يزيد" مثل جبهة التحرير الوطني الجزائرية في الأمور المتعلقة بهذه القضية التي يوحها جميع العرب هنا اهتماما خاصا. وفي نفس السياق: "بعث السيد محمد يزيد مندوب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بكتاب على مسيو همار شولك أمين الأمم المتحدة العام، يلقت انتباهه فيه إلى تقصير فرنسا وعدم استجابتها لقرارات الأمم المتحدة بشأن القضية الجزائرية<sup>4</sup>، كما أنه أبرز في الكتاب استعداد الطرف الجزائري وقبوله واحترامه لقرار الأمم المتحدة وخاصة ما جاء فيه حول العرض الذي تقدم به جلالة الملك محمد الخامس رئيس الجمهورية التونسية السيد (الحبيب بورقيبة). طلب السيد محمد يزيد من مسيو همار شولك أن يستعمل نفوذه في الوقت الحاضر المناسب لحمل فرنسا على تنفيذ قرار الجمعية العامة في دورتها الأخيرة".

لقد استمر نشاط الثورة والمجموعة العربية الدبلوماسية لمحاصرة فرنسا وخلفائها في هيئة الأمم المتحدة فيها هي تونس الشقيقة ترفع لصالح القضية الجزائرية بالتنسيق والتعاون مع ممثلي جبهة التحرير الوطني وتحتج لدى أمريكا عن المساعدات التي تقدم إلى فرنسا لاستخدامها في الحرب ضد الجزائر في حين أن مشروع الثورة الجزائرية هو الاستقلال الوطني وتدعم هذا النشاط في العلاقات الدولية تدخل مندوب الجبهة محمد يزيد لدى الولايات المتحدة الأمريكية باحتجاج ضد هذا التحالف الغربي الرأسمالي الاستعماري لتعصدي إلى حقوق الثوار الجزائريين، وكل حركات التحرر في العالم.

بل وأكثر من ذلك فإن فرنسا قد اعتبرت هذا المشروع ضربا لبرنامجها الذي هدف إلى استخدام الثروات الطبيعية المستعمرة لها لتنمية اقتصادها والعكس صحيح<sup>5</sup>.

وبقيت القضية الجزائرية تثير اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية وظل السفير الأمريكي "أموري هارتون" في باريس يعني بهذه المسألة.

وعما يذكر في هذا السياق أن "أموري هارتون" السفير الأمريكي بباريس لما عاد إلى واشنطن في شهر جوان 1957م، التقى مع الرئيس الأمريكي إيرل هاور ونحادثا في مسألة الجزائر، التي يقول المراقبون أنها أصبحت

١- جريدة العمل التونسية: " نشاط في الأمم المتحدة لتقدم بالقضية الجزائرية إلى الأمام"، 6 فيفري 1958م. ص 3.

أهم شيء في السياسة الفرنسية يشغل بال الولايات المتحدة الأمريكية، والحق أن بورقيبة وفي إطار المساعي الدبلوماسية، كان أول من نادى على منبر الجمعية العمومية هيئة الأمم المتحدة بتأليف لجنة توفيق دولية مهمتها إيقاف القتال بالجزائر وإيجاد حل سلمي عادل لقضية الجزائر، وأكد أنه لا يقدر من وراء ذلك سواء مساعدة فرنسا على الخروج من المأزق وهي عاجزة على الخروج منه وحدها.

وقد استاءت السياسة وقادة الرأي العام الفرنسي من هذا الاقتراح الذي أعلنه بورقيبة على منبر الأمم المتحدة واعتبروه تدخلا في مشككة هي من صميم المشاكل الفرنسية الداخلية باعتباره أن الجزائر أرض فرنسية في نظرهم، وإن النزاع هناك في الجزائر قائم بين طائفتين من الفرنسيين مسلمين وأوربيين والحكومة الفرنسية الحكم الوحيد بينهما. وفي ذات الفترة زار السيد/ريتشارد تونس، ولما اجتمع مع الرئيس بورقيبة طرح عليه هذا الأخير: العضلة الجزائرية، ونتائجها أن الولايات المتحدة طال عليها انتظار الحل الذي تعهد به م-ينر رئيس الحكومة الفرنسية، وأنها حريصة كل الحرص على إطفاء النار في نقطة حساسة من العالم الحر، هذا ما أفصح عنه مستر دوليس إلى "غني موللي" عند مروره بباريس بعد حضوره ندوة الحلف الأطلسي.

إن استمرار كفاح الشعب الجزائري وامتداد الحرب الجزائرية وارتباطها بمصير تونس كما أكدت حوادث بداية 1958م، قد أبرز من جديد تفاعل الشعب التونسي لدعم الثورة الجزائرية، وأكدت النخبة السياسية ومسؤولي البلدين أن استقرار الوضع بالمنطقة لن يتحقق إلا باستقلال الجزائر، ولم تكن جهود الرئيس بورقيبة لحل المسألة الجزائرية تجد تحابوا من الحكومة الفرنسية، التي ظنت منحفضة عن مواقفها في التمسك بالجزائر ورفض جلاء القوات الفرنسية، مما جعل الحركات السياسية والقوى الشعبية تدعوا إلى تطوير مواقف أكثر دعما ومساندة الثورة الجزائرية<sup>1</sup>.

لقد كانت قضية وحدة الشمال الإفريقي من المسائل الهامة في الخطاب السياسي التونسي، وكان الرئيس بورقيبة ينظر إليها باعتبارها مطلباً جماهيرياً ويتخذها إطاراً للتعاون مع فرنسا وقض المشكل الجزائري. أما جبهة التحرير الوطني فكانت تؤكد دائما على وحدة مصير الشعبين التونسي والجزائري، وينادي برغبتها في تحقيق وحدة المغرب العربي.

بعد انعقاد مؤتمر طحجة يوم 30 أبريل 1958م، عبر الرئيس بورقيبة عقب اجتماعه بوفد المؤتمر لجبهة التحرير الوطني قبول حكومته ومباركتها لقرارات المؤتمر. على الرغم من تحايل دول العالم في تركية قرارات مؤتمر طحجة. ومع أن تونس كانت حازمة في مواقفها تجاه الثورة الجزائرية، فإن سياسة الإدماج التي أعلنها ذيفول أثارت تخوف الحكومة التونسية من التمسك بمساندة الثورة الجزائرية، لاسيما بعد أن أحييت الحكومة الفرنسية الأمل بإمكانية بعث التعاون التونسي الفرنسي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عنم رحيمة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، ص 157.

<sup>2</sup> - المبنى محمد: مواقف جزائرية، ط 1، ص 10. في الجزائر، 1984م، ص 93. مقتضى عبد الله: دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية، بحث محفوظ، ص 42.

وحاولت الحكومة الفرنسية برئاسة الجنرال ديغول إقحام الحكومة التونسية بإمكانية إزالة عقبة التفاهم والاستعداد بخلاّء القوات الفرنسية عن تونس، مما جعل الرئيس بورقيبة يعتبر هذا التفهم خطوة هامة مغربا أن تونس سوف تحقق آخر انتصاراتها قريبا<sup>1</sup>.

واستعمل الجنرال ديغول سياسة الإغراء والتعاون الاقتصادي، وبدا للحكومة التونسية إمكانية التعاون مع فرنسا وتجاوز مشروع وحدة المغرب العربي الذي أصبح معلقا نظرا لإصدار الحكومة الفرنسية على مواصلة الحرب بالجزائر، وهي حرب يمكن أن تطول مدتها، وعلى تونس أن لا تكون ضحية هذه الحرب، يربط مصيرها وتقييد مستقبلها وبذلك تكون إستراتيجية الجنرال ديغول قد نجحت في استمالة تونس لعزل الثورة الجزائرية، وتحطيم التعاون المغاربي<sup>2</sup>.

هذا ما تأكد خلال مؤتمر المهدية الذي اعتبر لجنة التنسيق والتنفيذ هيئة تنفيذية حكومية، وقرر رفض سياسة الجنرال ديغول الإدماجية للجزائر، وأكد حق الشعب الجزائري في السيادة والحرية ومع ذلك فإن جبهة التحرير الوطني الجزائرية في مقررات طسجة.

والحق أن الحكومة التونسية أظهرت سلوكيات ومواقف فطرية مناقضة لروح التضامن والعلاقات الجزائرية التونسية، ومضرة بمصالح الثورة الجزائرية ذاتها فلم تخفي أيام معدودة حتى أعلن بياريس وتونس في 30 جوان 1958م، عن توقيع اتفاقية مشتركة تسمح تونس بمقتضاها تمرير أنبوب غاز "إيني" عبر التراب التونسي إلى ميناء قايس، وكان الإعلان عن هذه الاتفاقية سببا كافيا لتأزم الموقف بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية، كون هذه الاتفاقية تمثل سلوكا مخالفا للعهدات تونس، وتشكل أخطارا نالعة على الكفاح الجزائري، فهي ليست مجرد اتفاقية اقتصادية بل طعنا في شرعية الكفاح الجزائري وأهدافه الأساسية وتدعيمها مباشرة للاستعمار الفرنسي<sup>3</sup>.

وقبل توقيع اتفاقية باريس بأسبوع قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بمساع حثيثة لدى الرئيس بورقيبة، ووجهت مذكرة توضيحية للحكومة التونسية عبرت فيها عن رفضها الصارخ لهذه الاتفاقية وأوضحت آثارها السلبية على الثورة الجزائرية، موضحة أن هذه الاتفاقية تعني في الواقع الاعتراف لفرنسا بتملك ثروات الشعب الجزائري، وتعتبر دعما سياسيا واقتصاديا لفرنسا يسمح لها بحجب رؤوس الأموال الأجنبية وتبرر مواصلتها للحرب أمام الرأي العام الدولي<sup>4</sup>.

وهكذا كانت قضية "إيني" عن تحالف عميق أزم العلاقات بين الطرفين وتداولت هذه القضية الصحافة التونسية والجزائرية، كل يذافع عن موقف بنده. حاولت الصحافة التونسية تبرير هذه الاتفاقية

<sup>1</sup> - الشبلي محمد: المرجع نفسه، ص 91.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 97.

<sup>3</sup> - دبش اسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية، هذا، دار النهضة، الجزائر 2000، ص 111.

<sup>4</sup> - صحيفة المجاهد العدد 27، 22 جوان 1958م، ص 3.

بالخبرة الاقتصادية لكونها تحقق دخلا معتبرا لتونس وتوفير مناصب للشغل وأن التحسن الاقتصادي يخدم كافة الشمال الإفريقي ويؤمن الخير اليومي للشعب التونسي، وردت جريدة الجهاد على هذا الحجج، بمقال افتتاحي عنوانه "الخبر المسموم" وهو مقال انتقادي اعرض خلفيات الاتفاقية والموقف التونسي السليبي منها. وأدت هذه الكتابات الانتقادية إلى قيام السلطات التونسية بحجز العدد 28 من صحيفة الجهاد وهي بالمطبعة<sup>1</sup>، وتوقيف إذاعة "صوت الجزائر" ومحاولة تعطيل نشاط الثورة، فقامت بحجز السبع الموجهة للهلل الأحمر الجزائري طوال شهر جويلية 1958م، وطالبت بالتخلي عن أية سلطة ذات طابع قسطل و أوقفت مروز الأسلحة ووضعت يدها على كمية ضخمة منها في جوان 1958م، وكان ذلك يعني غرام الحكومة التونسية على إنذار جبهة التحرير الوطني ومحاولة ضرب التضامن الشعبي الذي يكنه التونسيون للجزائر، والادعاء بأن الجزائريين أصبحوا لا يحترمون السيادة التونسية<sup>2</sup>.

والحق أن الحكومة التونسية على الرغم من التأيد عم المشروط للثورة الجزائرية وشعبها منذ استقلال تونس فإن مسألة أبواب الغاز، قد أحتكت شرعا كبيرا في العلاقات الجزائرية التونسية، وأوشكت أن تسجل قضية تاريخية خطيرة.

غير أن التضامن الشعبي التونسي مع الثورة والشعب الجزائريين، أوقف الشرح الذي أصاب تلك العلاقات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد وقفت البلدان العربية كليبيا ومصر والمغرب موقف استنكار وإدانة لتلك الخلافات الحادة، ودعت الطرفين إلى مراجعة موقفهما إزاء بعضهما البعض، مما أوقع الحكومة التونسية في خروج كبير. وكان من المحتم على القيادتين احتواء خلافاتهما والعودة إلى مسار العلاقات الطبيعية، التي عرفها الشعبان منذ اندلاع الثورة، نظرا لارتفاع تلك الأصوات المنددة بالموقف التونسي من جهة، وخوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية على مصالحها من جهة أخرى.

وعادت الاجتماعات بين الطرفين من جديد، وكان أول لقاء جمع القيادتين هو اجتماع بداية أوت 1958م، بتونس للنظر في المسائل العالقة وفض الخلاف وإعادة العلاقات بين الجانبين<sup>3</sup>.

وأعربت الحكومة التونسية بعد هذا الاجتماع على دعم القضية الجزائرية وتواصل التضامن الفعلي لتونس حكومة وشعبا مع الجزائر.

ومن جهتها أصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة بيانا أكدت فيه تفهم الحكومة التونسية ودعمها لقضية الجزائر، وأشار أن الطرفين تعرضا أساسا لخلاف إقامة أبواب "إيجلي" عبر الأراضي التونسية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الميلي محمد/ المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> - محمد حريبي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة محمد الجوز، دار المؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 361.

<sup>3</sup> - جوان غيليسبي: الجزائر الشائرة، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة، بيروت لبنان: 1961م، ص 215.

<sup>4</sup> - بن قايص أحمد: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية، رسالة ماجستير مخطوط، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1986م، ص 121.



وقد نشرت جريدة الصباح التونسية البرقية التي بعث بها وزير الأنباء الجزائرية "محمد بريد" إلى الرئيس الحبيب بورقيبة، الذي شكره فيها على دور الوفد التونسي في الأمم المتحدة عند مناقشته القضية الجزائرية، مما جاء فيها: "فتحامة الحبيب بورقيبة، رئيس الجمهورية التونسية عند إلقاء مناقشة القضية الجزائرية نريد أن نعبر لفخامتكم عن ارتياحنا لما برهن عنه الوفد التونسي ورئيسه السفير "المنجي سليم"، من مساندة فعالة للقضية الجزائرية، ولما قامت به وفود المغرب العربي من تضامن أخوي طيلة الدورة للجمعية العامة للأمم المتحدة، مع فائق الاحترام والتقدير"<sup>1</sup>

والحق أن الخلاف بين القيادتين حول مشروع أنبوب الغاز، قد حل: "بصدور تأكيد تونسي بأن لا يسير الترتيب بالأنابيب المذكورة، حتى تنال الجزائر استقلالها"<sup>2</sup>، وحسب بعض القيادات السياسية في الثورة الجزائرية، أن موضوع تمديد أنبوب "إيجلي للغاز" قد تم أثناء شهري أوت وسبتمبر 1958م، إلى ما بعد استقلال الجزائر<sup>3</sup>.

وهكذا عادت العلاقات الجزائرية التونسية إلى سابق عهدها وتم كسب الدعم السياسي التونسي من جديد، غير أن مشكلة أنبوب الغاز قد تركت أثرا سلبيا في نفوس القيادة الجزائرية، ولم يكن الكثير منهم راضيا عن سياسة التهادنة. خاصة بعد أن تزايدت حساسية النظام التونسي من توسع نشاطات الثورة الجزائرية، وانتشار إيديولوجياها في أوساط التونسيين، وأصبح يفرض رقابته على النشاط السياسي والعسكري خاصة، ويتدخل لمعرفة كل شيء في القواعد الخلفية ويطلب من جهة التحرير الوطني ألا تقوم بأي نشاط سياسي أو عسكري فوق الأراضي التونسية، إلا بعد إبلاغ الحكومة التونسية بذلك مما شكل صعوبات حمة لثورة الجزائرية في تونس سنتي 1958م و1959م<sup>4</sup>، علاوة على الصعوبات التي كانت تواجهها في الجزائر، بعد بحسب الجنرال ديغول إلى الحكم وتطبيق مخطط شال الريح.

والحق أن جهة التحرير الوطني قد أدركت خلال هذه المرحلة أن السياسة الديغولية استطاعت أن تستميل الحكومة التونسية وتضرب التضامن المغاربي عامة والعلاقات الجزائرية التونسية بصورة خاصة، مما جعلها تتبع سياسة اللبس والابتعاد عن الاصطدام بالحكومة التونسية<sup>5</sup>.

ولكن بعد إنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة، اعتبرت تونس ذلك إجراء مهما يفيد القضية الجزائرية، ويطلق الحجاج الفرنسية بعدم وجود هيئة تنفيذية يمكن التفاوض معها.

والواقع أن حرص الحكومة التونسية على تجنب الاصطدام مع الحكومة الفرنسية لم يمنع اعترافها الرسمي بالحكومة الجزائرية في اليوم الأول من إعلانها، وأكدت وقوفها إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه من

<sup>1</sup> - جريدة الصباح: التونسي بورقيبة يتلقى شكر من وزير الأنباء الجزائرية، العدد 1972، ص 1.

<sup>2</sup> - جوان غيليسبي: المرجع السابق.

<sup>3</sup> - محمد الميثلي: مرجع سابق، ص 114.

<sup>4</sup> - المرجع السابق نفسه.

<sup>5</sup> - ابن قلين: أحمد: مرجع سابق، ص 126.

أجل السيادة، وقد تأكد تأييد الحكومة التونسية للحكومة الجزائرية من خلال اتصالها بالمسؤولين الجزائريين وتشجيع نشاطهم السياسي، كما أكد الشعب التونسي دعمه التام لكفاح السيامي ونشاطات الحكومة الجزائرية بتونس .

مما فرض على الحكومة التونسية الإسراع بموازرة القضية الجزائرية والاقتناع بأن هذه الأخية السياسية ستعجل باختصار زمن الحرب التي دامت أربع سنوات حتى ذلك الوقت ووضع حلول سلمية للمشاكل الجزائري حيث صرح الرئيس بورقيبة في شهر فيفري 1959م، بقوله: "لقد اعترفنا بالحكومة الجزائرية بوصفها ممثلة للشعب والوطن وللدولة الجزائرية"<sup>1</sup>.

الرئيس البورقي هو خطوة سياسية إيجابية إزاء الثورة الجزائرية وتأكيدا على أن كفاح الشعبين الجزائري والتونسي كفاح مشترك ومسئور لا يتوقف إلا بتحرير البلدين تحريرا كاملا غير منقوص.

وإذا كان بورقيبة قد أعلن صراحة اعترافه بالحكومة الجزائرية المؤقتة باعتبارها ممثلة الشعب الجزائري وللدولة الجزائرية مستقبلا، ولكن في الواقع كانت هناك صعوبات في الميدان عانت منها جهة التحرير الوطني معاناة شديدة مثل: تمرير الأسلحة عبر الأراضي التونسية ونشاط القواعد الخفية للثورة بالإضافة إلى مضايقات أخرى كانت تعوق نشاط الثورة في الأراضي التونسية .

ويبدو أن التحفظات التي كانت عالقة بالذهنية السياسية التونسية إزاء الثورة الجزائرية كانت ناتجة عن ميل هذه الأخيرة نحو الماركسية وتشبعها بالمدائى القومية، خاصة وأن المعارضة البوسنية المتأثرة بالقومية والتيار البعثي بدأت تتقوى وينصاعف أنصارها، وكان وجود القوات الجزائرية في الحدود تشكل خطرا على النظام البورقي في حالة وقوع اصطدام بينه وبين التيار البوسني، وهو يخوض صراعا إيديولوجيا لمواجهة مصر الناصرية<sup>2</sup>.

وأخفى أن الحكومة التونسية لم تكن مبرورة لتواجد عسكرية للجزائريين بسط فوق أراضيها وتطالب بتسهيلات أكبر لنشاطها، فكانت تخشى ترسخ مؤسسات الدولة الجزائرية داخل تونس، وهي لا تظهر الالتزام بقوانين الدولة التونسية .

كما أن بورقيبة كان يخشى على سياسته المعروفة بالحلول السلمية أي سياسة المراحل من الفشل أمام اختبار العسكري الذي تتبعه كل من فرنسا والثورة الجزائرية<sup>3</sup>.

ولعل الحكومة التونسية بإزعامة بورقيبة، كانت تتعامل بطريقتين مختلفتين مع القادة العسكريين الثوريين الجزائريين المتواجدين على الأراضي التونسية ومع الحكومة الجزائرية المشكلة منذ 1958م، حيث

1 - ملاحق مصطفى، وسام العسلى: الثورة الجزائرية، ط1، مؤسس طرابلس للدراسات والفكر، دمشق، 1984م، ص 140.

2 - محمد السيلي: مواقف جزائرية، ط1، م.و.ل.د. الجزائر، 1984م، ص 117.

3 - المرجع نفسه، ص 113.

كانت تبدي تفاهها تماما مع حكومة الثورة، ولكنها في الوقت ذاته تبدي امتعاضا من انقاد العسكريين بتونس لاسيما في السنوات الأولى للثورة.

والحق أن الحكومة التونسية كان عليها حل الكثير من المتاعب بحكم وفاقها السياسي مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، فاجتهدت في توطيد علاقات الصداقة معها، والتفاعل مع تطور القضية الجزائرية، وحافظت على هذه العلاقات التي تدعمت بتزايد التضامن الشعبي مع الكفاح الجزائري، وكان للتغير الذي طرأ على السياسة الخارجية لتونس وتدهور علاقاتها مع فرنسا دافعا في اتساع مجالات التضامن والتأييد الشعبي ودعم مشاطات الحكومة الجزائرية، مما جعلها تفكر في نقل مقرها من مصر إلى تونس التي ازدادت أهميتها منذ 1960م، في النشاط السياسي والدبلوماسي للثورة الجزائرية .

وإذا كان انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة من القاهرة إلى تونس، يدل على الوفاق السياسي وحسن العلاقات التونسية الجزائرية، فإنه مرتبط بوضعية الثورة، كما يؤكد العديد من الدارسين وتعضده شهادات رجال الثورة<sup>1</sup>.

والحق أن انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى تونس اعتبر من القيادة السياسية التونسية انتصارا في الصراع القائم بينها وبين الحكومة المصرية الناصرية.

ولا شك أن انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى تونس، كان يهدف إلى تقريب القيادة السياسية من ميدان المعركة، وهناك أسباب ثانوية أخرى أوردتها بعض قادة الثورة<sup>2</sup> مثل: حدوث مشاكل على الحدود التونسية الجزائرية، وسهولة الاتصالات والتحكم في قرارات الثورة انطلاقا من تونس وقد علق على ذلك عمر أوعمران<sup>3</sup> بقوله: "ثم نقلها من القاهرة إلى تونس نظرا لبعد المسافة فتونس قريبة من الجزائر، بحيث لنا حدود مشتركة".

لقد كان لهذا الانتقال من مصر إلى تونس نتائج إيجابية بالنسبة للثورة، حيث أصبح إشراف الحكومة الجزائرية على تسيير شؤون الثورة عامة والجزائريين المتواجدين بتونس بصورة خاصة إشرافا مباشرا بفضل التسهيلات التي تقدمها الحكومة التونسية في مجال مرور الأسلحة والحصول على تسهيلات إدارية لنشطاء الجزائريين وتنسيق التضامن من الجالية الجزائرية والشعب التونسي لمساندة التضامن مع القضية الجزائرية<sup>4</sup>.

والخليفة أن الحكومة التونسية كانت ترى أن القضية الجزائرية في مراحلها الأخيرة تحتاج إلى دعم أكبر، يمكن من تحسين صورة الدولة، ويرضي مطالب التضامن التي يبدونها الشعب التونسي تجاه كفاح

<sup>1</sup> - مصطفى بوطور: علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالحكومة المصرية، رسالة ماجستير، محفوظ بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1982م، ص 124.

<sup>2</sup> - أوعمران: مجلة البحث، المحافظة السياسية للجبهة الوطنية الشعبية، عدد خاص حول التسليح، جويلية 1987، ص 10.

<sup>3</sup> - المكان نفسه.

<sup>4</sup> - الجندي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، ج 3، طبع لأمم كز الوطني للتوثيق، والمصحقة والإعلام، الجزائر، 1986م، ص 515.

الجزائر، وأظهر النظام التونسي تضامنه السياسي ومساندته للثورة الجزائرية إذ قامت تونس دعماً معتبراً خلال تلك المراحل الأخيرة إحساساً منها بقرب انتصار الجزائر، وتسبب هذا الدعم في تدهور علاقاتها مع فرنسا، لكن نشاط الحكومة الجزائرية المكثف في تونس، استفادت منه سياسياً واقتصادياً<sup>1</sup>، وأصبح النظام التونسي يفضل التقرب من قادة الثورة الجزائري، وإيجاد حل سلمي لمشكلة الجزائر بعيد الأمل لعودة العلاقات التونسية الفرنسية.

ونظراً للدعم المعوي الذي كانت تقدمه تونس لحكومة وشعباً زاد نشاط الثورة الجزائرية في تونس وتلحعت تحركاتها الدبلوماسية والسياسية، بالتنسيق مع الحكومة التونسية لتأييد مواقف الجزائر للحصول على استقلالها والتوصل إلى حل عادل للقضية الجزائرية، وهذا ما يؤكد الموقف الإيجابي التونسي في موازنة الحكومة الجزائرية مباشرة المفاوضات التي دعت إليها الحكومة الفرنسية في جوان 1960م، إذ رحبت تونس بالمبادرة الجزائرية واعتبرها الرئيس بورقيبة من الأحداث الهامة في سبيل تحرير الشعب الجزائري وإنهاء الحرب الضروس، وأشاد بتغيير الحكومة الفرنسية لموقفها اتجاه الشعب الجزائري واعترافها له بحق تقرير المصير، واعتبر الحزب الدستوري آخر جواب الحكومة الجزائرية مباشرة المفاوضات خطوة خريفة نحو السلم وتمكين الشعب الجزائري من ممارسة سيادته، وهذا التحرك التونسي والتضامن السيامي مع الحكومة تؤكد بعد فشل مفاوضات مولان بين الوفدين الجزائري والفرنسي، إذ وقعت الحكومة التونسية نوايا الموقف الجزائري في رفضه للشروط التعجيزية، والعراقيل الفرنسية لإتجاح المفاوضات، وأكدت تونس أنها لا تقبل بأن يتفاوض الجزائريون من موقف الضعف، وأن التونسيين لا يقبلون بأن يقع إيقاف القتال ضمانات، وأشدت بإبقاء الحكومة الجزائرية المؤقتة مجال المفاوضات مفتوحاً إلى غاية تراجع الموقف الفرنسي<sup>2</sup>.

وكان لزاماً على الحكومة الجزائرية المؤقتة أن تواصل كفاحها السياسي والعسكري لتحقيق أهدافها والرد على المناورات السياسية الفرنسية، وتجلى الدعم الدبلوماسي والسياسي لتونس بوضوح من خلال دعم القضية الجزائرية وكسب التأيد الدولي لها هيئة الأمم المتحدة أمام الرأي العام الدولي، وأمام ثنائي الموقف الفرنسي وتواصل مساندة العالم العربي لوجه السياسة الفرنسية أعرب الرئيس بورقيبة عن أسفه من مواقف الدول الغربية تجاه قضية الجزائر، وأكد عجيبة أمله في الغرب. وقد أعلن في خطابه الرسمي أمام مجلس الأمة في شهر أكتوبر 1960م، أن استقلال الجزائر سيتحقق مهما كان الزمن، ولو أدى ذلك إلى الاستعانة بروسيا والصين قائلاً: "إنه لو قدر لاستقلال الجزائر أن يتم على يد روسيا أو الصين مثلما تم استقلال

<sup>1</sup> - ميش اسماعيل: مرجع سابق، ص 114.

<sup>2</sup> - المجاهد الأسبوعي: العدد 72، 11 جويلية 1960م، ص 2-6.



الخلاف بين الحكومة التونسية والحكومة الجزائرية المؤقتة في جوان 1961م<sup>1</sup>، وبلجات الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى الخلاف سلمياً، ومهادنة الحكومة التونسية، وأمرت بتسليم الطيار الفرنسي، لكن هيئة الأركان العامة تلكأت في الاستجابة لهذا الطلب، واحتجت بتقدم استقلالها مشهورة بسياسة الحكومة الجزائرية الملية اتحاد تونس، وانتقدت الرئيس بأنه يحاول إبراز الموالين لسياسته من أعضاء الحكومة الجزائرية، وأنه يضع مطالبه الثراية بالجنوب هدفاً لسياسته إذ أكدت في بيان استقالتها: "أن بورقية لم تمتنع يوماً عن الضغط على السكان الفقراء السوف كي يطالبوا بالهوية التونسية"<sup>2</sup>.

ولكن الخلافات الظرفية التي وقعت بين الحكومة التونسية وقيادة الثورة الجزائرية لم تحل دون تأييد الحكومة التونسية لاستقلال الجزائر ومساندة مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الوصول إلى الاستقلال، فنظمت تونس مهرجاناً للتضامن المؤبد لمطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الحفاظ على الوحدة الثراية، وإطلاق سراح المساجين السياسيين.

وأكدت الحكومة التونسية دعمها للوفد الجزائري المفاوض من أجل للوصول إلى اتفاق نهائي في مفاوضات إيفيان<sup>3</sup>، واستمر التأييد والتضامن التونسي للقضية الجزائرية بعد أن أدرك بورقية قرب انتصارها، وجملة القول: أن الدبلوماسية الجزائرية استطاعت أن تلب من مواقف النظام التونسي، وهي تخوض مفاوضات الاستقلال مع فرنسا، وبذلك تجاوزت ضغوطات النظام البورقي بالاعتماد على تضامن الشعب التونسي المؤيد لقضية استقلال الجزائر.

وهكذا ظلت العلاقات الجزائرية التونسية إبان ثورة التحرير أخذاً وتعطاء وتشابك المصالح والوشائج الأخوية والروابط الحضارية والصلات السياسية والاقتصادية بين السكان الذين لم يكونوا يفتقون عن بعضهم البعض، إلا في طبيعة الاستعمار الذي كان يعبر الجزائر جزءاً لا يتجزأ من التراب الفرنسي، بينما ينظر إلى تونس على أنها محمية فرنسية لها حكومتها الوطنية الداخلية في أول الأمر، ثم حكومة وطنية مستقلة، حاولت فرنسا أن تقيم معها علاقة إستراتيجية لضرب الثورة الجزائرية، ولكن الشعب التونسي كان بالمرصاد لتلك المحاولات المادقة إلى إبعاد الحكومة التونسية عن مجال الصراع الجزائري الفرنسي، لأن الفرنسيين كانوا مستعدين للتضحية بكل شيء من أجل الإبقاء على الجزائر.

<sup>1</sup> - حريم محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص: 224-225.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص: 225.

<sup>3</sup> - مجلة المجاهد: العدد 115، 19 فيفري 1962م، ص: 2.

# الفصل الرابع

## الفصل الرابع :العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة .

المبحث الأول: أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس

المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957)

المبحث الثالث : تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية (1957-1962)



## الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة .

تحدثنا في الفصل السابق عن الدعم السياسي الذي قامت به السلطات التونسية اتجاه الثورة الجزائرية أما في هذا الفصل فسأعاج جانباً مهماً من نشاط الثورة الجزائرية بتونس ألا وهو النشاط الاجتماعي الذي أكد حضوره بقوة وقدمت بشأنه تونس دعماً مميزاً للشعب الجزائري الذي اضطر للهجرة إلى البلاد التونسية فراراً من حرب الإبادة التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر طوال حرب التحرير الجزائرية.

ويركز هذا الفصل على العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية (1954-1962) وهي المرحلة التي بلغت فيها العلاقات الجزائرية التونسية ذروتها على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية. و بعض المظاهر الاجتماعية في الثورة الجزائرية من خلال الصحافة التونسية كالهجرة والسكن والتعليم، والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية الأخرى للأحيتين الجزائريين في البلاد التونسية في مرحلة امتزج فيها الدم الجزائري بالدم التونسي على الحدود المشتركة بين البلدين في خضم الكفاح الوطني الذي كان يشهد حركة نشيطة لإزالة الاستعمار من الأقطار المغاربية كلها واسترجاع الاستقلال الوطني لهذا الشعب المناضل من أجل البقاء والحرية.

صحيح ان العلاقات الجزائرية التونسية ليست وليدة (1954-1962) ولكنها قد تبلورت في هذا الخيز الزمني المتميز حتى وصلت إلى قمة التعاون والتكافل في جميع المجالات وعلى كافة المستويات. لقد بدأت العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والتونسيين بشكل مكثف ومباشر منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، حين بدأ الجزائريون يهاجرون إلى تونس زرافات ووحدانا بعائلاتهم أحياناً وعفردهم أحياناً أخرى، إما كمقاومين يدعأون للأراضي التونسية بعد ضعف مقاومتهم أو كمهاجرين فارين من وجه الاحتلال الفرنسي بدينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهناك استقرار الكثير من العائلات الجزائرية .

وبعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 تزايدت الهجرة واللجوء إلى الأراضي التونسية فراراً من القمع الدموي الاستعماري الذي سلط على المذتين خاصة طوال سبع سنوات ونصف، حيث كان الفرنسيون لا يميزون بين العسكريين والمدنيين ولا بين الشيوخ والشباب ولا حتى بين النساء والأطفال فكان المخرج الوحيد، لهؤلاء الجزائريين هو تخطي الحدود الوطنية والإقامة في أراضي البلدان المجاورة. وبسرعة ارتفع عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس وحدها حتى بلغ في شهر أكتوبر 1959 (150.000) مائة وخمسين ألف نسمة بناء على إحصائية البلدين.

وقد شكل التواجد الجزائري بهذه الكثافة بتونس جملة من الظواهر الاجتماعية إيجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى من أهمها:

مشاكل البطالة وانتشار الفقر وتفشي بعض الأمراض .

ولكن من جهة أخرى سجل التواجد الجزائري بتونس ظواهر إيجابية هي:

أولا: تكفل الثورة باللاجئين من خلال شبكات ومؤسسات اجتماعية أقامتها بمختلف المدن والقرى التونسية.

ثانيا: ظهور أشكال من التضامن والتكافل الاجتماعي بين الشعبين .

ثالثا: نحاب السلطات الرسمية التونسية مع تحمل تبعات انخسور الجزائري حسب ظرفها وإمكاناتها المتاحة.

رابعا: استفادة المهاجرين الجزائريين من مستوى تعليمي معتبر دعم خط التعريب في الجزائر بعد الاستقلال الوطني سنة 1962م.

خامسا: تشكل عائلات جزائرية تونسية مختلطة عن طريق الدم والمصاهرة. أقامت جيسورا بين الثورة والتعاون بينهما أثناء الوجود الجزائري بتونس وبعد العودة إلى أرض الوطن سنة 1962.

#### المبحث الأول/ أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس:

عرف المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية خلال الخمسينات وبداية الستينات، من القرن العشرين تطورات خطيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الشعب الجزائري، لا سيما من حيث ازدياد الوعي الاجتماعي والسياسي والمعاناة المعيشية من سكن وغذاء وخوف، وسجن وتعذيب وتشريد وتهجير ونفي واعتقال من جراء الحرب الدائرة بين الثورة التحريرية وسلطات الاحتلال الفرنسي التي لم تكن تميز بين المقاومين العسكريين والمدنيين من الشعب الجزائري الأعز، حيث كانت تعتم كل جزائري ثائرا (فلاقا) كما هو معروف في قاموسها .

فبدأت بعد اندلاع الثورة مباشرة بالاعتقالات والاغتيالات العشوائية في كل منطقة بطلق فيها رصاص المجاهدين ضد ضابط أو مستوطن متعصب للدفاع عن "الجزائر الفرنسية أو تعرض قافلة عسكرية فرنسية إلى إطلاق النار من قبل المقاومين الجزائريين فقامت بغلق الحدود مع البلدان المجاورة وغلقت الشوارع بالأسلاك الشائكة وأقامت الحواجز في كل مكان ولاحتفت الناس في قراهم وبيوتهم، ومدت خطوط الكهرباء عبر القرى والأرياف لربط مراكز القوات العسكرية التي أقامت أبراجا للحراسة في كل خضبة وأكمة وحبيست على الناس أنفاسهم وهجرت المدنيين من قراهم وجمعتهم في مخبئات كانت تؤدحا لإهانة كرامة الإنسان ومثالا للفقر والبطالة والازدحام السكاني ورتابة الحياة اليومية والجهل والمرض

والتوتر النفسي والعصبي وهدما للهوية وهتكاً للأعراض وتخطيما للمقدسات والرموز الدينية والوطنية. فعايش الشعب الجزائري حياة ضيقة وعلاقات اجتماعية فريدة من نوعها تميزت بعلو الهمة والتسامح والكرم وعزة النفس والإيثار والإيلاء والأخوة التي لم يسبق لها نظير بين الجزائريين .

إنها حياة جمعت بين القيم الإنسانية الرفيعة وانتهاك حقوق الإنسان في أبغض صورها من قبل قادة الاحتلال وجنوده فكانت ثلاث عائلات تعيش في منزل واحد وتتفاسم رغيف شعير وتشترك في المرحل والموقد ونور القنديل الزيتي، ضاربة أروع الأمثلة في الكرم والتسامح والإيلاء والشجاعة أمام شراسة المحتل وآله الخهمية التي لم تجد وسيلة إلا واستعملتها لفهر السكان وإخضاعهم ومحاولة تدجينهم وإبعادهم عن نظام الثورة، التي شككت عقبة كهودا في طريق "النظام الاستعماري" الذي لم يتسكن من اختراق السياسة التي أقامتها الثورة بين الإدارة الاستعمارية والمواطن الجزائري .

لقد ظهر في هذه المرحلة الخطيرة، بمظهر جديد تميز بالتعاون والتضامن الاجتماعي وبالقدرة على الصمود والمواجهة والدفاع عن الهوية، التي ظلت لحظة طوال القرن الأول من الاحتلال تنتظر الفرصة المناسبة للظهور من جديد والمناقحة عن كيانها وبقائها متميزة عن الهوية الجديدة التي حاول المحتلون فرضها على المجتمع الجزائري، وهي هوية لا جزائرية قومية ولا فرنسية غربية، إنما هي هوية تجمع بين الخصائص الأهلية التي وافق الاحتلال على بقائها والخصائص الفرنسية التي تجعل من الجزائري إنسانا مجردا من القيم الإسلامية والمقومات العربية والحدود الوطنية، حتى يتلاءم مع الهوية الجديدة .

وفي هذه المأساة الإنسانية برزت ظواهر متعددة كاضحية إلى البلدان المجاورة أو إلى أوروبا إلى وإلى المشرق العربي نجحت عنها أوضاع اجتماعية واقتصادية متردية ليس بالنسبة للمهاجرين الجزائريين فحسب، بل فقد مست كل من البلدين الشقيقين تونس والمغرب حتى أصبح هذان البلدان يتوسلان إلى هيئة الأمم المتحدة للتدخل في إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين وفي هذا السياق كتبت جريدة العمل التونسية في عددها 482 الصادر بتاريخ 11 / 7 / 1957 م تحت عنوان : "الحكومة التونسية منطلبة من هيئة الأمم إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين"، مما جاء فيه: «عن صحيفه "نيويورك تايمز" الأمريكية أن الحكومة التونسية تستعد لتقديم طلب إلى هيئة الأمم المتحدة لتساعد على إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين بتونس وحسب هذه الأخبار، فإن الحكومة التونسية تنوي عرض هذه القضية على مكتب اللاجئين التابع للهيئة الأهمية، من جراء العبء الاقتصادي الذي ينجر عنها لتونس، وقد استفيد أن السفير المنحني سليم قد اغتنم فرصة مروره بمخيف صحبة لجنة التحقيق بالجزء، فاستفسر لدى مقر مندوبية

الأمم المتحدة للاجئين بالمدينة المذكورة، عن إمكانية مساعدة هذه المنظمة لقضية اللاجئين الجزائريين بتونس الذين يبلغ عددهم حوالي (200000) نسمة<sup>1</sup>.

إذن فحريدة العمل تخص عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس سنة 1957 بمئتي ألف نسمة ومثل ذلك في المغرب وعدد آخر في ليبيا ومصر والبلاد العربية الأخرى وقد بلغ عدد اللاجئين الجزائريين خارج الوطن أكثر من (1/2) نصف مليون نسمة وكان الشعب العربي في المشرق والمغرب يتضمن حملات إكتتاب لصالح الشعب الجزائري فتجمع الأموال من الشعب كما تجمع من الحكومات، وفي 8 ماي 1957 نشرت جريدة العمل التونسية بيانات في هذا السياق تحت عنوان: "حملة إكتتاب لفائدة المقاومين الجزائريين"<sup>2</sup> كما جاء فيه: بغداد 9 ماي ألقى جلالة ملك العراق فيصل، خطابا أثناء اجتماع عمومي التقط عن طريق التلفزة وأذاعته محطة بغداد مناسبة افتتاح حملة إكتتاب لمساعدة إخواننا الجزائريين لفائدة المقاومين الجزائريين قال فيه باختصاص: "باسم الله أعلن افتتاح حملة إكتتاب لمساعدة إخواننا الجزائريين الذين يكافحون و يثابرون في سبيل حريتهم واستقلالهم...".

وقد ساهم جلالة الملك فيصل، بمبلغ عشرة ملايين من الفرائكات واستفيد من جهة أخرى أن الإكتتاب سيظل مفتوحا لمدة سنة.

وفي اليوم الرابع من شهر حزيران جوان 1957 نشرت جريدة العمل التونسية عمودا حول وضعية اللاجئين الجزائريين ومعاناتهم من القمع والتعذيب والإقصاء الفرنسي الذي اضطرتهم إلى الفرار بأرواحهم وأجسادهم إلى الأراضي التونسية بعنوان: "فرنسا تترث لحالة اللاجئين الجزائريين بتونس" ومما جاء فيه: "... قررت الحكومة التونسية إرسال موظفين سامين إلى منطقة اللاجئين الدولية بحيف، وجاءت هذه المذكرة أيضا بعد أن حاولت مصالح الوزير المقيم بعاصمة الجزائر إنكار وجود هؤلاء اللاجئين وبعد أن حاولت كذلك حملهم على الرجوع إلى الجزائر، بل وبعد أن أعطت بخصوصهم معلومات وأرقام أقل ما يقال فيها أنها مناهضة في صحتها للمعلومات التي تصدر يوميا عن سلطات الجزائر بخصوص عمليات التبدلة اليومية. ولكن المذكرة تبين أن هؤلاء الجزائريين يرفضون الجنسية الفرنسية التي يراد حملهم على التنبس بها وقد اخترقوا الحدود ليطلقوا في تونس بعطف وعناية تجليا بصورة مغايرة (تعطف وعناية) السلطات الاستعمارية في الجزائر ونحن نساعد هؤلاء سواء على النطاق المحلي أو الدولي"<sup>3</sup>.

وقد رد غي مولي على مشروع قسنطينة الذي أعلنه الجنرال ديغول في أكتوبر سنة 1958 - كما ورد في فصل العلاقات السياسية- عندما تحدث عن قضية الجزائر قائلا: "مشروع قسنطينة لا يكفي وإن

<sup>1</sup> - جريدة العمل: الحكومة التونسية تتطلب من هيئة الأمم إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين، العدد 482، 11/ 5/ 1957، ص 1.

<sup>2</sup> - جريدة العمل: حملة إكتتاب لفائدة المقاومين الجزائريين، العدد: 480، 9/ 5/ 1957، ص 1.

<sup>3</sup> - جريدة العمل: فرنسا تترث لحالة اللاجئين الجزائريين، العدد: 502، 4/ 6/ 19/ 57، ص 1.

كاشتراكي يؤمن بأن للاقتصاد والاجتماع دورا أساسيا في ازدهار البلاد أرى بأن مشروع قسنطينة ضروري ونافع، ولكنه غير كاف، إن المشكل الجزائري لا يحل بالازدهار الاقتصادي ولا يحل بالنصار عسكري، ولكن يحل سياسي يرضي جميع السكان<sup>1</sup>.

أما عن مشروع النهوض الاقتصادي والمالي فقد قال الكاتب العام للحزب الاشتراكي ألما طريف: لم تحسن صنعها وبوسيلة لم نوفق في تطبيقها، فليس يحصل ذلك النهوض بالزيادة في الأسعار ومضاعفة الضرائب، واتخاذ تدابير مضايقة، وما إلى ذلك بما نأخذ من مئات المليارات من أفقر طبقات الشعب ومهما يكن الأمر فإذا لم تتدر الأمر عن خبرة وتوازن، فإن الوطن سيتعرض لمأساة اجتماعية كاملة. وهكذا كانت الظروف الاجتماعية قاسية على الشعب الجزائري لم يجد بدا بسببها، إلا الهجرة من وطنه إلى البلدان المجاورة، أو إلى بلدان أخرى يجد فيها الأمن والملاذ حيث لم تتوقف الهجرة الجزائرية نحو الخارج ولا سيما تونس، إبان الثورة منذ اندلاعها حتى سنة 1962م.

ومنذ 1956م بدأ اللاعنون الجزائريون في تونس يكتبون في الصحف عن أسباب لجونهم إلى هذه البلد الشقي، وفي يوم 21 جويلية 1956م نشرت مجموعة من الجزائريين بنونس باسم المهاجرين الجزائريين بيانا في جريدة الصباح أوضحت فيه أوضاع الجالية الجزائرية وموقفها من الثورة الجزائرية وذكرت أن تونس كانت وما تزال من الاحتلال الفرنسي للجزائر ملجأ ومأوى لأحرارها الذين يقرون زرا ذات ووجدانا بدينهم ولغتهم وشرفهم من وجه الاحتلال المقيت ومارسوا في تونس كل المهن الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحو ذلك وما جاء في البيان<sup>2</sup>: "تواجد الجزائريين في تونس كجالية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانوا دائما يجدون المأوى والمأمن بعد الهجرة الاختيارية، فلا نحال أن تكون الجالية الجزائرية تونس كثيرة العدد أنهم توزعوا على مختلف فروع النشاط الاقتصادي التونسي، فإذا أخذنا ترقية اللجنة المديرية لولاية الجزائريين بالقطر التونسي العام 1955 كمثال لوجدانا منهم الخدم، والطبيب والصيدلي والموظف والفلاح والتاجر والمفازن الصناعاتي وحتى فندقي، مما يعني أنه كان لهم حضورهم إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر، لقد تحمل جزائريو تونس مسؤولياتهم بتأييد طموح شعبهم للتحرر والإنعتاق، وذلك بالتنديد بما يتعرض له من قمع وقهر وتدمير لدى السلطات الاستعمارية في باريس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مجموعة من الجزائريين المقيمين بتونس إلى القسم الجزائري بتكليف المغرب العربي، بالثبوت، جريدة الصباح 21 جويلية 1956 ص 2.

<sup>2</sup> - ترقية من الجزائريين بتونس إلى رئيس الحكومة الفرنسية جريدة الزهرة 4 أوت 1955 ص 1.

ولما لم يشفع هذا الاجتماع، تأكد لهم أن لا حل أمام الجزائر إلا استعمال القوة لاسترجاع حقوقها المهضومة منذ ما يزيد عن القرون وربع القرون فاندفعوا في تأييد جيش وجهة التحرير الوطنيين بلا قيد ولا شرط حتى النصر النهائي<sup>1</sup>.

لا شك أن الاستقلال التام لتونس والذي أيده جزائريو تونس بأن أكدوا بأنهم ليسوا "فرنسيين مسلمين" لأنه لقب كبريه بالنسبة لهم وتوجهوا إلى الشعب طالين منه اعتبارهم جالية عربية مسلمة "لا فرنسية" لأن الشعب الجزائري التائر لم يثر ثورته الجائعة هذه إلا دفاعا عن كرامته وعزته وعروبته وإسلامه ومعنى هذه الأسطورة الخرافية التي يتشرف بها الفرنسيون والأنسلاخ من هذه الجنسية التي أخفت بنا قرنا وربع قرن ونحن منها براء يشهد بذلك إسلامنا وعروبتنا وما قاساه الشعب الجزائري من إهانة وذل وعذاب ، فإن كان الشعب الجزائري كبيره وصغيره ، شيوخه وشبابه ، نسائه ورجاله يذهبون ضحية العدوان في سبيل هذا الأمر الحليل ثم تأتي هنا ونرضى بهذه الجنسية المفقودة وبرضى أن تبقى نعامل كالفرنسيين فسا نحن إلا نخونة مارقون حق علينا غضب الشعب .

وويل لمنعه من غضب الشعب الجريح المكافح إننا عرب مسلمون نعامل معاملة العرب بريء من الشعب التونسي أن يعتبرنا جزائريين مسلمين عرب ، نحن من الجزائر وإلى الجزائر العربية ننسب في سبيل الجزائر فحيا وتموت<sup>2</sup> وكان الجزائريون على حق حين طالبوا السلطات التونسية إسقاط اعتبارهم فرنسي الجنسية ، فهاهي فرنسا تحاول نقل المساجين السياسيين الجزائريين بعد استقلال تونس من السجون التونسية إلى السجون الفرنسية بعد حملات الانتقادات التي تعرضوا لها منذ اندلاع الثورة<sup>3</sup> لذا فقد دفع هؤلاء المساجين أصواتهم للاستغاثة بالسلطات التونسية لكي تقف دون رغبة السلطة الفرنسية لأن الأمر يشير فيهم تخوفات التشفي والانتقام .

والأمر الذي يثير الاستغراب وجود مساجين لدولة أخرى في أرض دولة مستقلة ويبدو أن الحكومة التونسية تقادت الإشكال يرفضها المساح بنقل المساجين خارج تونس ، مما ساهم في منع نقل رؤوس كانت تساعد فرنسا على فرض هيمنتها أكثر على الجزائر..

هذا العمل والموقف المتحيز من الحكومة التونسية قابلة موقف لا يقل شهامة وشجاعة ، ألا وهو الموقف المتضامن للشعب التونسي مع أخيه الشعب الجزائري في محتته الشيء الذي جعل الجزائريين ينهون به على صفحات الجرائد وهم يرون الشعب التونسي يساعد إخوانه اللاجئين الجزائريين في محتتهم<sup>4</sup> وحتى

<sup>1</sup> - برقية من الجزائريين المقيمين بتونس إلى القسم الجزائري مكتب المغرب العربي بالقاهرة جريدة الصباح مر جمع سابق ص 2.

<sup>2</sup> - نداء من جزائريو تونس ، جريدة الزهرة ، 20 ماي 1956 ، ص 1.

<sup>3</sup> - جريدة الزهرة : 9 أوت 1955 ، ص 1 ، جريدة الصباح : نفس التاريخ.

<sup>4</sup> - محمد الأحصر المساحي : الإعانة الحلال ، جريدة الصباح : 27 جويلية ص 2.

المساجين كان فم نصيب من هذه المساعدة، حتى يشعرون أنهم "...حقا في وطنهم الثاني بين إخوان كرام"، وكما كان اللاهثون الجزائريون تونس يساندون الثورة ويؤدون بالرجال والعتاد كان الطلبة الجزائريون في تونس أيضا من مسانديها و مداعمها ولم تكن الثورة بالنسبة إليهم ظاهرة مفاجئة وإنما كانت و إجتماعها قد وصلت إليهم قبل اندلاعها من جراء الممارسات الاستعمارية الظالمة من جهة ووعي الطلبة وتوهمهم من جهة أخرى .

وقد انضموا إلى إضراب 19 ماي 1956 الذي دعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين الذي تأسس في فرنسا سنة 1955م، على الرغم من أنهم لم يكونوا أعضاء فيه ،وعلى الرغم من أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المأساوية في تونس فقد اختاروا طريق الإضراب اللاهثي عن الدراسة كما فعل باقي الطلبة الجزائريون المتواجدون في فرنسا والجزائر الذين أضربوا منذ 19 ماي 1956 فاضرب الطلبة الجزائريون بنونس استجابة لنداء جمعية الطلبة الجزائريين<sup>1</sup> وأظهروا ذلك على صفحات الجرائد<sup>2</sup> إلا أن البعض لم يقنع هذه الخطوة واعتبرها قاصرة عن أداء المهمة ولا يرى حلا إلا الالتحاق بالجيال والأخذ بالتأثر لضحايا الاستعمار<sup>3</sup>.

لم يظل انتظار هؤلاء، حيث صدر نداء الطلبة الزيتونيين للعودة إلى الدراسة في سبتمبر 1956<sup>4</sup> على الرغم من أن الإضراب تواصل في الجزائر وفرنسا إلى غاية أكتوبر 1957 والسبب في ذلك هو حرص جبهة التحرير الوطني على المستقبل الدراسي لإطارات الجزائر المستقبلية بتفادي الانقطاع الطويل عن الدراسة خاصة وأن كل الدلائل كانت تشير إلى أن نهاية الحرب في الجزائر لن تكون في القريب العاجل وعلى الرغم من مشاركة وامتثال الطلبة لقرارات جبهة التحرير الوطني، إلا أن الملفت للانتباه هو أنهم لم ينظموا إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. بمجرد تأسيسه سنة 1955م.

وببدو أنه كانت توجد خلافات بينهم<sup>5</sup> مجموعة تريد أن تجعل من جمعية الطلبة الجزائريين إطارا تقليديا يمثل للطلبة<sup>6</sup> و مجموعة أخرى تريد إنشاء جمعية جديدة لتكون فرعا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين<sup>7</sup> وقد أدى استمرار هذا الخلاف بالطالب يحي بوعزيز إلى كتابة مجموعة مقالات بعنوان رسالة

<sup>1</sup> - نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين، جريدة الصباح، 29 ماي 1956، ص2.

<sup>2</sup> - الطاهر وطار، إنا واحلون، جريدة الصباح، 6 أكتوبر 1956.

<sup>3</sup> - حمادي بغريش، لو كنت قائما، جريدة الصباح، 8 جوان 56، ص4.

<sup>4</sup> - نداء جمعية الطلبة الجزائريين، جريدة الصباح، 28 سبتمبر 1956، ص4.

<sup>5</sup> - نداء من الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين إلى الطلبة الجزائريين بنونس، جريدة الصباح، 22 مارس 1956، ص3.

<sup>6</sup> - يحي بوعزيز، لم يختلف أبدا، جريدة الصباح، 4 مارس 1956، ص4.

<sup>7</sup> - إبراهيم زعويوب، "علام مختلف"، جريدة الصباح، 24 فيفري 1956، ص3.

الجمعيات<sup>1</sup> حاول فيها تشريع عمل وأهداف وأهمية الجمعيات الطلابية، بل وحتى كيفية النضال داخلها ودعى إلى الوحدة في العمل، إلا أن دعوته ذهبت أدراج الرياح، ولم ينشأ خلاف إلا بتدخل جبهة التحرير الوطني وإفائها الوجود الرسمي للجمعية الطلبة الجزائريين بالدعوة إلى انتخاب فرخ للاثحاد كمجندين أو مكلفين بالقيام بأعمال الدعاية والتسويق وتعليم اللاجئين والإشراف على مرافق حيوية متعددة<sup>2</sup> تابعة للثورة التحريرية في تونس.

وبخلاصة القول أن المجتمع الجزائري إبان عهد الاحتلال الفرنسي عامة وأثناء الثورة التحريرية خاصة قد عرف حياة مأساوية لم يسبق لها مثيل: في أمنه الغذائي و في أمنه الصحي وفي استقراره السكاني وفي أمنه الثقافي و في الاستقرار النفسي و الاستقرار الاجتماعي، مما جعله يهاجر إلى مختلف البلدان العربية والأوروبية التي ترسم فيها شيئا من الأمن والاستقرار، فكانت أقرب البلدان إليه لمخضه الأولى، الأكثر كثافة وانسجاما مع سكانه وهي البلاد التونسية ذات العلاقة التاريخية الوطيدة بين سكان البلدين، مما يدور لديه فكرة الدولة الوطنية التي لا يمكن أن تصان كرامته إلا بوجودها. ازداد تشبها والتامتا بالثورة طوال سبع سنوات ونصف حتى استرجع سيادته كاملة غير منقوصة بكفاحه المستمر على كل المستويات السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية داخل الوطن وخارجه.

#### المبحث الثاني / الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957):

تزايد عدد اللاجئين إلى تونس بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 في مرحلتين رئيسيتين: تميزت المرحلة الأولى بلجوء الجزائريين إلى الأراضي التونسية بعائلاتهم وأموالهم ومواسيهم دون أن يطلب منهم الرحيل من قراهم الحدودية أو ما قبل المناطق الحدودية، حفاظا على أرواحهم وأموالهم ورفضنا للتعامل مع سلطات الاحتلال الفرنسي. وتمتد هذه المرحلة من بداية الثورة إلى ربيع 1957م. أما المرحلة الثانية فتبدأ من شهر سبتمبر 1957 عندما شرعت الحكومة الفرنسية في تنفيذ خطط عسكري استعماري يتضمن تطهير منطقة الحدود الشرقية الجزائرية تهيدا لإقامة الأسلاك الشائكة التي عرفت بخط موريس<sup>3</sup> وأصبح سكان هذه المناطق الحدودية مهددين من القالة شمالا إلى الصحراء جنوبا، وبالمطاردة والقتل حيث استعملت قوات الاحتلال مختلف أنواع الأسلحة مثل: المدافع والطائرات لتهدم القرى وحرق المزارع واضطر آلاف الجزائريين من الشيوخ والأطفال والنساء للفرار بحياتهم بعد أن فقدوا كل شيء.

<sup>1</sup> جريدة الصباح: 20 ديسمبر 1956، 1 جانفي: 6 فيفري 1957.

<sup>2</sup> - محمد الصالح البخاري و آخرون: الأدب العربي في شمال إفريقيا: مقالات نقدية وبيبلوغرافية وصفيّة، دار موهج

1982، ص: 37.

<sup>3</sup> - جريدة المجاهد، العددان 12-15، نوفمبر 1957، ص: 3.



وفي هذه المرحلة كانت مأساة اللاجئين الجزائريين فوق ما يتصوره العقل حيث وصلوا إلى الأراضي التونسية منهكين ومخطمي الأمل في الحياة بسبب العوز المادي ومشكل السكن والحرمان من أدنى ضرورات الحياة<sup>1</sup>.

والحق أن اللاجئين الجزائريين قد توزعوا في البلاد التونسية على مختلف المراكز والمدن وانفرد كل حسب إمكانياته وعلاقاته بالجزائريين الذين استوطنوا بتونس من قبل. غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني والسلطات التونسية، قد تكفّتا بشؤونهم الاجتماعية وإيوائهم في مراكز أقيمت داخل الحدود التونسية بمناطق "الكاف" و"غار الدماء" و"طبرقة" و"ساقية سيدي يوسف" و"توزر" و"قفصة" و"مدنين" و"مزل بورقية" و"باجة" و"حنابو" و"بحاز الباب" و"سبظلة" و"تونس العاصمة" و"عين دراهم". وهناك من اللاجئين الجزائريين من اشترى مسكنا أو أجرد من العائلات التونسية أو أقام عند بعض العائلات القاطنة بتونس وبما تمتلكه قديمة هناك.

ولم يستقر اللاجئون الجزائريون في القرى والأرياف الحدودية فحسب، بل فقد انتشروا في المدن الكبرى ولاسيما العاصمة تونس حيث أصبحوا يقيمون في كل أحياء العاصمة وينشئون علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية حوارية مع التونسيين، فظهرت بينهم علاقات عائلية بالصاهرة ونشأ بك المصالح الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

هذا وقد بذلت الحكومة التونسية والحلال الأحمر التونسي بالتعاون مع مصلحة الشؤون الاجتماعية لجهة التحرير الوطني قصارى الجهود لإسعاف المنكوبين وإيواء المشردين؛ وكانت إقامة اللاجئين وأوضاعهم جد صعبة من حيث الإسكان والغذاء والعلاج<sup>2</sup>، لأن إمكانيات التكفل لدى جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية كانت ضعيفة إلى حد كبير لم تستطع تلبية حاجة اللاجئين وتوفير شروط الحياة اللازمة لهم على الأراضي التونسية، إذ لم يكن من الميسور استقبال الأعداد الكبيرة من اللاجئين في وقت قصير<sup>3</sup>. والحق أن الحكومة التونسية برئاسة الحبيب بورقيبة قد تحملت ما فيه الكفاية من الأعباء الاقتصادية والاجتماعية لصالح اللاجئين الجزائريين المشردين من وطنهم، انطلاقا من اقتناع بات إنسانية

<sup>1</sup> - المكان نفسه.

<sup>2</sup> - إحدى المدن التونسية لتأخذه للحدود الجزائرية، كانت من أهم الملاجئ للجزائريين اللاجئين إلى تونس، وذلك لعرفهم بها وتقع على الساحل للبحر الأبيض المتوسط.

<sup>3</sup> - شهادة العدد 36 (06) فيفري 1959، ص 2.

<sup>4</sup> - المكان نفسه.

وأخوية وجوارية وحضارية، حيث سعت ما وسعتها أساليب المسعى التعريف بمأساتهم أمام الرأي العام العالمي.

والحق أن أهم انعكاس ترتب عن الحرب التي كانت تشتتها فرنسا بالجزائر هو اضطراب آلاف من الجزائريين لجوء إلى البلدان المجاورة، كالمغرب وتونس وليبيا، حيث كانت تتواجد بتونس جالية جزائرية معتبرة انضمت إليها منذ اندلاع الثورة الجزائرية أعدادا ضخمة من اللاجئين، وإذا كانت السلطات الفرنسية نرمي من وراء سياسة القمع والطرد لسكان الحدود الشرقية خلق مشاكل مادية للثوار الجزائريين وإثارة الصعوبات للحكومة التونسية الفتية لتكف عن دعمها للثورة الجزائرية، فإن مشكل اللاجئين أكد الحضور القوي للجزائريين بتونس من خلال الشبكات والمصالح الاجتماعية التي أقامتها جهة التحرير الوطني لتتكفل باللاجئين، وأظهرت أشكالا من التضامن والتكافل الأخوي بين الشعبين وبشكل جعل السلطات الرسمية بتونس تتجاوب مع تحمل تبعات الحضور الجزائري حسب ظروفها وإمكاناتها المتاحة.

ولا شك أن العرض لمواقفها من قضية اللاجئين سيظهر مدى علاقتها بالثورة الجزائرية ومناصريها للأهداف التي ناشدت جبهة التحرير الوطني تحقيقها لفائدة الكفاح الوطني، خاصة وأن قضية اللاجئين بالنسبة لأية دولة تكون "ورقة رابطة" إذا ما حسن استغلالها، ولم تكن هذه الحقيقة لتخفى على المسؤولين الجزائريين إذ يسهل علينا تلمس النتائج الإيجابية والدور الهام الذي قدمه اللاجئون لصالح القضية الجزائرية بقاعدة تونس وهذا ما يدفعنا لإبراز الجهود والنشاطات التي لمحضت بها مؤسسات وتنظيمات الثورة الاجتماعية التي أكدت بحق التمثيل الاجتماعي للجزائريين بتونس والذي ارتسمت ملامحه بأهداف ومبادئ الثورة الجزائرية، ترتب عن سياسة الاضطهاد التي شنتها السلطات ضد الشعب الجزائري آثارا سلبية طالت البلاد المجاورة، نتيجة اضطراب الأسر الجزائرية منذ اندلاع الثورة التحريرية وغير مراحل متوالية المتروح إلى تونس والاستقرار بها كما سبق الذكر، حيث تكفلت جبهة التحرير الوطني بشؤونهم بانتدابهم جزائريين منكوين فروا من جحيم القمع الفرنسي، وتحملت سلطات تونس وشعبها جهودا معتبرة لإيوائهم ورعايتهم، وستعرض في هذا المبحث لمراحل تطور مشكل اللاجئين<sup>(1)</sup> وستبرز مختلف أشكال الدعم والمساعدة التي تلقوها بتونس.

لقد بدأت حركة هجرة السكان الجزائريين باتجاه القطر التونسي منذ اندلاع الثورة التحريرية وتزايدت حركية نزوحهم مع اشتداد رقعة الحرب، إذ تعرض سكان الحدود الشرقية لمضايقات الجيوش الفرنسية وأعوانها وخاصة عندما شرعت فرنسا في إقامة خط مورييس المكهرب واتخاذ الإجراءات التعسفية لإنشاء المناطق المحرمة على مساحة واسعة داخل الحدود الجزائرية، فأصبحت قوافل اللاجئين تتدفق بأعداد كبيرة على تونس وقررت السلطات الفرنسية إجلاء كل سكان المنطقة بالقوة في محاولة منها لغلق الحدود وعزل الثورة الجزائرية بالداخل، وقامت القوات الفرنسية بمطاردة السكان وتقتيلهم وتدمير القرى والمدن.

وإحراق الأمّعة والمزارع، واضطرّ سكان هذه المناطق من الشيوخ والنساء والأطفال الفرار بأنفسهم<sup>(2)</sup> والدّجاء إلى تونس، وأقيمت لهم الملاجئ بالأراضي التونسية، ظلّوا يعانون فيها الجوع والعري والأمراض الفتاكة، وفي ظل هذه الظروف طرحت جبهة التحرير الوطني قضية اللاجئين الجزائريين الذين يتعرضون للمآسي الإنسانية، ووضعت كل إمكانياتها لمساعدة اللاجئين وإسعافهم قبل تصافر الجهود الدولية ووصول المساعدات، فقد كانت تونس حكومة وشعباً أولى الأطراف اهتماماً بقضية اللاجئين واحتضاناً لأعدادهم المتزايدة، وعلى الرغم من استقلالها الحديث وإمكاناتها الضعيفة، إلا أن المواقف السياسية والشعبية إزاء احتضان عشرات الآلاف من اللاجئين ودعمهم بأشكال مختلفة تؤكد للمباحث مدى الدور الاجتماعي النّفعال الذي قدّمته تونس في التكفل باللاجئين الجزائريين.

تجدّد صلات التّأخي والتّآزر بين التونسيين والجزائريين في القدم وخلال الفترة الاستعمارية استوطنت جالية جزائرية معتبرة تونس، كما أن الصّلات الاجتماعية كانت تشدّ سكان الحدود الجزائرية الشرقية بإخوانهم التونسيين<sup>(3)</sup>.

و منذ اندلاع الثورة الجزائرية استقبل لجوء الجزائريين باستقبال شعبي تلقائي ودون ترقب لقرار سياسي، إذ استقبلت تونس أوائل اللاجئين منذ سنة 1955 عندما غادر العديد من العائلات التي رفضت التعامل مع السلطات الفرنسية خاصة من مدن الشرق الجزائري واستقرت بالمدن التونسية، كما ترك الكثير من سكان المناطق الحدودية أوطانهم ونجّأوا إلى تونس إثر توسع رقعة الحرب إلى هذه المناطق وقيام القوات الفرنسية بعمليات التمشيط والتهديد لسكان الأرياف العزل، ولم يخلق هؤلاء مشاكل للمنظمات التونسية لأنهم جلبوا معهم قطعاتهم ومتاعهم لتوفير الأموال<sup>(4)</sup>، واستقروا بنواحي غار الدماء وطريقة كما توجهوا إلى بواحي الجنوب الشرقي باتجاه سببلة وتزايدت أعدادهم خلال النّصف الثاني من سنة 1956<sup>(5)</sup>.

و أدركت الحكومة التونسية الفتيّة مدى خطورة هذا التّزيف السكاني الذي تسببه حزب الجزائر وبذلت جهوداً كبيراً لاستقبال جموع اللاجئين وقدمت لهم الإسعافات الأولية، وبحكم خطورة الأوضاع التي يعيشونها بادرت تونس من خلال وفدها لدى هيئة الأمم المتحدة بتقديم تقرير مفصل عن أوضاع اللاجئين الجزائريين وما يعانون من مصاعب جراء السياسة الفرنسية، كما ندد الرئيس الحبيب بورقيبة بالمخاطر التي يتعرض لها الشعب الجزائري، ووجه انتقاده للضمير العالمي الذي لا يلتفت لما تقوم به فرنسا بالجزائر من أعمال تنافي ومبادئ هيئة الأمم المتحدة<sup>(6)</sup>.

وعلى الرغم من أن تونس عرضت قضية اللاجئين كمشكل سياسي وفي ذلك تأكيد لوجهة نظر جبهة التحرير الوطني<sup>(7)</sup> إلا أن المنظمات الدولية ظلت عازلة عن قضية اللاجئين الجزائريين، وقد بدأت مساعدات هيئة الصليب الأحمر الدولي بشكل محدود.

في نهاية ماي 1957 وحتى شهر سبتمبر 1957 بدأت القوات الفرنسية مشروعها لتطهير منطقة الحدود الشرقية الجزائرية تمهيدا لإقامة الأسلاك الشائكة (خط موريس)، وأصبح سكان هذه المنطقة من القالة شمالا وحتى الصحراء جنوبا مهددين بالمطاردة والقتل، إذ استعملت القوات الفرنسية المدافع والطائرات لتهاجم القرى وحرق المزارع واضطر آلاف الجزائريين من الشيوخ والأطفال والنساء لفرار بحياتهم بعد أن فقدوا كل شيء، وفي هذه المرة كانت مأساة اللاجئين الذين ترلوا بتونس كبيرة، إذ وصلوا بأعداد ضخمة وهم منهكون، وفقراء معدومون من كل ضروريات العيش<sup>(8)</sup>، وبذلت الحكومة التونسية والملال الأحمر التونسي بالتعاون مع مصلحة الشؤون الاجتماعية لجهة التحرير الوطني، قصارى الجهود لإسعاف المنكوبين وإيواء المتشردين، فأقيمت لهم المراكز على طول الحدود التونسية، وكانت أوضاع اللاجئين جد صعبة من حيث الإيواء والأغذية والعلاج لأن الإمكانيات اخلية لتونس ولجهة التحرير الوطني كانت ضعيفة، ولم يكن من السهل استقبال مثل هذه الأعداد الكبيرة من اللاجئين في وقت قصير<sup>(9)</sup>.

من هنا فقد تحمست الحكومة التونسية عبء العناية هؤلاء المتشردين باعتبار أن ذلك يعد واحبا إنسانيا وأخويا، وسعت للتعريف بمأساتهم أمام الرأي العام الدولي، إذ قامت كتابة الدولة التونسية للأخبار باستضافة جموع من الصحفيين الأجانب ودعتهم للإطلاع بأنفسهم على أوضاع اللاجئين المأساوية ومعاينة مدى اتساع هجرة الجزائريين أمام الضغط والعدوان الاستعماري المتوالي على القرى والمدن والجزائرية<sup>(10)</sup>.

وسعت الحكومة التونسية من خلال انصالتها الدولية من أجل طرح قضية اللاجئين الجزائريين في هيئة الأمم المتحدة، إذ اتصل المنجي سليم ممثل تونس لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة بالسيد محمد يزيد مندوب جبهة التحرير الوطني، ثم تقابلا مع الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة وأجرىا معه محادثة تناولت مسألة إعانة اللاجئين الجزائريين، وأعلن إثرها المنجي سليم : " أن تونس قدوت الاستعانة بالمندوب السامي للاجئين لتسوية مشكلة اللاجئين الجزائريين في تونس " <sup>(11)</sup>.

كما ضاعف الملال الأحمر التونسي جهوده لتقديم الإعانات الضرورية للاجئين إذ قام رفقة الجمعيات والمنظمات الوطنية بحملة توعيبية ونظم عدة اكتتابات لجمع التبرعات، واستطاع حث هيئة الصليب الأحمر الدولي لتقوم بتقديم مساعداتها الإنسانية للاجئين وكسب التعاون معها لتقديم المساعدات وتوزيعها بواسطة فروعه المختلفة، لكنها كانت مساعدات محدودة لا تسد حاجيات اللاجئين الجزائريين ومن أجل الرفع من مستوى هذه المساعدات كان المسؤولون التونسيون ينتهزون كل الفرص لإقناع هيئة الصليب الأحمر الدولي بتقديم مساعدات منتظمة تسد حاجيات اللاجئين الجزائريين، وفي هذا الإطار أصيب الكاتب العام لوزارة الخارجية حميس الخجري عندما كان يقوم بمهمة استطلاعية في أوساط اللاجئين

منطقة عين دراهم قبل سفره إلى جنيف لإطلاق الدوائر الأهمية بوضعية اللاجئين بحروج يوم 28 ماي 1957 إثر اشتباك مع القوات الفرنسية أدت إلى وفاته<sup>(12)</sup>.

و ازدادت أفواج اللاجئين تدفقا خلال السنداسي الثاني من سنة 1957، وتشير الإحصائيات المختلفة إلى ضخامة أعدادهم، إذ قدرت لجنة التنسيق والتنفيذ أعدادهم بـ 100 ألف لاجئ جزائري في تونس حتى أكتوبر 1957، لكن المصادر التونسية تقلل من هذا الرقم، إذ قدرهم الهلال الأحمر التونسي بـ 85 ألف<sup>(13)</sup>، غير أن المنفق عليه هو أن جميع الجهود التي تبذلها الهيئات التونسية والجزائرية ليس بإمكانها سد حاجيات اللاجئين.

إن الهلال الأحمر التونسي الذي اشتهر منذ مارس 1957 دوليا بتبنيه لقضية اللاجئين الجزائريين كان دائما يستنجد بالمساعدات الدولية، ويستصرخ هيئات الإغاثة الدولية للإمراع بتقديم الإعانات الإنسانية، وعندما كان الهلال الأحمر الجزائري لم يحقق بعد الاعتراف الدولي كان الهلال الأحمر التونسي يقف إلى جانبه بالتشجيع المادي والمعنوي، وكان خير ممثل لمطلب مساعدة اللاجئين الجزائريين خلال الندوة العالمية للصليب والهلال الأحمر بنيودلبي من 24 أكتوبر إلى 7 نوفمبر 1957، إذ تبني المؤتمر المطلب التونسي الذي حاز على إجماع الدورة العامة، وقررت الندوة ضرورة خلق مجهود دولي لتقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الجزائريين، وهذا القرار كرس تضامنا دوليا مع اللاجئين الجزائريين<sup>(14)</sup>، إذ بدأت المساعدات الدولية تفد إلى تونس، وكان الهلال الأحمر التونسي يحضي بتعاون محكم مع هيئة الصليب الأحمر الدولي، إذ تقدم هذه الأخيرة المساعدات باعتباره عضوا فيها فيقوم بتوزيعها على 37 مركز للاجئين موزعة على القطر التونسي الشقيق<sup>(15)</sup>، وكان يستقبل المساعدات التي تقدم بها الدول المتضامنة مع الجزائر، ويشرف على توزيعها بنفسه إذ أن الحكومة التونسية قررت التكفل والإشراف على حملة التضامن والمساعدات الدولية بواسطة الهلال الأحمر التونسي وكانت تصر على أن تسلم معونة الدول له ولا تسمح إلا هيئة الصليب الأحمر بالتوزيع بينما مساعدات الدول الأخرى كان يجب تسليمها إلى السلطات التونسية باعتبارها الواسطة في التوزيع والتعامل مع اللاجئين، لذا رفضت السلطات التونسية لعناصر الهلال الأحمر أنصهري وبعثته الطبية الدخول إلى التراب التونسي<sup>(16)</sup>.

و في بداية سنة 1958 شنت القوات الفرنسية بالجزائر حملات مطاردة وهجوم على ملاجئ الجزائريين والمناطق الحدودية التونسية بحجة تتبع الثوار الجزائريين وإرجاع اللاجئين إلى وطنهم، وقد ذهب ضحيتها عشرات القتلى من الجزائريين والتونسيين، كما ازدادت عمليات اجتياح وتدمير القرى والمدن بالحدود الجزائرية خاصة بعد حادثة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958 وما تلاها من إجراءات فرنسية وقرار إنشاء المناطق المحرمة على الحدود الجزائرية التونسية<sup>(17)</sup>، وأخذت قوافل اللاجئين تتدفق على تونس هروبا من المطاردة واستقرت بها أعداد كبيرة من سكان المناطق الواقعة على الشريط الحدودي

الجزائري خاصة سكان الدواوير والدير والكويف ومرسد وبكارية والماء الأبيض، وبحيرة الأرنب، وتازينت وغيرها<sup>(18)</sup>، وكان اتحاد سكان هذه المناطق إلى أقرب نقطة في البلاد التونسية وهي القصيرين وثالة وعين بودة، أما منطقة سبيطة فأوت ما يقرب من 1600 لاجئ تضاف إلى 7000 لاجئ موجودين بها من قبل، وقد قامت الحكومة التونسية بجمع بعضهم في مخيم "عين حمورة" ووزعت الخيام لإيواء اللاجئين، كما أرسل الحلال الأحمر التونسي الإسعافات الأولية لهم<sup>(19)</sup>.

إن اشتداد الممارك ومحلات الطرد جعلت أعداد اللاجئين الجزائريين إلى تونس تتصاعم، ولم تستطع الهيئات والمنظمات القائمة على شؤون اللاجئين إعطاء أرقام مضبوطة عن أعداد اللاجئين، فقدرت جهة التحرير الوطني أعدادهم في أكتوبر 1957 بـ 100 ألف لاجئ تونس، في حين أن الحكومة التونسية لم تستطع إعطاء إحصائيات دقيقة بسبب توزع اللاجئين وتنفقهم داخل القطر التونسي، وحسب مصادرها فإن عدد اللاجئين في الفترة ذاتها 85 ألف لاجئ، وهو ما خلق صعوبات في توزيع المساعدات التي كانت مقدرة حسب الأرقام المقدمة من الحكومة التونسية<sup>(20)</sup>، ومعطيات الجدول التالي توضح تباين التقديرات<sup>(21)</sup>.

المنطقة	عدد اللاجئين	المنطقة	عدد اللاجئين
قفصة	9014	مترل بورقية	83
توزر	2450	باجة	490
سبيطة	25368	سوسة	387
سوق الأربعاء	40323	صفاقس	200
الكاف	49449	بئر تورت	282
تونس	2541	زغوان	220
نالوت	33	مدنين	60
المجموع / 130000 شخصا			

#### جدول يبين توزع اللاجئين الجزائريين بالولايات التونسية (أكتوبر 1958).

إن اللاجئين الجزائريين بتونس وعلى الرغم من المساعدات الدولية المقدمة والجهود المبذولة من الحكومة التونسية وجهة التحرير الوطني إلا أنهم ظلوا مشردين في الملاجئ، يعيشون ظروفًا صعبة تحت الخيام أو في أكواخ بسيطة ومع السكان المحليين بالمناطق الحدودية، إذ مثل تضامن سكان هذه المناطق تكافلا اجتماعيا واسعا، فقد ظلوا يقتسمون لقمة العيش مع إخوانهم الجزائريين<sup>(22)</sup>، ولكن وعلى الرغم من

الجهود المحلية والدولية المبذولة لإغاثة اللاجئين إلا أن وجود ما يقرب 150 ألف لاجئ جزائري منهم من الشيوخ والنساء والأطفال في بلد صغير وفقير مثل تونس شكل عبئا على الحكومة التونسية<sup>(2)</sup>.

حيث كان اللاجئين الجزائريين يختارون أول عطاياهم المراكز الحضرية القريبة من الحدود الجزائرية حتى يسهل عليهم إدخال بعض مواشيهم وامتعتهم مثل: القصيرين وثالة وفريان وعين بودة.

وكانت سيطرة وحدها قد استقبلت 1600 لاجئ في هذه الموجهات الأخيرة من اللجوء الجزائري إلى تونس، علاوة على 7000 نسمة كانت موجودة بها من قبل وفي هذه الأخيرة قامت الحكومة التونسية بمسح بعضهم في غيم "عين حمزة"، ووزعت عليهم الخيام للإسكان وقامت لهم مساعدات غذائية وثألية كالأغطية والأفرشة ونحو ذلك بواسطة اذلال الأحمر التونسي<sup>1</sup>.

ولعل ما أوجد صعوبات حمة أمام الحكومة التونسية لتوزيع المعونات على هؤلاء اللاجئين هو تنقلهم بشكل واسع في مختلف البلاد التونسية كما سلف الذكر - وعدم القدرة على وضع إحصاء دقيق لإعدادهم الكثيرة، وما بذل على ذلك هو التعارض الموجود بين إحصاء جبهة التحرير الوطني وإحصاء الحكومة التونسية في سنة 1957، فبينما تذكر إحصاءات جبهة التحرير الوطني 100 مائة ألف لاجئ تشير الحكومة التونسية إلى 85000 شخص فقط - كما سلف الذكر - والجدول الآتي يبين هذا التناقض بين الإحصاء الجزائري والإحصاء التونسي.

إحصاءات جزائرية		إحصاءات تونسية	
الفترة	العدد	الفترة	العدد
أكتوبر 1957	97000	جوان 1957	60.000
جانفي 1958	100000	أكتوبر 1957	85.000
أكتوبر 1958	120.000	أكتوبر 1958	110.000
جانفي 1959	125.000	أكتوبر 1958	150.000
سبتمبر 1959	130.000		
أكتوبر 1959	150.000		

من خلال هذا الجدول المقارن يتضح للباحث أن سنة 1959 قد تطابقت فيها الإحصاءات الجزائرية مع إحصاءات الحكومة التونسية، وهذا بفضل التنسيق والتعاون الذي مكن من ضبط عدد اللاجئين المتواجدين في تونس.

<sup>1</sup> المجاهد العدد 19 (01 مارس 1958) ص 10.

والحق أن صعوبات توزيع المساعدات على اللاجئين الجزائريين لم تكن محصورة في اختلاف الإحصاءات وعدم دقتها بين السطتين: جهة التحرير الوطني والحكومة التونسية وإنما كانت هناك عقبات أخرى أمام مصدحة اللاجئين لجهة التحرير الوطني ناتجة عن احتكار الضلال الأحمر التونسي لتوزيع المساعدات الدولية، مما قلل من أهمية التوزيع وشموليته لكل المراكز السكانية للاجئين.

وكنتيجة مباشرة لهذه المعوقات سعت مصدحة اللاجئين لجهة التحرير الوطني إلى الحصول على إحصاءات دقيقة حسب التقسيمات الإدارية للقطر التونسي، وقدمت أرقاماً تكاد تكون دقيقة هؤلاء اللاجئين الذين قدرتهم بـ 130,000 ألف لاجئ في شهر أكتوبر 1959م، مورعين على المراكز الموجودة<sup>1</sup>.

وأمام هذه الظروف الصعبة التي كان يعيشها اللاجئون بتونس سعت الحكومة التونسية وجهة التحرير الوطني لمناشدة المحافظة السامية للاجئين لجهة الأمم المتحدة بالتدخل السريع لتقديم مساعداتها وخدمات وصول المساعدات الإنسانية بالنظام، وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة في 6 نوفمبر 1958 مشروع قرار تقدم به المنجي سليم والفيلالي ممثلًا تونس والمغرب يتضمن حث المندوب السامي لشؤون اللاجئين على الإسراع بمساعدة اللاجئين الجزائريين بكيفية ناجحة<sup>(24)</sup>.

وقامت الدبلوماسية التونسية بإجراءات ومسايع حادة لحث المنظمات والجمعيات الخيرية على مساعدة اللاجئين الجزائريين، ويذكر ممثل الضلال الأحمر الجزائري بنحيف بن تامي أنه اجتمع بالسفير التونسي بيون فأبدى له قبوله لتقييم بالوساطة ونقل اشتغالات الضلال الأحمر الجزائري إلى المحافظة السامية للاجئين، وبلغ للهيئة المذكورة رسالة من الضلال الأحمر الجزائري أثناء مناقشات هيئتها التنفيذية لقضية اللاجئين الجزائريين يوم 29 جانفي 1959<sup>(25)</sup>.

إن المساعي الدولية المتعددة كللت بتدخل المحافظة السامية للاجئين لتقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الجزائريين؛ كما قدمت العديد من المنظمات الدولية والحكومات مساعداتها المادية وحسب الإحصائيات الرسمية للمحافظة السامية للاجئين فقد زود اللاجئون الجزائريون خلال الفترة بين 1959 و1962 بما قيمته 22 مليون دولار أمريكي<sup>(26)</sup>.

وقد قامت المنظمات الإنسانية بتقديم مساعداتها للاجئين الجزائريين بتونس خاصة منذ أن بادرت جهة التحرير الوطني إلى إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والأجانب فوق التراب التونسي، إذ كان لهذه المبادرة الإنسانية تشجيعاً كبيراً من الحكومة التونسية ووجدت صداها لدى المنظمات الإنسانية الدولية،

<sup>1</sup> وثيقة مرقونة بتاريخ 14 نوفمبر 1959، لجهة اللاجئين لجهة التحرير الوطني بتونس مؤرخة في 10 أكتوبر 1958.



وأصبحت هيئة الصليب الأحمر الدولي تتقرب أكثر فأكثر من الحلال الأحمر الجزائري في تنسيق العمل لإطلاق الأسرى ومضاعفة المساعدات الإنسانية<sup>(26)</sup>.

إن الدعم الاجتماعي للاجئين بتونس توسعت مبادئه طوال سنين الثورة التحريرية، ولم يكن مقتصرًا على استضافة اللاجئين وإسعافهم، بل امتد إلى تحسين ظروف معيشتهم والسماح لهم بإقامة مصالحهم الاجتماعية وتنشيط شبكة اتصالاتهم بكل حرية، حيث ظلت المدارس والمستشفيات التونسية بالقرب من الحدود تقدم خدماتها للجزائريين.

و قد ساهمت المنظمات الوطنية والشعبية إلى جانب هذا الدعم الحكومي فقادت المنظمات العمالية والطلابية والنسوية أشكالًا مختلفة من الدعم للاجئين الجزائريين، وعلى الرغم من أن القسطنطيني الأكبر من مساعداتها كان يقدم لها كإهداء من المنظمات الدولية فإن دورها الواسطي كان جد فعال في حيث المنظمات الخيرية على جمع المساعدات للاجئين.

و قد جددت الحكومة التونسية موقفها من قضية اللاجئين الجزائريين باعتبار أنها مشكلة سياسية لا تعالج إلا بحصول الجزائر على استقلالها وعودة اللاجئين إلى بلادهم، وفي هذا الإطار كانت الحكومة التونسية تندد باستمرار يتواصل الحرب وتجاهل الطرف الفرنسي لعواقب المشكلة الجزائرية التي خلفت أكثر من 150 ألف لاجئ بتونس، وقد رد المصمودي كاتب الدولة للأخبار على البلاغ الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في جوان 1959، والذي يعتبر اللاجئين رعايا فرنسيين متجاهلا وجود الكيان الجزائري بقوله: " إن هذا البلاغ يتجاهل جوهر المشكلة الجزائرية وإذا كان الجزائريون قد لجأوا إلى تونس إثر قيام حرب ومشاكل سياسية فالواجب يدعو إلى التفاوض مع المسلمين الجزائريين لإرضاء مطالبهم الجزائريين الشرعية والسماح لهم بعودة حقيقية إلى أوطانهم<sup>(27)</sup>."

وهذا الموقف المؤيد لاستقلال الجزائر والداعي إلى إيجاد تسوية عادلة لقضية الشعب الجزائري أكد تواصل جهود الحكومة التونسية والحلال الأحمر التونسي لإعانة اللاجئين الجزائريين، والتكفل لهم اجتماعيا بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية لثورة الجزائرية، وعشية توقيف إطلاق النار في مارس 1962 ساهمت الحكومة التونسية والحلال الأحمر التونسي في الإشراف على عودة الجزائريين إلى بلادهم، وقد أثّرت بحدة مشكلة صرف أموال العائدين إلى الجزائر، إذ أن تحويل أموال الجزائريين بأعدادهم الضخمة دفعة واحدة من الدينار التونسي إلى الفرنك الفرنسي بسبب اضطرابا للوضع المالي والاقتصادي بتونس، وانفضت الحكومة التونسية مع الحكومة الجزائرية المؤقتة على تخصيص مبلغ خمسمائة ألف فرنك كدبيل بوضع تحت تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة من أجل تسهيل عودة اللاجئين، لكن هذا المبلغ لم يكن كافيا فتدخلت الحكومة التونسية لدى الجامعة العربية وطلبت مساهمة الدول العربية لحل المشكلة التي تستلزم وضع مبلغ ثلاث

ملايين فرنك تحت تصرف البنوك التونسية، وقد استجابت دولة الكويت وتم تسيير عملية الصرف وتسهيل عودة الجزائريين إلى بلادهم<sup>(28)</sup>.

هذا وقد ظل الرئيس الحبيب بورقيبة منذ حصول تونس على استقلالها سنة 1956 يؤيد الثورة الجزائرية وينتقد الحكومة الفرنسية على سياسة العصا الغليظة التي اتبعتها مع السكان المدنيين الجزائريين في عمالة قسنطينة بوجه الخصوص، وهي العمالة المتأهلة للحدود التونسية الغربية.

نعم لقد تحمل الشعب التونسي قبل الحكومة الأعباء الجسيمة في استقبال اللاجئين الجزائريين، ولكن الموقف الرسمي للرئيس بورقيبة قد أعطى الدعم الجماهيري بعدا عميقا في العلاقات الجزائرية التونسية. ومن المواقف المتعددة التي وقفها بورقيبة مع الثورة الجزائرية عامة ومع اللاجئين الجزائريين خاصة النداء الذي وجهه إلى الضمير العالمي يوم العشرين من شهر فبراير 1958<sup>1</sup> أي بعد حادثة سابقة سيدي يوسف الأليمة بأثني عشر يوما فقط والتي احتلظت فيها دماء الجزائريين بدماء التونسيين على تربة واحدة. قال بورقيبة: "إن قرار مجلس الوزراء الفرنسيين يعرف أكثر من ذي قبل بنوايا فرنسا وهي رغم وضعها لخط موريس - لم تتجاسر على الجاهرة والإشهار مثل اليوم لأن الأمر لا يرفع من سمعتها وشرفها وفخرها"<sup>2</sup>.

وعاد الرئيس بورقيبة إلى التاريخ فذكر بما اقترفته موسوليني لما طرد أهالي ليبيا إلى الصحراء عند مقاومته لجماعة عمر المختار.

كما ذكر أيضا بما اقترفته الشيوعية السوفياتية لما احتلت لتوانيا وأستونيا في البلطيق قبل الحرب العالمية الثانية — ورمت بغير الروسيين من سكانها إلى سيبيريا فماتوا بردا.

ثم انتقل إلى إحياء عن موقف الإنسانية من الحادث، فعبّر عن اعتقاده بأن رئيس الجمهورية الفرنسية لا بد أن يتأثر لو تصور مغبة قرار الحكومة الفرنسية مثل: تأثيره بواقعة ملوذة<sup>3</sup>.

والحق أن بورقيبة في هذا البيان كان يريد تقديم مقاربات تاريخية للحكومة الفرنسية لكي تعتبر من تلك النماذج التاريخية والتي فشل فيها كل الدين قاموا بارتكاب هذه الجرائم الإنسانية في إفريقيا وفي أوروبا الشرقية.

وقد استشهد الرئيس بورقيبة في بيانه إلى الرأي العام العالمي بما كتبه صحافي فرنسي حول كبح عدد سكان دواوير من شمال مقاطعة قسنطينة: "مائة وثمانون ألف نسمة وقع إجلالهم من الدواوير في شمال

<sup>1</sup> - "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية لسان الحزب الدستوري الحر، العدد 731، 20 فيفري 1958، ص 1.

<sup>2</sup> - بورقيبة "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية، المرجع السابق ص 01.

<sup>3</sup> - "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية، المرجع السابق، ص 1.

مقاطعة قسنطينة وجمعوا حول المراكز العسكرية الفرنسية وسبعون ألف نسمة أخرى من المتوقع إخراجهم من نفس المنطقة، والمنطقة تمسح مسحاً والأرض تحرق حرقاً، وكل هذا يرمي إلى إرضاخ شعب أبي الهيمنة الفرنسية بل ابتلاعه وإدماجه قهراً في جمهورية فرنسا أو إلى الحكم عليه بالقضاء<sup>1</sup>.

ويواصل بورقيبة نقده للمسؤولين الفرنسيين على حريهم وراء القوة والعظمة واستخدام العضلات وتشريد شعب أعزل من السلاح لا ذنب له سوى أنه يطالب بالحرية والاعتناق من ربة عبودية الخشتين الذين استعمروا أرضه واستبعدوا شعبه وهم يريدون دمجه قهراً في كيان أمة غريبة عنه.

وقد بحث الرئيس بورقيبة "عن السبب الذي دفع فرنسا إلى هذا فينسيه إلى اختفاء المسؤولين الفرنسيين في قوة الحديد والنار وإحاجهم في الحرب بالرغم من خيبتهم إلى حد الآن وبالرغم من نصيحة حلفائهم وأصدقائهم وما بذلته تونس من المساعي في هذا السبيل، ونتيجة العناد الفرنسي يحددها بورقيبة " هناك ما بين المغرب وتونس منطقة تسمى الجزائر فيها عشرة ملايين من البشر هم في قبضة حيوانات كاسرة، لا رحمة فيها ولا شفقة، ويقع وسط هذا العالم، لا في أطراف منه، بل في منطقة لا تبعه من عشرين فرنسا بأكثر من ساعة ونصف ومن إيطاليا بساعتين، وكذلك إسبانيا... في هذه المنطقة عشرة ملايين مهددين بالقضاء بجميع وسائل الإرهاب حتى يصبحوا فرنسيين، إن هذه الحالة خطيرة، وإذا لم تعالج قبل فوات الأوان نكون النتيجة أن نذهب جميعاً إلى البحر ...<sup>2</sup>.

والحق أن بورقيبة قد وجد فسحة دولية بعد الهجوم الفرنسي على الساقية، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي شاركت بعض طائراتها الحربية مع الطيران الفرنسي في قذف الساقية.

وقد وضع وزير خارجيتها المساعد "داللي" قائلا: "إنني اجزم بأننا سنبدل كل مجهود لتحقيق من عدم استعمال سلاحنا كما وقع في قذف الساقية ....".

وقد اغتبر بورقيبة تصريح وزير الخارجية المساعد بداية ليقظة عالمية الجهاد القضية الجزائرية فقال: "ربما كانت القضية الجزائرية مرحلة في سبيل الحل المنشود، ومن الممكن أن يأتي الحل عن المساعي الحميدة، خصوصا وقد قبلت فرنسا تشكيل لجنة فرنسية تونسية يرأسها محاميد لمراقبة الحدود، فلمماذا لا تتسع شمولاًها إلى النظر في نفس المشكل الجزائري، وتبحث له عن حل وبذلك تحل جميع المشاكل المتفرعة عنها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جريدة العمل الأسبوعية: الرئيس بورقيبة يندد بحرب الإبادة في الجزائر ويوجه نداء إلى الصمير العالمي، العدد 731، 20

فيفري 1958، ص 1.

<sup>2</sup> المكان نفسه.

أشكال الدعم والمساعدات الاجتماعية التي قدمتها تونس لموازنة اللاجئين الجزائريين والتكفل بهم تعد خدمات تضامنية هامة تؤكد على مدى التزام تونس بنأدية دورها الكامل تجاه ضحايا المشكلة الجزائرية، إذ أولت فوق ترانها ما يقارب 150 ألف جزائري من اللاجئين والمهاجرين القادمين من فرنسا والعاهزين الذين استقروا بتونس، على الرغم من ما كان يحدث من خلافات وصعوبات بين أطراف جزائرية وأخرى تونسية فإنها كانت ظرفية بسبب وجود تلك الأعداد المعتبرة من الجالية الجزائرية.

ويمكن القول أن تونس استقبلت اللاجئين وأوفهم بكثير من الرعاية والترحاب، ولمسقت المهام الإنسانية لإسعافهم والمساعدى الدبلوماسية لنصرة قضيتهم كما طرحت قضيتهم بعدد سياسي دفاعا عن قضية الجزائر واستقلالها.

### المبحث الثالث/ تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية 1957-1962:

منذ إنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958 شكلت وزارة الشؤون الاجتماعية لتتكفل بجميع المهام والشؤون الاجتماعية الحيوية للمجتمع الجزائري، خاصة اللاجئين إلى البلدان المجاورة كتونس والمغرب وليبيا والذين يمثلون جالية هامة بالخارج فها مؤسساتها الاجتماعية والصحية والتعليمية، كما تشرف الوزارة على المنظمات الاجتماعية المختلفة كالاتحاد العام للعمال الجزائريين، والاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين والاتحاد العام للصناعة والتجارة، والحلال الأحمر الجزائري، والاتحاد العام للنساء الجزائريات، وغيرها من الهيئات الشبابية والثقافية والرياضية<sup>1</sup>، وعملت الوزارة على تفعيل النشاطات الاجتماعية لهذه المنظمات والهيئات الوطنية؛ وذلك بتنظيمها وتشجيعها وتنسيق مهامها حتى تنهض بنأدية دورها على أحسن ما يرام وتساير ظروف الكفاح الوطني، وقد قامت هذه المنظمات بدور هام في الكفاح التحرري كما ساهمت في بناء نواة الدولة الجزائرية وتأطير الجماهير الثورية.

واهتمت وزارة الشؤون الاجتماعية بتنظيم المصالح الاجتماعية للجزائريين المتواجدين بتونس فمن حيث الإيواء نظمت الملاجئ وأقامت القرى، وفي الميدان الصحي أنشأت المستشفيات والمراكز الصحية ودعمت نشاط الحلال الأحمر الجزائري<sup>2</sup>، واعتمدت بميدان التأطير الاجتماعي الذي لمحض به المحافظون السياسيون والمرشدون الاجتماعيون من خلال اللقاءات والندروس والخطب، وفي الميدان التعليمي والثقافي تركزت الجهود على إنشاء المدارس ووضع البرامج التعليمية والاهتمام بالطلبة، كما اهتمت الوزارة بهيئة المجتمع اعتمادا على قدرات عناصره الفعالة كالمرأة والشبيبة.

<sup>1</sup> - انظر تفصيل اقضية وجهود أحمد المسنيري سفير تونس بالقاهرة للحصول على القرض المالي من دولة الكويت، بلادي أحمد توفيق: حياة كفاح، ج3، ص 568 وما بعدها.

<sup>2</sup> - انظر الاتحاد: العدد 54 (1 نوفمبر 1959)، ص8.

وبذلك كانت المصالح الاجتماعية لوزارة بتونس تمثل شبكة هامة وحركية نشيطة، وتركز نشاط الوزارة وهيكلها بتونس منذ انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إليها، حيث كان الإشراف والتوجيه الاجتماعي للمصالح والتنظيمات يتم عن قرب، ووجدت الوزارة كافة الدعم لنشاطاتها بتونس فهي تتلقى تسهيلات إدارية وموازرة لنشاطاتها الاجتماعية من تونس<sup>1</sup>.

لقد لمحت وزارة الشؤون الاجتماعية بنشاطات وأعباء واسعة، ووجدت نفسها توظف جالية جزائرية معتبرة بتونس ليست من اللاجئين فقط بل كذلك المقيمين بها من قبل والعاشرين المستقرين للعلاج، والمحررين من المحتشدات، وأصبحت الوزارة تتبعها شبكة من المؤسسات والمصالح الاجتماعية والثقافية، وقد باشرت بنظرة مستقبلية في تنظيم أسس وهيكل المجتمع الجزائري لمرحلة ما بعد الاستقلال اعتمادا على التعليم وبناء الأسرة والتوعية الوطنية.

لقد سارعت قيادة الثورة التحريرية للاهتمام بالجالية الجزائرية بتونس وذلك من خلال توعيتها بفضايل بلادها وتنظيمها في الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تكفلت بتأطير وتنظيم أحوالها المدنية في سجلات خاصة كالولادات والوفيات والزواج...، واستطاعت جبهة التحرير الوطني بفضل التسهيلات المقدمة من سلطات الدولة التونسية التحكم في تأطير الجالية الجزائرية واللاجئين لكي تستفيد من خدماتهم، حيث "أن كل جزائري أو جزائرية كان يدخل إلى أرض تونس إلا يعد نظاما محكما بجهة التحرير الوطني بحيث يسلم في الحدود إلى جهة معينة ومختصة وهي تعين له المهمة التي يمارسها"<sup>2</sup>، فإذا كان متاضلا سياسيا تؤمن له حق اللجوء، وإذا كان طيبا أو عابثا أو إداريا توفر له العمل بمصالحها أو مؤسسات تونس، وإذا كان تاجرا فيعين له المكان الذي يقيم فيه، وجميع هذه الفئات يدفعون الاشتراكات الواجبة ويكونون تحت الطلّيب في أي وقت، ويحضرّون باستمرار الاجتماعات، وكانت الجهة تراقبهم وأخصيهم في سجلات خاصة<sup>3</sup>.

لقد بدأت أوضاع اللاجئين تتحسن شيئا فشيئا منذ سنة 1958، وكانوا يخضعون لتنظيم اجتماعي منسق بين مصالح وهيئات اجتماعية لم تقتصر مهامها على إسعاف ما يقرب من 300 ألف لاجئ جزائري والعناية بهم بل امتدت إلى هيكلة وإقامة مجتمع اللاجئين كصورة مصغرة للمجتمع الجزائري الذي تأمله الثورة التحريرية حسب نظرتها للجزائر المستقلة، وللمح فيه عناية الثورة بالفئات الاجتماعية المختلفة للاجئين من أطفال ونساء وشيوخ، إذ لم تفكر إطلاقا أن هذه العناصر عالة عليها، بل كانت تنظر

<sup>1</sup> - وزارة الشؤون الاجتماعية كانت تشرف على قبول هذه المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والثقافية محبضت مثل النوادي أ.ج. منذ ديسمبر 1959 مسج 148 مليون فرنك شهريا، بنظر المجلد: العدد 58 (28 ديسمبر 1959)، ص 9.

<sup>2</sup> - الجليلي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، مرجع سابق، ج 1، ص 241.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج 3، ص 39.

بوجهة إستراتيجية للاستفادة من هذه الفئات، فهي قد صيغت جميع فئات الشعب في بوتقة واحدة، أساسها العدالة والتعاون والتآزر، والتفتت لأشبال اللاجئيين وهياكلهم ليكونوا جنودا يعتنون لتحرير وطنهم واهتمت بعنصر المرأة واستفادت منه كموجه اجتماعي للأسرة والمجتمع وكمناضل سياسي وعسكري.

إن عناية الثورة التحريرية باللاجئين نوجت للاهتمام بالآلاف الأطفال اللاجئيين المشردين؛ هؤلاء الضحايا المهددون بالأمراض والأمية وجدوا كامل العناية لرفع الأمية عنهم وإدماجهم في الحياة العادية واهتمت كذلك باليتامى من أبناء الشهداء فأنشأت لهم مراكز بتونس للتكفل بهم اجتماعيا<sup>1</sup> وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية تسهر على التوجيه والإرشاد الاجتماعي للأطفال اللاجئيين، وقد كوّنت في سنة 1960 هيئة مختصة بشؤون الطفولة سمّتها اللجنة الوطنية لنشبية وإنقاذ الطفولة<sup>2</sup>. كما اهتمت بإقامة مراكز التكوين المهني المتعددة الاختصاصات لتقوم بتوجيه الأطفال والشبان وتدريبهم على الحياة المهنية ليكونوا مؤهلين للمساهمة في بناء مستقبل بلادهم.

أما الاهتمام بالشباب فلقد لقي تشجيعا وعناية معينين نظرا لدورهم في الكفاح التحرري وبناء المجتمع، فاعتبرا عنصر هام وخزان بشري للكفاح المسلح، وقد عولت الثورة على سواعدهم ومعارفهم في بناء المستقبل، فكوتهم بالجامعات والمعاهد ومراكز التكوين المهني واهتمت بتأطيرهم في جمعيات ثقافية ورياضية وعملت على توعيتهم بالمبادئ الوطنية الثورية، وكانوا مندشرين في منظمة شبانية سياسية هي اتحاد الشباب الجزائري منذ سنة 1960م<sup>3</sup>، ورعت جبهة التحرير الوطني فئة العاجزين من شيوخ ومرضى ومعطوي الحرب فلقوا جميعهم كل الرعاية والاهتمام في مراكز خاصة للراحة والاستشفاء بتونس<sup>(\*)</sup>

أما المرأة فقد اعتبرت هي الأخرى العنصر الأساس لبناء صرح المجتمع فأستندت لها الثورة التحريرية مهام نضالية واجتماعية أدقا بشجاعة واقتدار، وتعددت مهامها في القواعد الخفية ومراكز اللاجئيين فهي إلى جانب رعايتها بالأسرة وإشرافها على رعاية الأطفال والعجزة بمخيمات اللاجئيين كانت تقوم بعلاج المرضى ونقاسم المساعدة والتوجيه الاجتماعي لرفع معنويات اللاجئيين<sup>(\*\*)</sup>، وقد أنشأت جبهة التحرير الوطني ورشات الخياطة ومراكز لغسل الملابس العسكرية سمّتها "ديار الصابون" كانت تجتمع بها النساء

<sup>1</sup> المكان نفسه.

<sup>2</sup> - ينظر الطفل الجزائري صحبة الاستعمار : الشباب، مصدر سابق، ص 10.

<sup>3</sup> - ينظر أمقران عبد الوهيد : المرجع السابق، ص 119.

<sup>(\*)</sup> شارك اتحاد الشباب الجزائري في العديد من المؤتمرات الدولية، ومنها منتدى الشباب الأفريقي المنعقد بتونس في أبريل 1960، وعبر خلاله عن دور الشباب الجزائري في تحرير بلاده وبناء مستقبلها، ينظر الجهاد : العدد 66 (18 أبريل 1960)، ص 5.

<sup>(\*\*)</sup> - أقرب عدة مراكز استشفائية لعناية هذه الفئات منها مراكز العساكن بتونس، ووحددة والسحيرات.

لتقيام بخياطة ملابس الجنود وغسلها باستمرار<sup>1</sup> كما حازت المرأة على تدريب عسكري ومجندت في صفوف جيش التحرير الوطني وتكونت في مجال التمريض، فكانت تخوض المعارك وتسعف الجرحى وتداوي المرضى من الجنود بالقواعد الخلفية، واستفادت الثورة التحريرية من خدمات المرأة في مختلف الشؤون الإدارية والاجتماعية والسياسية وحتى في ميدان الاتصالات العامة والتسليح<sup>2</sup>. وقد عبرت المرأة عن مستوى عال من النضال السياسي من خلال تنظيمها للحركة النسوية الجزائرية تنظيما سياسيا واجتماعيا شاملا، إذ أسست منظمة اتحاد النساء الجزائريات سنة 1958م بتونس، وقام هذا التنظيم بأعمال نضالية منها :

- 1- جمع التبرعات وربط الصلات وتسيق العمل مع المنظمات النسوية العالمية وخصوصا المغربية.
- 2- إرسال الوفود إلى العديد من بلدان العالم للتعريف بالقضية الجزائرية.
- 3- الاهتمام الاجتماعي بقضايا المرأة وأوضاع اللاجئتين الجزائريين في تونس والجزائر.
- 4- مشاركة اتحاد النساء الجزائريات في العديد من المؤتمرات الدولية، مساهمة في النضال السياسي دفاعا عن القضية الجزائرية، وهو ما جعل نساء العالم يعربن عن نصرتهن لكفاح الجزائر، وأبدت المنظمات العالمية للنساء تضامنها " لفائدة مئات الآلاف من اللاجئتين من النسوة والأطفال و الشيوخ الفارين من هول الحرب"<sup>3</sup>، وعاضدت منظمة اتحاد النساء الجزائريات من خلال مشاركتها في المؤتمر التأسيسي لاتحاد النساء الجزائريات المنعقد بتونس سنة 1960م<sup>4</sup>.

وهكذا فقد اهتمت الثورة الجزائرية بكل التنظيمات الوطنية التي كانت تتخذ من تونس قاعدة ذات، وساهمت في التعريف بالقضية الجزائرية إلى جانب مهامها الاجتماعية، إذ ساهم الطلبة والعمال والشباب والنساء كل في ميدانه القطاعي في الكفاح الاجتماعي، وفي الأخذ بيد اللاجئتين وتوجيههم بكل وعي لقضايا بلادهم وهويتهم بعزم كبير على بناء مستقبلهم بأنفسهم، وأولت الثورة الجزائرية اللاجئتين بالوعية الوطنية لرفع المستوى السياسي، وعينت في هذا الصدد اغاఫطين السياسيين والعلماء للتوجيه والإرشاد السياسي والديني والاجتماعي، فكانوا يناقشون معهم مختلف الجوانب المتصلة بكفاح الجزائر ومستقبل النضال الوطني، ويبرزون أسس وجواب الشخصية الوطنية، ويدعون إلى الوحدة والتآزر والتجديد الكامل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص 266.

<sup>2</sup> - ينظر شهادة المجاهدة بوجريو با : مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص 462.

<sup>3</sup> - انظر نفسه، ص 462-463 ويركزت أبحاثه : دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص 36.

<sup>4</sup> - ينظر مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، المرجع نفسه، ص 268.

<sup>5</sup> - انظر السابق، ص 272.

إن الجهود الاجتماعية والثقافية التي هضمت لها الهيئات الاجتماعية لجهة التحرير الوطني في تونس قد نشطت حركية وقاعدية تمتع اللاجئيين، وأصبحت تشعر بمختلف فئاتها أنها تعيش حياة النخوة والاعتزاز بوجود حكومة جزائرية مؤقتة ( دولة ) لها طاقاتها النضالية، والمصالح الاجتماعية التي تسهر على رعاية شؤونهم. ورغم أن اللاجئين كانوا يعيشون خارج وطنهم إلا أنهم لم يشعروا بأنهم غرباء في تونس، وكان أميلهم كبيرا في التصبر والعودة إلى الوطن، وقد استطاعوا بفضل الثورة التحريرية التي نمت فيهم هذا الأمل العيش في حياة اجتماعية يسودها التكافل والأخوة في قرى وملاجئ بنيت بسواعدهم؛ وترمز لمعالم المجتمع الجزائري الجديد، كما شيد جيش التحرير الوطني عدة فرى نموذجية وأسكن بها المواطنين الجزائريين الذين حررهم من مراكز الاحتجازات الفرنسية على الحدود منذ بداية سنة 1961م تعتبر قرية المجاهد بالحدود التونسية - الجزائرية مشروعا اجتماعيا ثوريا وتخطيطيا نموذجيا لمستقبل الجزائر المستقلة<sup>(\*)</sup>.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الثورة الجزائرية يبعدها الاجتماعي ونظرتها لمستقبل الأعداد الكبرى من اللاجئين المستقرين بتونس بادرت للعناية بمؤلاء الجزائريين واستفادت مما كان يقدمه الإخوة من دعم وتسهيلات، وقد أظهرت اللاجئين والجمالية الجزائرية في مؤسسات وهيئات اجتماعية واسعة وهي تشعر أنها تقيم دولة داخل دولة وتتهيا لإدخال مؤسساتها إلى داخل الوطن، وأشرفت على توجيههم للاستفادة من نجاحاتهم، وتفعيل النضال التحرري، ولقد أكدت الحكومة التونسية في ميدان التضامن الاجتماعي وقوفها إلى جانب قضية اللاجئين الجزائريين، ودعمها المستمر للتكفل بمجموع اللاجئين، ومؤازرة مختلف النشاطات والمؤسسات الاجتماعية لجهة التحرير الوطني التي استقرت بهذه البلاد قصد النهوض بمختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية للثورة الجزائرية.

وجملة القول أن دراستنا للعلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية أوضحت لنا أن المجتمع المغربي كان مجتمعا واحدا حتى في ظل الاحتلال الفرنسي يتعاطف أفراد مع بعضهم البعض في السرايا والقراء وحين اليأس، ولم يكن المرء يستطع أن يفترق بين تونسي وجزائري ونيجي ومغربي من خلال ما كان

(\*) يمكن أن نضرب مثلا يبرز أهمية هذا النشاط التعبوي إذ كان نعيم النعيمي يقوم بتنظيم ندوات وندوات مزارع تجمع الجزائريين بتونس فقدم محاضرة بمسرح السنما معاوية في تونس علق فيها موضوع معركة الجزائر مؤكدا على أنها معركة المغرب العربي الكبير وبيع عدد الحاضرين فيها 450 نواصيا و 50 جزائريا فضلا عن رئيس شرطة الناحية ورئيس فرع الحرب الدستوري. وهدم محاضرة أخرى بتاريخ 1959/07/21 في نفس الموضوع بسينما نيدال بباحة حضرها 120 تونسي و 355 جزائري، وألقي محاضرات أخرى في كل من نقرت، طبرقة، تونس، منزل نورقة، بنظر نسل : الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر. مرجع سابق، ص 159 - 160



يكتب في صحافة أي بلد من هذه البلدان، وبيان ذلك أننا عندما شرعنا في دراسة الصحافة التونسية من جرائد ومجلات لم نصدق في أحيان كثيرة بأنها صحف تونسية وليست جزائرية، لأن أصحاب المقالات كانوا يتفاعلون مع الأحداث والوقائع في الجزائر كما لو أنها وقعت في بلادهم .

# الفصل الخامس

## الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية

المبحث الأول : النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقاليم التونسية

المبحث الثاني : الأقاليم الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية

المبحث الثالث : دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية

المبحث الرابع : دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس

### الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية :

تعد العلاقات الثقافية بين الجزائريين والتونسيين من أقدم الروابط التي جمعت الشعبين في ظل حضارة واحدة على مر العصور، إذ لم نعرف في أية مرحلة تاريخية أن البلدين عاشا في ظل ثقافتين مختلفتين منذ عهد القوطاجيين إلى يومنا هذا، لاسيما الثقافة العربية الإسلامية التي ربطت شعوب المغرب برباط مقيم على مدى أربعة عشرة قرناً، ولكن ثورة الفاتح من نوفمبر الجزائرية قد وطدت هذه العلاقة الثقافية بشكل لم يسبق له مثيل حيث اختلطت الأقلام الجزائرية بالأقلام التونسية، وصار المثقفون يحملون هموماً واحدة لكلا البلدين، حتى أن المرء لم يكن في وسعه أن يفرق بين الكتابات الجزائرية والتونسية خلال الثورة الجزائرية، لأنها أصبحت تعبر عن انشغالات واحدة وأهداف مشتركة.

#### المبحث الأول : النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقلام التونسية .

لعل أهم موضوع شغل الأقلام التونسية، منذ بداية الخمسينات حتى استرجاع الاستقلال الوطني للجزائر سنة 1962م، هو الكتابة عن الحياة الثقافية في الجزائر قبل اهتمامها بالحياة السياسية التي جاءت مع اندلاع شرارة الفاتح من نوفمبر سنة 1954.

والمقتضف لصحافة التونسية يجد كتابا تونسيين وجزائريين تخصصوا في الكتابة عن الجزائر بشكل دائم ومستمر، كما نجد تراجم لكل الشخصيات التي برزت في الحقل الثقافي أوهي في طريق الظهور، لاسيما في مجالات الكتابة والتعليم والإصلاح والثقافة بصورة عامة: في الأدب في الفكر في اللغة، في التربية والتعليم والفلسفة، في التاريخ، في المسرح، في السينما، في الفس، وهو ذلك من موضوعات السباعية التي كانت تشغل أبناء الجيل الذي بدأ فكره يفتح وعبقريته تفتق في ظل الرخيم الكبر الذي عرفته الجزائر عقب الحرب النكوبة الأولى حتى اندلاع ثورة نوفمبر سنة 1954م.

ومن أهم الشخصيات التي برزت في الكتابة عن الجزائر: علي الجندي، الحبيب بن تاسي، ومحمد العيسوي الجمالي، أما الشخصيات الجزائرية الأولى التي اهتم بها هؤلاء الكتاب فهي الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الشير الإبراهيمي والسعيد الصاخي والسعيد الزاهري والمهدي السنوسي والعربي التسي، الأمين العمودي، الشيخ أبو القحطان، محمد العيد آل خليفة، مغدي زكريا، أحمد توفيق المدني، المهدي أبو عبد الله مفتي الأصنام، عبد الرحمن شيبان، الأخضر السائحي، عبد الوهاب بن منصور، أحمد رضا جوجو وأحمد سحنون، وشفي الدين باش تارزي، كنشوم الجزائرية المعروفة في مجال العمل السينمائي. وقد اهتم الكاتب "علي الجندي" بالنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها الجزائر بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي هذا السياق يقول الكاتب<sup>1</sup>: "تندرج الجزائر الشقيقة في

<sup>1</sup> - علي الجندي: عهد علمي جديد بالجزائر، جريدة الأندلس، العدد 5/316، 1953/01، ص3.

سلم المعرفة والسير في تخصصها العلمية التي أساسها عمل جبار ثقافي قام به ولا زال يقوم به أبناءها البررة وأساس هذا العمل الثقافي هو في ثلاث مراكز للتوجيه هي: دار الحديث بتمنسان والمعهد البياديسي بقسنطينة والكتبة الكتانية وبقيّة المدارس الخيرة الأخرى.

هذا زيادة عن انتشار مبدأ حفظ القرآن العظيم.... الذي كان منتشرًا في كل أنحاء القطر الجزائري المسلم، بل فقد أكد الكاتب على أن حرية تعلم القرآن في الجزائر أكثر منها في تونس ذاقها.

ويضيف الجندوبي قائلا: "... وكلما نزلت بلدة تعرفت فيها إلى فقهاء وأدباء وأهل دراية نادرة و انقطاع نحو العربية وآدابها، فلا زال الخير بهذا القطر ولا زالت العزة والكرامة والنبوغ وأهل الجزائر في عمالاتها الثلاث يجلبون أهل العلم والأدب وعلى الأخص أهل الجامعة الزيتونية وأدباء القطر التونسي...".

وينقل الكاتب من الحديث عن النهضة في الجزائر إلى الحديث عن أعلام وبواغ الجزائر ويبدأ حديثه بالأمير عبد القادر الجزائري فيقول: "الأمير عبد القادر هو رجل جمع بين العلم والأدب والصلاح الشرعي وهو المولود في دشرة بالقرب من معسكر بالجزائر تسمى "كثيرة كشم" وهي التي وضع له فيها تمثالًا آخرًا في مرتفع يشرف على قصره وبستانه الذي كان يعيش فيه، ولد سنة 1222 هجري وانتقل عند مفارقتها لجزائر إلى الأستانة والإسكندرية ومصر وكان حينما حل يدرس العلم.

وفي مصر أصدر كتابًا نادر المنال تحدث فيه عن قيمة العالم الذي يستحق هذا اللقب بمناسبة منحة لقب عالم جزائري وإهداءه جائزة نوبل<sup>(\*)</sup>. كما أتت عشرت علي كتاب به من الصحائف ما يزيد عن ثلاثمائة صفحة نثرا ونظما طبع بمصر عنوانه "نزهة الراغب لماثر الأمير عبد القادر" ومن هذا تبين لي أن الأمير عبد القادر هو رجل علم وأدب وقد نال خطوات عظمى بالشرق وعلى الأخص بالأستانة ومصر و دمشق التي مات بها سنة 1271 هجري<sup>(\*)</sup> كما حكى لي عالم جزائري وأنه أطلع على سفر خطي هو نسخة من "صحيح البخاري" ويحاول الكاتب في هذا المقال الذي نشره في جريدة الأسبوع يوم 5 كانون الثاني (جانفي) 1953 أن يلم ليس فقط بالأعلام الجزائرية، وإنما يرصد كل الحراك الثقافي في القطر الجزائري ويتتبع خطوات الحركة العلمية بشيء من التفصيل والدقة في تحديد الأماكن و الفضاءات التي يقصدها

(\*) ذكر مصطفى رأس الأمير عبد القادر في كتاب التاريخ باسم: القبطنة

(\*\*) يشير الكاتب هنا إلى حصول الأمير عبد القادر الجزائري على جائزة نوبل وهو خطأ تاريخي لم تذكره نسخة المراجع الذي ألفه ابنه الأمير عبد القادر كما أن الكاتب هنا يذكر الإسكندرية لإقامة الأمير، وقد زارها زيارة سريعة فقط سنة 1896م، ولم يذكر دمشق التي أقام فيها سبعة وعشرين عاما.

(\*\*\*) ولد الأمير عبد القادر بالقبطنة بالجزائر سنة 1808م، وتوفي بدمشق سنة 1883م، وهو تاريخ لا يتفق مع التاريخ الذي أشار إليه الكاتب.

تلاميذة الجمعية وتلاميذة الكلية الكتانية فندمعه يقول الحركة العلمية بالقطر الجزائري تسير في تودة وقد استبشر أهل مدينة قسنطينة لتحصيهم على الجامع الكبير، الذي كان مقتصر فيه على الصلاة فإذا به اليوم تنصب فيه حلقات التدريس للعلم ويصبح ذلك تحت طلبة وأساتذة المعهد الباديسي من الصباح إلى الزوال ثم من الزوال إلى الغروب طلبة وأساتذة الكلية الكتانية وقدم ثم هذا في شهر نوفمبر 1952م على إثر انتهاء أعمال اللجنة الزيتونية التي أوفدها بمشيخة الجامعة الزيتونية في دورة أكتوبر، لإجراء امتحانات شهادة الأهلية بالكلية الكتانية التي سنت هذه السنة الحسنة وكان الحاح في تلك الدورة ثلاث وعشرين طالبا هم الذين تحصلوا على الأهلية والتحق عدد منهم بتونس .

ولا شك وأن في العام الذي عندما يرشع أفراد اللجنة إلى قسنطينة ستجري امتحان الأهلية في كل من الكلية الكتانية والمعهد الباديسي معا لطلبة الجزائر وسنقام احتفالات مشتركة وتظهر النتيجة في يوم واحد. ويفت الكاتب هنيهة مع إعادة الود والعلاقات الطيبة بين جمعية العلماء والكلية الكتانية التابعة للزاوية الحلالوية رغم ما كان بينهما من حرب كلامية استمرت عقدين من الزمن فيقول "وقد علمنا أن لقاء مدير الكلية الكتانية عبد العالي الأخضر والعلامة الشيخ العربي التبسي مدير المعهد الباديسي يتم عن إحساس شريف وتقدير لكل من عمل لمائدة العلم، كما علمنا أن مدير الكلية الكتانية حل بتونس لانتقاء أستاذ الرياضيات وفعلا فقد رافقه الشاب "محمد طراد" من خريجي الجامعة الزيتونية ومن توفرت فيهم الشروط التي تطلبها الكلية وهي الحزم والمعرفة والإخلاص في العمل لمائدة نشر العلم."

وختم على الجندي مقالته حول الحركة العنسية في الجزائر بالتهاني والشكر والامتنان لأقطاب هذه الحركة في قسنطينة وهما: الشيخ العربي التبسي، والشيخ عبد العالي الأخضر قاتلا:

"ونحن ننت كل قائم بحركة علمية من إخواننا الجزائريين وفي المقدمة زمر البهاة والمعرفة والأخلاق الإسلامية: الشيخ العربي التبسي والشيخ عبد العالي الأخضر اللذان في عهدهما وقع الحصول على الجامع الكبير بمدينة قسنطينة الذي يرجع تأسيسه إلى القرن السابع الهجري الثاني عشر الميلادي وهو جامع ابن تشفين، ولا ننسى أعضاءهما من إخواننا الأساتذة من أبناء الجزائر الشقيقة ممن ازدهرت على يدهم الحركة العلمية" <sup>1</sup>.

ولم يفت الكاتب أن ينوه بالأدباء الجزائريين المبدعين الذين ملأوا الصحف والمجلات التونسية بالمنظوم والمثنوي قاتلا: "وهذه المناسبة نوجه تحيتنا لإخواننا أسرة الأدب والشعر وحاملي رايها على بعد الدار أمثال السادة النوايع الأفضاء الذين هم أركان الأدب في القطر الشقيق الجزائري الذي يحق للجزائر أن تشخر بهم بين أدباء العالم العربي وهم:

<sup>1</sup> - علي الجندي: المرجع السابق، ص 3.

" الشيخ محمد العيد آل خليفة"، الشيخ الهادي السنوسي، الشيخ السعيد الزاهري، الشيخ الأمين العسودي، الشيخ أحمد سحنون، الشيخ الأخضر السائحي، الشيخ عبد الوهاب بن منصور والأديب أحمد رضا جوجو، وغيرهم من الشباب العامل في إحقاق الأديب بأفلامهم وتوجيهاتهم التي تسخر لنا الأفق بلقائهم جميعا في ذلك القطر الذي يعز علينا مثلما تعز علينا بلادنا".

إن علي الجندي علي الرغم مما تميز به من سعة الأفق والإدراك والروح القومية والوطنية والحب الفياض للجزائر وشعبها، فإنه يفتقر إلى دقة بعض المعطيات التاريخية التي تتطلب الرجوع إلى المصادر الأساس لاسيما فيما يتعلق بحياة وأعمال بعض الشخصيات الوطنية فهو يذكر مثلا أن الأمير عبد القادر قد حصل على جائزة نوبل- كما سلف الذكر، وأنه كتب كتابا بعنوانه: " نزهة الراغب لتأثر الأمير عبد القادر". لم تكن معطيات دقيقة وذلك للأسباب التالية:

**أولا:** أن جائزة نوبل لم تنشأ قبل وفاة الأمير عبد القادر.

**ثانيا:** أن هذا الكتاب هو ليس للأمير عبد القادر، وإنما هو لابنه الأمير محمد.

**ثالثا:** أن الأمير لم يقم مدة طويلة بالإسكندرية محصر، وإنما مر بها سنة 1869م، عندما دعي لمحضرة حفل تدهين قناة السويس مع المولود، والرؤساء الذين حضروا تلك المناسبة.

والحق أن الجندي علي الرغم من هذه المأخذ، فإنه كان يكتب عن الجزائر بحمارة الكاتب المولع بإبراز وشائج القرابة بين الشعبين وعلاقتهم الوطيدة عبر التاريخ، وإبراز الحركة الثقافية في الجزائر في وقت لم تحد من يكتب عنها إلا الأقلام التونسية المخلصة والحاددة في الروابط بين الأهلين في الجزائر وتونس.

بعد أن فرغنا من الحديث عن الأمير عبد القادر وكما كتب عنه علي الجندي في جريدة الأسبوع التونسية سنة 1953 نعود إلى الوراء قليلا إلى 1952 لتري ما كتبه هذا الكاتب في الجريدة نفسها عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد اثنا عشر سنة من وفاته تحت عنوان " القطر الجزائري ونوابه" اعتبر الكاتب الجزائر قبل ظهور ابن باديس على الساحة الفكرية راوية مهملة في العالم ولم تفتح فيها الحياة، إلا بعد أن برز هذا العالم الجليل قائلا: عاشت الجزائر دهورا وهي في زاوية من الكرة الأرضية وفجأة ظهر العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس القسنطيني المولد التونسي الثقافة وأحد أعلام النبوغ الزيتوني فرفع علم المعرفة وأخذ يث روح الإيمان وتعاليم الإسلام بأسلوب رائع وهمة عالية وعقل في الخيل الخاضع روح في ميدان العلم والبيان ونشر لغة القرآن، قدم إلى تونس التي أحبته وأحبها وشرح في إلقاء المحاضرات النادرة، التي سجلها له التاريخ في صفحاته وأرسل أول بعثة جزائرية سنة 1934 من شباب الجزائر الذي قام اليوم بأعباء نشر المعرفة يكامل القطر الجزائري حتى لقي حتفه وحيد ذكره وسجل عمله للأجيال ونفذ أمنية عزيزة عليه وعنى أمته.

وظن من ظن عندما وري الثراب ذلك الرجل العظيم والعالم العامل والمرشد الحماهم ، إن مشعل المعرفة ربما ناله ما ناله ، ولم تحض فترة حتى برز للميدان عالم مقدام وأديب لم يجد فيه الزمان فخلف التقيد وتمثل بقول القائل<sup>1</sup> : " إذا مات منا سيد فام سيد " .

وفي ذكرى الثالثة عشرة لوفاته انبرت أقلام تونسية أخرى للكتابة عن الجزائر وعن الشيخ عبد الحميد بن باديس تاريخا ووصفا وتحليلا ، ومن هذه الأقلام التي برزت على أعمدة جريدة الأسبوع سنة 1953 الأديب " الحبيب بن ناسي " الذي كتب مقالا راقيا في عدد من أعداد هذه الصحيفة تتسع فيها الحركة العلمية والإصلاحية التي ظهرت مع عودة ابن باديس من جامع الزيتونة تنوس إلى مسقط رأسه بتسطينة . يستهل الكاتب مقاله بالشهرة التي حققها ابن باديس والصيت الذائع الذي أصبح يدوي في كل ناد وجهة وبلغت دعوته أقصاها في العالم العربي والإسلامي بصورة عامة ، والكاتب لا يكاد يفرق في حديثه بين ابن باديس والجزائر إذ هما اسمان لمسمى واحد " وإذا تكلم متكلم أو كتب كاتب عن شعب بأسره إلا وكان عبد الحميد أمة في شخص ، ويعتبره " الحبيب بن ناسي " مجددا في كل شيء ، ويرى أن الإصلاح والتجديد أمر دوري يبعث الله للناس مصدحا مجددا من وقت إلى آخر لتجديد الأفكار وتنقيح العقول مما علق بها من صدأ الجمود وما غشاها من الخطأ في الإدراك<sup>2</sup> .

والكاتب على الرغم من أنه يعطي الأسبقية في الإصلاح والتجديد إلى مفكري الشرف الإسلامي كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده فإنه لا يعتبر حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس التجديدية في الجزائر امتدادا أو أثرا من آثار الحركة التجديدية المشرقية فيقول " فبينما كان الشرف العربي مسرعا للأخذ والرد بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وبين الرجعيين كان صوت التجديد قد بلغ قلب المغرب ، فقام عبد الحميد بن باديس يتصدى لذلك الصوت وأخذ يدعو للتجديد في كل مناسبة وفي جميع النواحي ، لأنه نظر إلى الدين فوجده في يد الذين سخره لخدمة بطائهم ، وفحص الفكر فوجده مربوطا بعقال الجهل والخرافات وأجال فكره في المجتمع فوجده فاسدا مملوءا بالجرائم الفتاكة ، ولكن الروح التي كانت تلهب جذوقها في روح عبد الحميد أثبت إلا الاندفاع الحريء للمعركة الهائلة .

ثم يضيف الكاتب قائلا<sup>3</sup> : " وهكذا ارمي في ساحة المعركة داعيا للتجديد بحثا جذور الجمود ومهددا مصروح الرجعية ، ولم يتوخ الأساليب القديمة في دعوته إلى التجديد ، بل كانت أساليبه نشها جديدة فكان يكتب في الصحف ويحاضر ويفسر القرآن ويدرس العلوم كل ذلك بأسلوب جديد لا أثر للتقدم فيه .

<sup>1</sup> - علي الجندوبي : القطر الجزائري ونوابه : مرجع سابق ، ص 3

<sup>2</sup> - المكان نفسه .

<sup>3</sup> - الحبيب بن ناسي ، الإمام عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 30.



وقد تجلّت عبقرية ابن باديس كما يرى الكاتب في انتصاره على المعوقات والعقبات الكوثر التي كانت تواجهه في المجتمع الجزائري الصعب ، كما يؤكد الكاتب " ليس من الطبيعي أن يقوم مصلح في شعب كـالجزائر ولم يلاق الصعوبات الشديدة في دعوته أول الأمر إذ أن أصعب الأشياء ابتداؤها ، ولكن عبد الحميد بن باديس تجلّت عبقرته في المرحلة الأولى من مراحل الحركة الإصلاحية فقد استطاع أن يعقد ندوة دعى إليها جميع حملة الدين والثقفين بدون استثناء ، وفي هذه الندوة اتفق الجميع على تأسيس " جمعية الإخاء العلمي " شعارها نشر الثقافة في الأوساط الشعبية<sup>1</sup> .

يتحدث الكاتب في هذا المقال عن تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 ولكنه يذكرها تحت اسم جمعية الإخاء العلمي ، وخلق أن " جمعية الإخاء العلمي " قد ظهر اسمها وقانونها الأساس سنة 1924 بين ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي عندما اتفق الزحلال على تأسيس جمعية دينية وثقافية على أن يكون مقرها بقسطنطينة ، ولكن تلك الجمعية لم يكتب لها الظهور إلا بعد ذلك اللقاء بين الرجلين سبع سنوات كاملة ولم تظهر باسم " الإخاء العلمي " وإنما ظهرت باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبشيد " الحبيب بن ناسي " الأديب التونسي مرة أخرى بعبقرية ابن باديس وفلسفته الساجدة في التعامل مع المجموعات المناوئة له : " وهكذا استطاع أن يسير مع من لا يؤمنون بالتحديد وهو يعلم أنهم سيتسحبون يوما ما أعداء له ولكنه سار معهم يدا في يده ولو أنه لم يدعوهم للمشاركة في الجمعية ليتصدوا لخاربه وافقوا على التحديد في مهده لأنه تعوزه القوة لإبراز فكرته بدوهم وليس هذا من ضعف مقدرته وإنما طبيعة الفكرة التي جاء بها تقتضي منه هذا ، ولما انس من نفسه القوة وأصبح له الأنصار في جميع النوادي شرع في الإعلان بحقيقة أهدافه التحديدية بدون أن يضربها حسابا لغضب أنصار الرجعية وهم كاليون حتى في قلب الجمعية<sup>2</sup> .

وهذه الإستراتيجية؛ بعث ابن باديس صوت الإصلاح عاليا في القطر الجزائري وأحدث إنقلابا واضحا في الأفكار والعقول " فغضب الغاضبون من الرجعيين فسللوا من الجمعية وتصدوا لخاربه " وناصره المؤيدون وانضموا إلى جمعية العلماء فتكونت منهم النخبة الإصلاحية الجديدة التي حملت مشعل العلم والمعرفة وأبقت الشعب الجزائري من سباته العميق ومنذئذ تطورت وأصبحت قوة متينة لها مجلة وجرائد وفروع في أغلب المدن وبعض القرى .

وهذه الإستراتيجية نجح ابن باديس في إرساء قواعد الإصلاح ومناهج التحديد وبعث في الأمة الجزائرية روح اليقظة وحب العلم وطلب المعرفة .

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 7 .

<sup>2</sup> - الحبيب بن ناسي : الإمام عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 7 .

إن منتقديه الذين لاموه من الفريقين على مهادنة خصوم الإصلاح والتجديد، ودخوله معهم في حرب كلامية، قد أسالت تعاليقهم الكثير من الخير.

وقد أعطى الحبيب بن ناسي في مقال آخر صورة واضحة جلية حول الصراع بين الإصلاح الذي كان يقوده بن باديس وتلامذته من بعده والتقليد الذي كانت تتزعمه الرجعية الجامدة .

وذكر أن الإمام بن باديس وقف من هذا الصراع موقف الحكيم المنتصر في ثورة الصراع ورد العنف بالعنف وإنما واجه خصومه بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة :

" إصطدام الإصلاح في الجزائر بمقاومة عنيفة قد أخرجته من نطاق الردود في الصحف ومنابر المساجد إلى الميدان العام حتى كاد لا يجتمع جزائريان إلا والخلاف ثالثهما ، ولكن حكمة الإمام وأنصاره دخل في عدم استفحال الأمر وقيام معارك دموية ولو أن المصلحين قاتلوا العنف بالعنف لآل الأمر إلى غير ما آل إليه إذ كان الرجعيون يسيرون الإمام حتى أمامه ويترلونه من منابر المساجد ويحرمونه الدخول إليها ولكنه كان يقابلهم بمثل قوله عليه السلام " اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " .

يركز الكاتب في المقارنة خاصة بين الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وحركة لؤثير في أوروبا وكيف أن الأولى نجحت في تحقيق أهدافها ، بينما فشلت الثانية بسبب القمع الشديد الذي لاقته من قبل الجيوش والحكومات الأوروبية التي كانت ترفض أي إصلاح وتجديد بتحريض من الكنيسة الكاثوليكية الجامدة ، ومرت قرون عديدة دون أن تشهد أوروبا حركة إصلاحية تجديدية في ربوعها في حين الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ظلت مسنمة على الدوام ، فكلما انتهت واحدة إلا وظهرت أخرى هنا أو هناك. وكان الإصلاح ينتشر بسهولة رغم معارضة الرجعيين الجامدين ، وقد لخص الحبيب بن ناسي أهداف الحركة الإصلاحية بالجزائر في القضايا الآتية :

- 1- نشر الثقافة العربية
- 2- نشر التربية والتعليم
- 3 تأسيس المدارس
- 4-توعية الناس عن طريق الوعظ والإرشاد.

ثم نوه الكاتب بالجهود التي بذلها الشيخ عبد الحميد بن باديس عن طريق الرحلات وإلقاء الخطب والدروس الوعظية في كل المدن والقرى الجزائرية التي يزورها علاوة على دروسه المسجدية التي كان يلقيها بالجامع الأخضر منذ 1913م والذي تكون بفضله نخبة مثقفة انتشرت عبر القطر الجزائري تنشر العلم والمعرفة<sup>1</sup> . وظهر أنصار الحمود لم يكونوا ظاهرة خاصة بالجزائر بل فقد عمت هذه الظاهرة كل بلدان

<sup>1</sup> الحبيب بن ناسي : الإمام عبد الحميد بن باديس (مجلة الأسبوع) العدد 331 : المراجع السابق ص 2 .

شمال إفريقيا : "....إذ قام الرجعيون في القطرين الشقيقين المغرب الأقصى وتونس بدعاية فاحشة ضد الإصلاح ألّفوا كتباً في الرد على الإمام وتكفيره ، كما قام للإمام أنصار هناك حتى أن المغاربة الوافدين على تلمسان بمناسبة تدشين مدرستها بلغوا عددا كبيرا ومن بينهم الشيخ " إبراهيم الكنائي " .  
ويعلق الكاتب على فضال ابن باديس في إطار الحركة الإصلاحية قائلا : "...أن مبلغ المعارضة التي لاقاها الإمام على عقيدته... أكثر بكثير من التي لاقاها المصلحان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بالشرق " .

ويرى الكاتب أننا لو قسنا تاريخ حركات الإصلاح في الإسلام بغيره من تاريخ الحركات الإصلاحية الأخرى " لوجدنا بينها بونا شاسعا لأن للإسلام دستوراً يرجع إليه المسلمون في كل خلاف ينشب بينهم وله حرية فكرية واسعة تحول بين المسلمين وبين العصبية التي تلعب الدور الأساس في الخلافات " .  
ومن الجديد بالذكر أن صاحب جريدة الأسبوع التونسية قد صورته رائد الإصلاح والتجديد في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس في صدر صحيفة مقتعرا بها ومؤكدا على أن جريدته هي واحدة من الجرائد التونسية التي ترى نفسها معية بالقضية الثقافية بالجزائر، التي هي نواة حياة ومستقبل الجزائر العربية المسلمة ولا تترك فرصة تمر دون أن تمجد كل عمل علمي سواء قام به مؤسس هذه الحركة الثقافية أو خلفه العلاء الشيخ البشير الإبراهيمي الساهر على رئاسة هيئة جمعية العلماء المسلمين.

والقصد من هذه الذكرى هو تنبيه قادة التوجيه الجزائري إلى السير على غرار ما عرّسه ذلك الإمام الذي جمع بين العلم والعمل والصدق وحسن التوجيه المتميز<sup>1</sup> . ويتابع الجندوبي على أعمدة جريدة الأسبوع نشاط رجال جمعية العلماء بالجزائر وتحرّكاتهم داخل الوطن وخارجه ، وقد تحدث في العدد الصادر في 19 أكتوبر سنة 1953 عن نشاط :الإبراهيمي<sup>(2)</sup> والصالح<sup>(3)</sup> ونزوحهم ضيوف على عظام الحرمين الشريفين الملك بن سعود، حيث كانوا يقيمون ويضعمون وينتقلون عبر مدن الحجاز من مكة إلى المدينة إلى جدة على ضيافة الملك ابن السعود<sup>2</sup> .

وبعد أداء فريضة الحج يشتر إلى زيارتهم إلى سوريا ولبنان و إلى مصر و إقامتهم في أرض الكنانة بالبيث الجزائر الذي أسسه الشيخ البشير الإبراهيمي بعد استقراره بالشرق.

<sup>1</sup> - الحبيب بن أمي: ذكرى عبد الحميد بن باديس، جريدة الأسبوع، العدد: 20، 331 / 4 / 1953، ص 1.

<sup>(2)</sup> نشر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الفترة ما بين 1940-1956.

<sup>(3)</sup> كاتب أمين مالي الخليفة.

<sup>2</sup> عبي الجندوب، من الشرق إلى تونس، جريدة الأسبوع 19 / أكتوبر 1953.

أما كاتب تونسي آخر من كتاب جريدة الأسبوع وهو: محمد العيساوي الجمبي فقد زار العاصمة الجزائر وحرز مقالا نشر في جريدة الأسبوع بعنوان: "في عاصمة الجزائر" اعتبرها قطعة من فرنسا في بنائها ولغتها وعاداتها وتقاليدها ولباس أهلها وبوكدا على أن كل من زار الجزائر يجد نفسه وكأنه في بلد أوروبي بعيدا عن العروبة لا تربطه بها أدنى رابطة " وهذا يرجع لاختفاء معالم الإسلام ومسحها والاعمال الرئيس في ذلك هو الاستعمار الذي أحالها بئدة أوربية بمعنى الكلمة، حيث سلبها تقاليدها وعاداتها وقوميتها التي كانت تطبعها بطابع عربي محض ولا نستثنى من ذلك اللغة عنوان تقدم الأمة ودليل احتفاظها بفرميتها و شخصيتها".

إن الكاتب محمد العيساوي عندما زار الجزائر وكتب عنها انطلاقا من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية في العاصمة، لم تكن في الحقيقة إلا ملاحظات ومشاهدات أفقية، لأن العنصرية الثقافية الجزائرية في ذلك الوقت كانت ما تزال جافنة بسبب الهيمنة الاستعمارية على كل مظاهر الحياة، ولكنها كانت متواجدة بكثافة داخل الأسر والأحياء في المدن وبين الفلاحين في الريف، والذين يكتبون على الجزائر من الخارج لا يلاحظون ذلك العمق الممتد في تاريخ الأمة، والذي هو في الحقيقة ليس سوى الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري.

أما الحديث عن النهضة الأدبية في الجزائر فقد تجلت في أقلام بعض الكتاب التونسيين، كما تجلت في أقلام بعض الكتاب الجزائريين في الخمسينيات من القرن العشرين، حين بدأ يسيل حبرها بشيء من الاستفاضة والتدقيق عن الأدب و الأدباء في الجزائر ومن بين هذه الأقلام التي جندت في تلك المرحلة الاستعمارية لتشجيع الكتاب و إنعاش الأدب العربي الذي كادت الثقافة الوطنية أن تحف منه منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى غداة الحرب الكونية الأولى .

فبمناسبة كتابة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور النقدية التي أثارت النزاع الأدبي إثر نشره فضلا عن مجتمعا فيما في جريدة البصائر عدد 207 مقالا حمل فيه حملة منكرة على الأدباء ومنتحلي الأدب في القطر الجزائري وأعتبر الكاتب أن مقال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور جاء في الوقت المناسب لأنه كان صريحة مدوية حزت الأدباء هزة شديدة ولكنها لبنة في آن واحد .

ينتقد فيه الساحة الأدبية بسبب جهود الأدباء وجفاف الأقلام العربية كتب الخبيب بن تاسي مقالا في جريدة الأسبوع التونسية تحت عنوان: "انبعث الأدب العربي" مما جاء فيه: "بدون انتظار ولا شهيد اندلعت جاذوة أدبية متأججة في عالم الأدب بالجزائر، ولعل الذي أوقدها أراد أن تكون كذلك حتى يكون موقعها على الناس موقع القبلة كما يقولون ... لقد عمد الأستاذ عبد الوهاب بن منصور إلى إثارة "النزاع الأدبي"، لأنه أحدث رجعة بين الأدباء فيها سحق وفيها رضاء فيها تشاؤم وفيها تفاؤل في الإوساط الأدبية مما جعل الأدباء يسارعون إلى بري أقلامهم وتسير دوافعهم للدفاع عن النهضة الصريحة التي انصمت

بهم وسرعان ما اتسع الجدل وعم الصحف العربية النقاش بين مؤيد ومعارض لما جاء في مقال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، والحق أن الشعب الجزائري قد مر بظروف شغلته عن الأدب وهي ظروف لا تقل عن الاهتمام الانشغال بالأدب و النهضة.

وكان الفكر جامدا والقرائح جافة فحدثت في إثره تلك الأفكار المتأججة في صدور الأدباء، ولما انبعثت الحركة الإصلاحية بعد الحرب الكونية الثانية عمت الحركة الثقافية وانتشر التعليم وأخذت وسائل النشر والتوزيع تظهر للوجود فانبثق نور الأمل. وسرعان ما لاحت في الأفق أدبي وجوه أدبية جديدة من كتاب ذوي المواهب البارزة وشعراء ذوي القرائح المنتجة للمعاني السامية والأفكار القيمة الممتنة.

ويضيف الكاتب قائلا<sup>1</sup>: "... وليس من العجيب أن تكون في الأدب رجعية وشعبية، لأن الأدب قبل كل شيء عواطف رقيقة قبّش في صدور الأدباء وشعور فياض يستولي على مشاعر الأديب و يستأثر بخواصه، والأدب إحساس مرهف نبيل لا يحس به إلا من ضم قوى الإحساس الطاغية الجارفة وطبعي أن الأديب لا يكون أدبيا حقا إلا إذا صور ذلك الشعور في صورة رائعة خالدة، والأديب هو الذي يلبس بأصابعه الروحانية في ذلك الإحساس الرقيق النبيل حتى يقع تتأوب نفسي بين الأديب ومن يقرأ له، لأن القارئ لا يهده ما يقرأ وإنما يقبل جميع ما يقدمه له الأديب.

فإذا أخذ الأديب بيد القارئ وجعله يحس بألمه و يفرح بفرحه و يمرض بمرضه لونا من الإبداع في تصوير الشعور و إثارة الإحساس فالذي يفعل هذا هو الأديب الشعبي المبدع بأن يقال له أديب ، أما الأديب الذي لا يصل إلى هذه المرتبة فهو أديب رجعي لا يستحق المنوود..

وفي مقال آخر كتبه الحبيب بن ناسي في جريدة الأسبوع دائما يرحب فيه بتلك الدعوة التي انبثت الخواثر وبالذات من جريدة "البصائر" وجريدة "المنار" وهي الدعوة إلى "اتحاد" بلاد المغرب العربي ويعتبر الكاتب صدور مجلة العلم الجزائري في هذه المرحلة استجابة لتلك الدعوة السامية التي انطلقت من الصحيفتين المذكورتين "البصائر و المنار".

وقد وجه صاحب المنار الأستاذ محمود بوزوزو استفتاء إلى كافة رجالات الأمة وزعمائها لكي يذكر كل واحد منهم برأيه الخاص فيها يخص مشكنة "الاتحاد" العويصة التي هي من أكبر المشاكل الحيوية بالنسبة لشعبنا في هذه الفترة التي يعيش فيها وسرعان ما اخدمت الآراء وقام كل يدعو إلى الوسيلة التي يراها ناجعة لتكتل الشعب و الثقافة حول محور واحد يخرج بنا من جمودنا الحالي إلى ميدان فسيح ن وقد تبنت جريدة "المنار" الفيحاء هذا الاستفتاء الهام.

<sup>1</sup> الحبيب بن ناسي: "مجلة القلم الجزائري"، جريدة الأسبوع العدد: 328، 30/03/1953، ص4.

وكان من رأي الكاتب أن تنشأ في الجزائر، مجلة تعبير ليس فقط عن إرادة الشباب في الوحدة والتضامن والاتحاد، بل كان يدعو أن تصدر جريدة يومية تكون أسهل وأقرب إلى جماهير الشعب من مجلة أدبية فكرية رفيعة المستوى موجهة إلى المثقفين فقط.

لقد ظلت صحيفة الأسبوع التونسية تهتم بالأحداث التاريخية والمظاهر الثقافية، بل وحتى الوقائع السياسية في الجزائر اهتماما بالغا إذ لا يكاد يبرز في الجزائر أي مظهر من هذه المظاهر، إلا وتكتب عنه هذه الصحيفة دراسة وتعليقا وتوجيها ونقدا.

ومن أهم الموضوعات الثقافية والفنية التي تحدثت عنها في ربيع 1953 "الحياة الفنية والأدبية في الجزائر" أوردت أسماء الفنانين والفنانات من الجزائريين والتونسيين ووصفت اختصاص كل واحد منهم وذكرت قاعات العرض المختلفة التي احتضنت تلك الأعمال الفنية من: غناء ورقص ومسرح ونحو ذلك ومن بين الشخصيات التي ذكرها في المسرح: محي الدين ياشارزي وفي الغناء المطربين: المطربة فضيلة ختمي، والمطربة: شبيلة راشد، والمطرب الصحرراوي أنور، وكوكبا التونسية والمطربة أسمهان التونسية والمطربة ضيحة الكحللاوي والمطرب عبد الرحمن عزيز، والمطربة ذليلة رشدي، والمغنية جميلة حاتم<sup>1</sup>. وفي الرقص: الراقصتان نزهة أمير وسليمة، والقابسي والشبثسي، والراقصة كلثوم الجزائرية، ومن العازفين: مالك أحمد، وعلي الراشدي التونسي ورحمة مبروك الطاهر الصراقي، ومحمد المكي وسليم مصطفي. وفي الفكاهة: الفكاهي الطيب: العناولي وقدر الصرارقي والفكاهي محمد التوري.

وجملة القول أن الصحافة التونسية كانت ترصد كل حركة ثقافية نادب في الجزائر فتتلقاها وتعلق عليها وتنقدها نقدا أدبيا أو تاريخيا بطريقة علمية منهجية تستهدف تقويم الأقاليم والألسنة لاسيما في الشعر والمسرح والغناء... ونحو ذلك، وخاصة منذ بداية الخمسينات من القرن العشرين ولعل السبب في ذلك يعود إلى غياب صحافة وطنية جزائرية قوية تهتم بهذه المجالات بعد وقف مجلة الشهاب الغراء سنة 1939م. نعم لقد كانت تصدر خلال الخمسينات جريدة البصائر للعلماء، وجريدة المار لصاحبها محمود بوروزو وجريدة الشعلة لصاحبها الأدب رضا حوحو والشيخ الصادق حماني وجريدة النجاح التي كانت تدور في فلك الإدارة الاستعمارية، ولكن كل تلك الصحف لم تكن تستطيع أن تعطي الساحة الفنية والأدبية والعلمية لأنها كانت صحافة موجهة بإيديولوجيات معينة وخاضعة لسيف الرقابة الاستعمارية. بل فإن الكثير منها لم يدم إلا سنة أو سنتين، وسرعان ما يتوقف بسبب قوانين الخبز الاستعمارية التي تعطل كل صحيفة وطنية تراها تتبرع نحو الوطن والتحرز والشعب

<sup>1</sup> - المراجع السابق.

وهكذا فإن العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية كانت تنطلق من الأعماق لتصب في الأعماق: لأن الشعب الجزائري والتونسي هو شعب واحد، لم تفرقه إلا السياسات الاستعمارية التي سلكتها منذ 1830م، نيل "فرق تسد".

وإذا كانت الثورة الجزائرية، التي انطلقت شرارتها الأولى سنة 1954م قد كرست علاقة الشعبين، فإن الأصول في هذا المجال كانت عميقة تعود إلى القرون العتيقة، ولكن ثورة الفاتح من توفيق الجزائرية أعطت لهذه العلاقة بعدا حدوديا حضاريا ينشد بناء الدولة والمجتمع على نمط حديث، يجمع بين الأصالة والمعاصرة في بناء مستقبل مشترك انطلاقا من الحرية والحرية والأمال العريضة في انتزاع سيادتها من أيدي المستعمرين الأجانب.

حقا إن العلاقات الجزائرية التونسية التي نسبت قد شملت كل مجالات الحياة: الثقافية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية وحتى العسكرية، ولكن كل ذلك كان يرس لعصر جديد في البلدين، ألا وهو استرجاع حرية الشعب واستقلاله التامين حيا ما منها أكثر من قرن وربع قرن بالنسبة للجزائر وأكثر من سبعين عاما بالنسبة لتونس، فالعدو واحد ولكن المستقبل واحد أيضا.

والعلاقة جدلية بين الشعبين إذا تحرر الشعب الجزائري، الذي كان يخوض معركة شرسة ضد أعتى قوة استعمارية برية في ذلك الوقت فإن الشعب التونسي سيتحرر لا محالة، لأن الجزائر هي القلب وتونس والمغرب هما الجناحان، وإذا انقلبت القلب من ربة الاحتلال أنقلت الجناحان، لأن احتلالهما جاء بعد احتلال القلب.

إذن فالثورة الجزائرية كانت هي الاسمنت المنسج، الذي أضفى لينة جديدة في قاعدة العلاقات الجزائرية التونسية، ومنتجها الطابع الحدودي وإن كانت العوالم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية أسبق بكثير من الروابط السياسية والعسكرية ولذلك أثرت سلوك هذا المنهج في ترتيب فصول الرسالة.

فبدأت بالعمل الثقافي ثم العامل الاجتماعي ثم الاقتصادي وبعد ذلك انتقلت إلى العوامل الأخرى، على الرغم من أن المنهج الشائع في الدراسات الأكاديمية هو البداية بالسياسة أولا، وفي المنهج الماركسي بالاقتصادي أولا، غير أني لم أتبع لا هذا ولا ذاك نظرا للأهمية التي تكسبها العوامل الثلاثة الأولى التي ذكرتها في هذا السياق.

حقا إن بإمكان الباحث أن يعود إلى حقبة طويلة في العلاقات الجزائرية التونسية قبل سنة 1954م، ولكن ذلك قد يدخل الدارس في متاهات تاريخية لا حدود لها، ولذلك فضلت أن تبدأ بمطالع الخمسينيات من القرن العشرين، وهو العصر الذي ترج بانتصار الثورة الجزائرية والإعلان عن ذلك النصر من عاصمة الأشقاء بتونس.

إن الدراسات الأنثروبولوجية، بل الدراسات النفسية والثقافية والاجتماعية كلها تؤكد على أن الجزائريين والتونسيين شعب واحد، ولكن السياسات التي اتبعت في الجزائر منذ ظهور الدولة الحديثة بالمغرب العربي الكبير في القرن السادس عشر الميلادي.

قد ابتدعت حدودا سياسية وسكانية " ما أنزل الله بها من سلطان"، وكونت على غرار ما وقع في أوروبا دول قبطية أصبحت تعرف بأسمائها الحالية، وهو ما أحدث شرخا سياسيا واقتصاديا بين سكان المنطقة الشمال الإفريقي، ولكنه عجز عن إحداث القطيعة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين سكان البلدان الخمسة.

### المبحث الثاني : الأعلام الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية :

أما الصحف التونسية فقد كانت على صلة وثيقة بالجزائريين منذ ظهورها وكانت الأعلام الجزائرية نشر بها إنتاجها الفكري منذ مطلع القرن العشرين فتونس خلال الحقبة الاستعمارية كانت هي الرئة التي يتنفس منها المثقفون المتشبعون بالخطابة العربية الإسلامية، وتواصل هذا العمل حتى ثورة التحرير المباركة والتي فتحت مجالا واسعا وآفاقا رحبة أمام المفكرين والأدباء والشعراء وفجرت فيهم الطاقة المخترنة والخيوية الكامنة من خلال أحداثها ومعاركها الكبرى وأنواع البطولة والشجاعة التي كان يبدونها أفراد جيش التحرير الوطني . ومن صمود الشعب وتضحياته الجسيمة وتعرضه لكل أنواع القتل والتعذيب والتشريد في سبيل الحرية وما صاحب ذلك من أحداث وتطورات سياسية وتغيرات جذرية في الأفكار والاتجاهات سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي . فهذا المناخ الثوري التحريري كان من العوامل الأساسية التي بغت الحركة الأدبية وزودتها بالوقود الدافع وأخرجتها من الجسود والركود الذي كانت عليه فيل 1954.

### فكيف تعاملت الصحف التونسية مع الإنتاج الفكري الأدبي والسياسي خلال الثورة ؟

كانت الصحف التونسية كالعسل والصباح وبعض المجلات منبرا ووسيلة لنشر الوعي السياسي والفكر الوطني في تونس بعد الحرب العالمية الثانية وحتى استقلال تونس، ثم واصلت هذه المهمة لصالح الثورة الجزائرية وقد ساعدت على ذلك العوامل الآتية :

1. انضمام جميع القوى السياسية والوطنية، أحزابا، طلائيا، نقابة، تحت لواء جبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب الجزائري.
2. محاولة الزعيم بورقيبة التقرب من جبهة التحرير ومساعدتها حتى نبتعد عن تأثير الفكر القومي للثورة المصرية وعن الشيوعية وعن أنصار صالح بن يوسف .
3. وجود عدد كبير من التونسيين، الذين ينحدرون من أصول جزائرية يتعاطفون مع الثورة الجزائرية ووجود بعثات طلابية في جامعة الزيتونة بالخصوص.



4. تعاون وتعاطف عدد من السياسيين والمفكرين في الحزب الدستوري الحر و في جامع الزيتونة كمحمد العربي وفي الصحافة كالأستاذ الهادي العبيدي مدير جريدة الصباح.

5. مشاركة عدد من الجزائريين في تحرير الصحف والمجلات التونسية فإطاهر وطار ساهم في تحرير جريدة الصباح ومجلة الفكر من 1956 وحتى 1962م، وعبد الحميد بن هدوقة ساهم في النشاط الإذاعي ومجلة الإذاعة<sup>1</sup>، كما ساهم الجزائريون آخرون في جريدة الزيتونة والعمل ومجلة اللغات<sup>2</sup>.

6. الدعم والتشجيع الذي كانت تقدمه جبهة التحرير الوطني للأقلام الجزائرية بتونس من أجل المساهمة في المعركة المضارية التي تقودها جبهة التحرير والشعب الجزائري ضد الإستعمار الفرنسي.

**فما هي الأقلام الجزائرية التي كانت تكتب عن الثورة في تونس؟**

لا شك أن المتخصص لتلك الأقلام والمتتبع الراصد لنشاطها وإبداعها يلاحظ أن معظم تلك الأقلام كانت تنتمي لبعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جامع الزيتونة لإتمام الدراسة وكان هؤلاء الطلاب منشعبين بالعروبة والإسلام ومشحونين بالوطنية ومستعدين للتغيير. فلما اندلعت ثورة نوفمبر جاءت بالشرارة التي محرت فيهم طاقة الإبداع فانطلقت أقلامهم ترسم وجه الثورة المشرق وتبرز ملامح الكفاح والتحدى. ومن أبرز هؤلاء الطلاب : الطاهر وطار، عبد الله الركيني، صالح خرفي، عبد الحميد بن هدوقة، أبو العيد دودو خليفة الجيندي أبو القاسم سعد الله، بورويح أحمد، صالح خياشة... ومن أقلام جمعية العلماء : عبد الرحمن شيبان، نعيم النعيمي، البشير الإبراهيمي. أما المتعاطفون مع جمعية العلماء مثل : عبد الله شريط، مفدي زكرياء، عبد القادر السائحي بالإضافة إلى محمد ديب ومصطفى الأشرف...

وهم يختلفون في العطاء الفكري والتوعية، فالبعض مثلاً لم ينشر بتونس طوفاً الثورة لطبيعة عمله في بلدان أخرى سوى عملاً واحداً مثل البشير الإبراهيمي، سعد الله، ونعيم النعيمي. كما أن بعضهم توقف عن الكتابة سنة 1957 كعبد الله شريط ليعمل في مهام أخرى بينما توقف الركيني، الجيندي خليفة أحمد بورويح في سنتي 1958 م - 1959 م.

**ففي أي نخبة تصنف هذه الكتابات؟ وما هي المواضيع التي تمت معالجتها؟**

أولا يمكن لنا تقسيم جميع الأعمال المنشورة إلى أعمال فكرية أدبية وتصريحات سياسية.

<sup>1</sup> - د. محمد مزاح البخاري : من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر، مجلة الحياة الثقافية العدد 32 : تونس 1984.

من: 23.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 13.

### الأعمال الأدبية والفكرية :

تدخل جميع هذه الكتابات أثناء الثورة فيما يعرف بأدب النضال والذي كان مرآة صادقة تعكس مختلف الأحداث والتطورات أو المنعطقات والتحديات التي عرفت بها الثورة . وهي كذلك تعبير عن آمال الشعب وعن رغباته ومعاناته وصموده في سبيل الحرية والاستقلال.

ومن ناحية أخرى تعتبر إرثا فنيا فعالا ومحركا للواقع ومشجعا على التغيير وسلاحا لتحطيم فيود الاستعمار<sup>1</sup> . ويعتبره فراتز فانون : " وسينة كفاح قومي مستمد من الأصالة ومن أرض المعركة فيقول : " ... نحن هاهنا أمام أدب كفاح بالمعنى الأصلي للكلمة ولأنه يدعو الشعب بأسره إلى النضال في سبيل الوجود القومي<sup>2</sup> ... " وهو ينظر إلى الثورة بعمق من خلال معاشته لحياة المجاهدين في تونس وقادة الثورة والمثقفين . فالثورة في نظره ليست تلك المعارك التي يخوضها المجاهدون فحسب بالسلاح وإنما هي ثورة كذلك على ثقافة البيض " ... فيجب على المثقف الرجوع إلى الجذور المجهولة<sup>3</sup> ... " ويضيف " ... على المثقف الذي يريد أن يصنع أثرا أصيلا صادقا أن يدرك أن الحقيقة القومية إنما هي في الواقع القومي أولا وقبل كل شيء وأن عليه أن يخصص إلى النضال الذي تنهيا فيه صورة المعرفة الجديدة<sup>4</sup> ... " .

وإذا ألقينا نظرة أولية على بحمل الإنتاج الأدبي والفكري الذي ظهر في تونس أثناء الثورة نجد أنه لا يخرج عن نطاق هذا التعريف . ذلك أن جل المقالات والقصائد الشعرية أو القصص والمسرحيات كانت تنطق دائما من وعي قومي ثوري واعتزاز بالموروث الحضاري العربي الإسلامي ورفض قوي وصريح لطروحات الثقافة الاستعمارية ونظرتها ومعاييرها السائدة في شمال إفريقيا .

إنما ثورة أخرى مبدؤها الفكر لتحريره من الرواسب الكولونيالية . وحول هذه الفكرة يوضح فانون قائلا : " ... أن أولئك الرجال والنساء الذين يقاتلون الاستعمار الفرنسي في الجزائر بأيديهم الأعززون إنما يقاتلون جميعا في سبيل الثقافة القومية .. والتي خطتها الاستعمار حتى أصبحت حامدة متحجرة<sup>5</sup> ... " وبهذا المفهوم تصبح الثورة في منظوره شاملة لا يقتصر هدفا على التخلص من المحتل واسترجاع وإنما التخلص من

<sup>1</sup> د . أبيه بركات : أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال : مجلة الثقافة ، عدد 95 الجزائر 1985 ، ص : 292 .

<sup>2</sup> فراتز فانون : مذهب الأرض : ترجمة : د . مامي الماروي و د . جمال الأتاسي ط 3 - دار الطليعة بيروت 1979 ، ص : 229

<sup>3</sup> نفسه ، ص : 125 .

<sup>4</sup> نفسه ، ص : 129 .

<sup>5</sup> نفسه ، ص : 137 ، 139 .

ثقافة المختل واسترجاع ثقافتنا القومية الأصيلة وتنوع تلك الأعمال الأدبية و الفكرية يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

1. الشعر : ما يلاحظ في هذا الجانب أن جميع الشعراء الذين نشروا قصائد حول الثورة ينتمون في الأصل إلى الجنوب الجزائري المنتمين بالخصاصة العربية الإسلامية وينتمون كذلك إلى جمعية العلماء المسلمين أو متعاطفين معها مثل: مقدي زكريا، عبد القادر السائحي، صالح خريفي، صالح خباشة .

نشر هؤلاء أكثر من اثنين وسبعون قصيدة نشر أغلبها في مجلة الفكر وجريدة الصباح ثم الجرائد والمجلات الأخرى وهي تتوزع كالآتي : ثمانية عشر قصيدة لصالح خريفي الذي كان ينقب بأبي عبد الله وقد جمعها مع قصائد أخرى ونشرت فيما بعد مع ديوان أطلس المعجرات ونشرت لمقدي زكريا الذي لقب بابن تومرت، ثم شاعر الثورة سبع عشرة قصيدة والقصائد الأخرى له نشرت بالمغرب وجريدة الجهاد وبلغ مجموع قصائده حول الثورة حوالي خمس وخمسين قصيدة فيما بين 1954 و 1961 جمعها في ديوان اللهيب المقدس الذي نشرته الشركة الجزائرية بتونس في 1961م. وباقي الشعراء نشروا أقل من ذلك . كالسائحي وصالح خباشة ... وقد استلهمت هذه القصائد من أحداث الثورة أو مواضيع لها علاقة عضوية بالحرية والاستقلال ووحدة الشمال الإفريقي، والاعتزاز والتفاخر بالماضي الحضاري . وحسب الدكتور محمد صالح الجابري فإن هذا الشعر : "انطلق قومياً عربياً إسلامياً، شعرانه يستجيبون بسخاء واندفاع لكل الأحداث والمواقف المغاربية والعربية الإسلامية ويؤكدون هذا الانبعاث<sup>1</sup> ويرى د. محمد ناصر : "أن المفهوم الذي يطرحه شعراء الثورة التحريرية نابع من تصورهم للدور الذي يجب أن يلعبه الشعر الثوري ووظيفة هذا الشعر وعلاقاته بالجمهور ودوره يجب أن لا يختلف في أي شيء عن دور القائد الختاك الذي يدفع الجيوش أو يقودها إلى ساحة القتال<sup>2</sup> . " ومن يقرأ فعلا تلك الأشعار تتضح له هذه الحقيقة . وقد عبر مقدي عن شعره قائلا : "لم أعن في اللهيب المقدس بالنس والصناعة عنائي بالتعبئة الثورية وتصوير وحدة الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المظلمة<sup>3</sup> . " فالشعر إذن كان سلاحاً في معركة الثورة الكبرى بعاطفته الوطنية المتحمسة . وقد أوضح هذه النقطة د. أبو القاسم سعد الله معبرا عن تجربته الشعرية ما بين 1950 و 1960 قائلا<sup>4</sup> : "انصهرت في هذا الشعر عاطفتان شابتان مشوبتان لا تكادان تنفصلان : العاطفة الذاتية والعاطفة الوطنية فكلاهما تتميز بالتمرد والتحدى والجموح<sup>5</sup> ."

<sup>1</sup> - د. محمد صالح الجابري : الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس ، مجلة الثقافة العدد 86 ، الجزائر 1985 ص : 206 .

<sup>2</sup> - د. محمد ناصر : شعر الثورة من حايه الفني ، مجلة الثقافة العدد 86 ، الجزائر 1985 ، ص : 130 .

<sup>3</sup> - المكان نفسه ، ص : 128 .

<sup>4</sup> - د. أبو القاسم سعد الله : الزمن الأعور : م. و. د. ، الجزائر 1985 ، ص : 07 .

وما يمكن قوله في الشعر الذي نشر في تونس أنه كان شعرا ثوريا بأتم معنى الكلمة يقوم بالتعبئة ويدعو إلى التمرد والتحدى ويشجع على الاستشهاد في سبيل الوطن ، كما يعكس الأحداث التي مرت بها الجزائر أثناء الثورة وما عرفته من تحديات دفعت الشعب إلى التعاون والتضامن والتعاطف . وهو إرث تاريخي مشرق ومشرف تعز به الأجيال التي ولدت في ظل الحرية والاستقلال .

### المقالات التاريخية:

لقد كان جامع الزيتونة مؤسسة عربية إسلامية تغطي النقص العلمي والثقافي في بلاد المغرب الإسلامي بعد الحطاط وتراجع العالم الإسلامي، ولكن هذا الجامع بدوره عرف تراجعاً هو الآخر حتى القرن التاسع عشر، حين بدأت لمسات الإصلاح تطلعه منذ عصر الباي أحمد الذي حاول سنة 1842م، إصلاحه تماشياً مع بعض التطورات الحديثة التي ظهرت في العالم، وكذلك حاول خير الدين باشا التونسي إصلاحه سنة 1875م، ولكن هاتين المحاولتين أصبحتا بالفشل أمام سيطرة بعض العائلات الأرستقراطية على الجامع مالكيين وحنفيين كان هناك 30 منصب أستاذ تتوزع مناصفة بين المذهبين لذلك أنشأت الصادقية في 1875م ثم الخلدونية في 1896م لاستدراك النقص في العلوم العصرية . وأصبحت الخلدونية مكملتها للزيتونة . وإصلاح التعليم الزيتوني يندرج في إطار تكوين رأي عام تونسي مساهم في الاستعمار الفرنسي أي تدخل في صميم التحرر من هذا الأساس ظهر الاهتمام بإصلاح التعليم الزيتوني<sup>1</sup> . الذي توج بإصلاح أفريل 1956م بعد تصاعد موجة الاحتجاجات الطلابية<sup>2</sup> المتأثرة بالخرابات الوطنية السياسية وموجة الثورة التي كانت تحتاح شمال إفريقيا منذ 1952م . وفي حضم هذه الأحداث كتب عبد الله شريط مقالاته التحليلية والنقدية لتعليم الزيتوني والتي نشرت على حلقات متتالية في ثلاث أعداد من مجلة الندوة سنة 1954م قبل اندلاع الثورة الجزائرية عندما كان أستاذ للفلسفة بالزيتونة: ففي المقالة الأولى بعنوان: ابن خلدون بين تعليمنا الزيتوني<sup>3</sup>، حاول فيه استعمال النظرية الخلدونية لنقد التعليم الزيتوني .

ولا شك أنه كان متأثراً بالفكر الخلدوني الذي تأثرت به إحدى الجمعيات الإصلاحية وأسست معهد الخلدونية الذي أدخل العلوم العصرية في برنامجه وكذلك الفكر القومي ، وهو ما دفع أحد المسؤولين

<sup>1</sup> - مسعود كرماني : حركة الشباب التونسي مولد الشعور الوطني التونسي : المحلة التاريخية المغربية ، عدد 2، 1974 : 153.

<sup>2</sup> - عرفات الزيتونة احتجاجات طلابية تطالب بإصلاح التعليم الزيتوني في السنوات التالية : 1920، 1932، 1949، 1950، 1955 .

<sup>3</sup> - مجلة الندوة عدد فيفري 1954 ص: 10 .

الفرنسيين إلى الكتابة في تقرير له عن الخلدونية قائلا<sup>1</sup>: "إذا ما قدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية" في حين كان التعليم الزيتوني بعيد عن الفكر القومي والعلوم العصرية وقضايا المجتمع ومشاكله وكان يعيش في زمن غير زمانه.

وفي المقابل يقدم لنا عبد الله شريط اعترافا واحتجا عن رجال الإدارة في الزيتونة والمدرسين والطلاب وأولياءهم لاشتراكهم بالشعور بالخوف لما آل إليه حال التعليم في الزيتونة، ولكنه في الوقت نفسه يضيف<sup>2</sup>: "نحن المدرسين نتحمل القسم الخطير من مسؤولية ما فيه الزيتونة من بلاء ومحنة".

ثم يعرض نظرية ابن خلدون في التعليم التي يراها صالحة للتطبيق "ذلك أن الخلق في العجم والنفس فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بعبادته وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلا" ثم يحلل النظرية ويشرحها فيقول: "حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاء في عمله وإضاءة في فكره" ويضيف "التعليم في نظر ابن خلدون مرتبط تماما مع إشيط الحضاري السائد ومتأثر مباشرة بالعصر الذي يعيش فيه كأي مخلوق آخر. فاندثار التعليم الناجح في العالم الإسلامي وفي الثقافة العربية ثم بتمام انحلال المجتمع الإسلامي سياسيا واجتماعيا وعمرانيا".

وخلال هذه نظرية ابن خلدون يركز عليها شريط في ثلاث نقاط هي: إضاءة الفكر، تفنيد ملكات النفس وتكبير هذه الملكات، وفتح اللسان بالحوارة والمناظرة في المسائل العلمية<sup>3</sup>. وفي مقالة ثانية حول الثقافة القومية والتعليم الزيتوني بعد الأسئلة التي تلقاها حول هذه النقطة أجاب قائلا: "...لا يمكن أن نقصص بين مستقبل الثقافة ومستقبل الوطن... فالحياة الثقافية مرتبطة بحياة الوطن عامة ألها تتأثر لأبعد حد بالشروط الاقتصادية السائدة في البلاد بحيث تكيف إلى حد بعيد مختلف نواحي النشاط الاجتماعي والثقافي... ويخلص إلى أن رجال الفكر والثقافة يجب أن يطلعوا على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتنوعة فهو بذلك يحاول ربط الثقافة بالواقع المعاش وما فيه من أوضاع مختلفة حتى تساهم الثقافة في تغيير الواقع عن طريق التطوير والتحسين.

<sup>1</sup> - شارل أندري: جوليان: المهذبون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب: محمد مزالي، ش. ت. د. ت. تونس، 1985، ص: 107.

<sup>2</sup> عبد الله شريط: ابن خلدون ينتقد تعليم الزيتوني، المرجع السابق، ص: 10.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص: 12.

وعن الثقافة القومية يقول : " وثقافتنا لكي تكون قومية يجب أن نعتي بعث قيمنا المدفونة في النسيان وأن نتوجه ونعمل نجد على إبراز هذه القيم العظيمة التي لم يفتن إليها إلا أقلنا حتى نطسها إلى ما عرف من إشعاعات مفكرينا القدماء وإنتاجهم الخليل " .

ويذكر ابن خلدون، ابن رشيد، ابن ماجه، بن حزم... وهو يرى إذا كان التعليم الزيتوني ضعيفا ولا يمكن أن يبقى كذلك لأن كل شيء حوله يغير فإن التعليم الرسمي فيه عيب خطير يشوهه وينال من كماله وهو نقص الجانب القومي فيه ويوضح مقصده بأنه لا يقصد الروح الوطنية بل خصائص ثقافتنا الموروثة بما فيها الجانب الديني الذي يحتوي على أعظم جانب من ثقافتنا القومية<sup>1</sup> وله موضوع آخر بعنوان مستقبل المغرب العربي ينشر بمجلة الفكر عدد جانفي 57 ، في وقت كانت تطرح فيه هذه القضية على المستوى السياسي الرسمي وتشغل الرأي العام الشعبي وقد تعددت حوفا المفاهيم وأصبحت محل مزادة سياسية أحيانا . فهو يرى " أن المسألة الجغرافية والدينية والثقافية والتقاليد والأذواق والطباع مفروغ منها ولا محل فيها للأخذ والرد أو محاولة الإقناع بل هناك عوامل أخرى لابد منها لقيام الأمة ووحدة وهي عناصر الاقتصاد والسياسة والإرادة الشعبية ... » وهو فهم في اعتقادنا سليم وموضوعي لواقع المغرب العربي فهذه العناصر التي ذكرها قد ارتكزت عليها دول المجموعة الأوروبية في إنجاز مشروع وحدتها التي تسمى بخطوات مدروسة .

2. القصة : هذا الفن الأدبي لم يكن يحض بعناية كبيرة قبل أن تعطى له أهمية قبل اندلاع الثورة بل كان نادرا ولكي بعد قيام الثورة انفجرت ينابيع العطاء لدى عدد من الجزائريين في تونس بالخصوص ، ويؤكد هذه الحقيقة د. عمر بن قينة قائلا<sup>2</sup> : " القصة الجزائرية الفنية الناضجة خاصة باللغة العربية قد ولدت مع الثورة الجزائرية 1954 : لأن الثورة كانت ألهم العذب الذي طامنا راود النفوس... " من أوائل القصص التي نشرت بتونس خلال الثورة قصتان لمحمد ديب الأولى بعنوان : الوطن ، نشرت في مجلة الندوة عدد جانفي 55 والثانية بعنوان : كلنا جنات ، في نفس العدد فيفري 1955 . والقصتان تدور أحداثهما حول وحدة الشعب الجزائري واستعداده للتضحية في سبيل الحرية .

وفي سنة 1956 نشر أخيب بناسي قصته : مأساة أسرة ، في جريدة الزيتونة عدد 23 مارس 1956 تصور مدى البأس والفقر الذي سلفه الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري الذي تحرك في سبيل الحرية ، وأعقبتها قصتان في نفس السنة الأولى بعنوان : شهيد بلا قبر والثانية بعنوان : الدكتور الشهيد ، ولم يفتنح بناسي بعمله هذا فالتحق بالثورة ليجاهد بالبنديقية في سنة 1956 وقد استشهد فيها

<sup>1</sup> - للمكان نفسه، ص 22 .

<sup>2</sup> - د. عمر بن قينة : المسار النضالي في القصة الجزائرية ، مجلة الحياة الثقافية ، مرجع سابق ، ص : 109 .

بعد ويتربع على رأس قائمة الجزائريين الذين كتبوا في القصة ، الطاهر وطار الذي نشر 18 قصة ما بين 1956 و1962<sup>1</sup>. وأغلب القصص استلهمت أحداثها من الثورة وقد بلغ عددها 46 قصة لوطار، بن حدوقة (نشر 9 قصص في مجلة الإذاعة)، محمد ديب (نشر 7 قصص في مجلتي الندوة والفكر)، أبو العيد دودو (نشر 6 قصص في مجلتي: الندوة والفكر وجريدة الصباح)، أبو القاسم سعد الله. نشر أغلبها في جريدة الصباح ومجلتي الفكر والإذاعة، وهي أعمال قيمة مازالت تحتاج إلى دراسة تاريخية ونقدية لإبراز مكانتها وتحديد دورها ومساهمتها في المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي.

3. المسرحيات: تعتبر الأعمال المسرحية التي نشرت بتونس قليلة ومن كتبوا في هذا الفن الأدبي قلة، ولم يكن لهم أي اهتمام سابق بهذا الفن ولم يكونوا من رجال المسرح<sup>2</sup>. ومن أبرز تلك المسرحيات مسرحية: الباب الأخير لمصطفى الأشرف التي بعث بها من السجن ونشرها مجلة الفكر في عددها لشهر جويلية 1957. تدور أحداثها في أواخر 1954 أو أوائل 1955 بأحد مناطق الشمال القسنطيني وهي تبرز شرعية العمال والفلاحين ومعالقتهم ومناهضتها للمعمرين وسادتهم من أعوان السلطة، كما تكشف عن رد فعل الاستعمار الذي أصبح يحارص القمع الأعمى فلا يفرق بين الجزائريين ويسلط عليهم كل أنواع التعذيب في السجون التي امتلأت بهم<sup>3</sup> وقد كون صالح خرفي فرقة مثلت هذه المسرحية في تونس.

وفي سنة 1959 أخرج عبد الله الركيبي مسرحية مصرع الطغاة والتي كانت محاولة أولى وأخيرة للكاتب كما كانت الأولى التي تنشر في كتاب قدم له الأستاذ البشير العربي كما يلي: "فهذه الرواية تعبره جديدة نرجو أن تعقبها بحارب من المؤلف أو سواء للدراسة العالم الجزائري الرحب العميق وما فيه من ممكنات وأسرار. تحفة خاصة بإبراز صورة ناصعة من صور الثورة التحريرية المرفقة وتتبع خطاها منذ يوم انبعاثها وتبلغ سناها لأنها تعكس على صفحاتها صورا وصورا أخرى للحياة الجزائرية على العموم...<sup>4</sup> أما الأستاذ المرحوم الهادي العيلدي الذي كان يكن للجزائر شمة كبيرة، مدير جريدة الصباح فقد اعتبرها هذه المحاولة بداية مشروع يخلق أدب عربي مسرحي يخلد هذه الثورة ويحفظ للأجيال لوحات عنها

وكانت أحداث المسرحية تدور في العاصمة الجزائرية وتبرز مختلف الشرائح الاجتماعية التي تعرفها المدينة ومساهماتها في الكفاح الذي تخوضه الجزائر لتبيل الاستقلال من خلال الشيخ عارف وابنه البشير وابنته رحمة

<sup>1</sup> د. محمد صالح الحائري: النشاط الأدبي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق، ص: 423، 424.

<sup>2</sup> - د. محمد صالح الحائري: الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة العدد 96، الجزائر 1986، ص: 16.

<sup>3</sup> لمكان نفسه، ص: 18.

<sup>4</sup> نفسه، ص: 29.

ودورهما في تحفيز الثورة وتفجيرها ، وما تعرض له هذه الأسرة من اعتقال وتعذيب للشيخ عارف. وابتد رحمة في السجن ولكن البشر الذيب كان من المجاهدين يقوم بهجوم على مديرية الأمن فتدمر ويحترق المساجين. ويبقى الطاهر وطاز من أكثر الذين كتبوا الفن المسرحي حيث أنتج سبع أجزاء للألات مسرحيات ما بين 1960 و1962 أبرزها :على الضفة الأخرى من ثلاثة أجزاء ، الأميرة جزاين ، الحارب جزاين نشرت كلها في جريدة الصباح<sup>1</sup> وهي مستوحاة من الكفاح والنضال الذي كان يخوضه الشعب الجزائري في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر .

### المبحث الثالث : دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية:

أعطت الثورة الجزائرية للثقافة العربية بعدا جديدا بشكل لم يسبق له مثيل من الناحية العددية والتكوينية، حيث كان الطلبة الجزائريون يقتصرون في دراستهم على الثقافة الدينية والأدبية، خاصة في الجامعات الإسلامية الكبرى، الأزهر والزيتونة والقرويين، وقد تمركز الطلبة الجزائريون في كل من تونس والمغرب وليبيا ومصر على وجه الخصوص، وصارت تعطي للطلبة المتخرجين من هذه الجامعات بعدا ثوريا وتقنيا، علاوة على الميادين التعليمية التقليدية السابقة. فازداد عدد الطلبة الجزائريين وتعددت اختصاصاتهم وازداد شغفهم بالعلم، فباتت جبهة التحرير الوطني ترسل الطلبة ليس فقط إلى البلاد العربية، بل وحتى إلى البلاد الأوروبية الصديقة، وبهنا في هذا المبحث الطلبة الجزائريين الذين توجهوا، أو وجهوا إلى تونس إبان الثورة في الفترة الممتدة ما بين (1954-1962م) من خلال الصحافة التونسية.

قد رأينا في المبحث الأول من هذا الفصل كيف أن طلبة الثقافة العربية كانوا يتوجهون زرافات ووحدا إلى جامع الزيتونة العتيق، منذ أن توقفت دور التعليم العربي في الجزائر، بسبب عمليات الهدم الاستعماري لدور العلم والثقافة، واضطهاد العلماء في الجزائر، في محاولة استعمارية لإعادة تشكيل الهوية الجزائرية بحيث توائم السياسة الاستعمارية في الجزائر، ولكن العصبية القومية للجزائريين ظلت تقاوم الاختراق الفرنسي الأجنبي لهذه الهوية، وتحاول تغذيتها من ينابيع الثقافة العربية خارج الوطن، لاسيما في تونس والمغرب والمشرق العربي عموما.

ولما جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، دفعت عجلة المسيرة الثقافية باللغة العربية من جديد، وحاربت معاول الهدم والتخريب للثقافة الوطنية وأرسيت قواعد ثقافة عربية جديدة في الجزائر تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فأنشأت شبكة من المدارس والمعاهد والمساجد والنوادي الثقافية في مختلف أنحاء القطر الجزائري، وكونت جيشا من الطلبة والأساتذة والمعلمين وأخذت في تشجيع وإرسال البعثات العلمية إلى البلاد العربية، لاسيما إلى تونس.

<sup>1</sup> - د محمد صالح الحباري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق ، ص : 423 .



و لما اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية وحدثت في ذلك العدد من الطلبة الجزائريين الأسس القوي ملء فراغ الإطارات الوطنية في هياكلها المختلفة، ودعمت حركة التعليم في تونس من جديد بطريقتين متوازيتين : إنشاء المدارس وتمويلها من ميزانية الثورة والاتفاق مع الحكومة التونسية لتبني عدد آخر من هؤلاء الطلبة بأموال الحكومة التونسية ذاتها.

و من خلال هذه الأساليب الجديدة في تكوين الطلبة نوعيا وكميا، أصبح لثورة الجزائرية امتدادا واسعا في وسائل الإعلام وفي المحافل الدولية، وأصبح الطلبة أنفسهم يشكلون مادة إعلامية واسعة النطاق لوسائل الإعلام العربية والدولية، كما أصبح نشاط الثورة داخل الوطن وخارجه مقروءا ومسموعا في كل مكان من العالم بواسطة شعبيهم ويقضايا الثورة على كل المستويات.

و الثقافة التي نتحدث عنها أثناء الثورة من خلال الصحافة العربية كلها تتمحور حول مسألة الطلبة وكيفية تعامل الثورة معهم في مختلف الجامعات، والمعاهد العربية والأوربية، سواء الطلبة الجزائريين أو الطلبة الأجانب.

وعلى ضوء ما تقدم نقرأ في العدد الصادر في السادس عشر من شهر أفريل سنة 1957م من جريدة الصباح عمودا عن موقف طلبة فرنسا إزاء القضية الجزائرية، جاء فيه :

" سلمت فيه جمعية الطلبة التابعين لجامعة ستراسبورغ بلاغا إلى الصحافة ( أنهم يؤيدون الموقف الذي اتخذته مكتب الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين إزاء الحرب بالجزائر... إنه يجب وضع حد لأساليب القمع المتبعة حاليا بالجزائر، ويطالبون بالحث عن إيجاد حل سياسي توعى فيه الرغائب المشروعة للشعب الجزائري مع ضمان مصر السكان الأوربيين"<sup>1</sup>

و الحق أن المسألة الجزائرية قد أحدثت انشغافا واضحا بين الطلبة الفرنسيين أنفسهم وقد نشرت جريدة الصباح التونسية مقالا في غاددها الصادر يوم الرابع عشر من شهر ماي سنة 1957م تحت عنوان : " القضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، تحدثت فيه عن الخلاف الشديد الذي وقع بين رئيس جامعة الطلبة الفرنسيين بالجزائر "الم.قوترو" و "الم.لافورنييه"، رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين. قد برز هذا الخلاف في مؤتمر الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين المنعقد بكلية الطب بباريس يوم الخامس والعشرين من شهر أفريل سنة 1957م، حين منع رئيس اتحاد الفرنسيين بالجزائر "الم.قوترو" من حضور هذا المؤتمر وقد برر رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين "الم.لافورنييه" الأسباب التي جعلته يمنع قوترو من الحضور في المؤتمر على النحو الآتي :

<sup>1</sup> - ينظر المحاهد : العدد 120 ( 10 أفريل 1961 )، ص 4.

- 1- توزيع مناشر عداية للمجلس الإداري لاتحاد الطلبة.
- 2- عقد ندوة صحافية بالجزائرية لتحريض الطلبة الفرنسيين على الانشقاق عن الاتحاد القومي.
- 3 مهاجمة مكتب المجلس الإداري بجامعة طلبة الجزائر.
- 4- حملة الشتم التي وجهها أحد أنصار "أم.قوترو" إلى " أم. دي لافورنيو" رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين.
- 5- قادم "أم.قوترو" إلى باريس مصحوبا بجنود المظلات ورفاق آخرين معروفين بالوسائل التي يستعملونها للوصول إلى أغراضهم.

المهم في هذا كله أن القضية الجزائرية، كانت محل نقاش ساخن أثناء المؤتمر<sup>1</sup>.

و هكذا تغطت الثورة الجزائرية كل الخطوط الحمراء داخل المجتمع الفرنسي ذاته وتمكنت من إحداث انشقاق واسع بين اليمين واليسار من جهة، وبين الطلبة الفرنسيين بفرنسا والطلبة الفرنسيين بالجزائر من جهة أخرى، فالأولون انقسموا على أنفسهم طبقا لمفهوم اليمين واليسار، فاليمين معروف بتطرفه للعصبية القومية، واليسار يميل إلى تأييد الحركات التحررية في البلدان المستعمرة، وبين طلبة فرنسا وطلبة الجزائر الفرنسيين حوة سحيقة أيضا في موقفهما من الثورة الجزائرية، فطلبة اليسار بفرنسا خاصة يستنكرون التجاوزات العسكرية في الجزائر مثل : التعذيب، واستعمال الأسلحة المخرمة دوليا وسم ذلك. والطلبة الفرنسيون في الجزائر يساندون كل وسائل القمع والإرهاب ضد الجزائريين، لأفهم كانوا يشعرون بأن الجزائر تكاد تعضيق من أيديهم وهم يعتقدون أنها وطن الآباء والأجداد.

وتواصل جريدة الصباح التونسية متابعتها لقضية الطلبة الجزائريين والفرنسيين والمغاربيين إزاء الثورة التحريرية الجزائرية، وفي عددها الصادر يوم الثامن والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، ناقشت قضية اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين بعد أن اتخذت الحكومة الفرنسية إجراء حله يوم الثاني والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، ومما جاء في صحيفة الصباح التونسية : "لقد تغلبت النفرة الاستعمارية على الحكومة الفرنسية مرة أخرى، فأمرت بحل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإلقاء القبض على ثلة من قاده بباريس وكافة أعضاء فرنسا وعلى رأسهم رئيس الاتحاد الأخ (أيت شعلال) بتهمة الاعتداء على أمن الدولة الخارجي... تريد الحكومة الفرنسية بحل هاته العمليات التعسفية أن تظهر جليا عزمها على قتل كل روح وطنية بين الأوساط الجزائرية متبعة في ذلك الخطط الإجرامية، التي يسطرها (روبير لاكوسيت)، ومن ورائه شردمة من المعمرين بالجزائر والرجعيين بفرنسا، الذين يعتقدون أن التعذيب والتقتيل سيثبتان من

<sup>1</sup> - جريدة الصباح : " الطلبة الفرنسيون يطالبون بإنهاء حل سياسي لقضية الجزائر " : العدد 16 أفرس 1957م، ص 1.

غزيرة إخواننا المكافحين كما يظنون أن حل المنظمات القومية (الوطنية) يمكنهم من تشتيت الجهود ونشر الفوضى في صفوف الجزائريين الوطنيين... كما نعتقد أن المثل العليا التي تؤمن بها الجامعة الفرنسية والشعب الفرنسي ستغلب على الثورات العصبية الاستعمارية، التي يتسم بها روبر لا كوست " وأذناه خصوصا وأن الأعمال العنصرية والوحشية، التي قامت بها جماعة من الطلبة الفرنسيين الرجعيين وعلى رأسهم "موسران" في مدينة "مونبوليه" ضد الطلبة المسلمين الجزائريين في أوائل سنة 1956م، قد أثارت آنذاك موجة من السخط والاستنكار بين الفرنسيين الأحرار، وأحدثت إنشقاقا في صفوف الاتحاد القومي للطلبة في فرنسا... ولما أن تساءل عن الأسباب التي دعت الحكومة الفرنسية اليوم إلى اتخاذ هذا الموقف " <sup>1</sup>.

وقد قرر الاتحاد العام في شهر نوفمبر 1957م وضع حد للإضراب اللاهائي عن التعليم الذي أعلن عنه في السادس والعشرين من شهر ماي سنة 1956م. أما الطلبة الجزائريون فقد عادوا من جديد إلى المعاهد، فما الداعي إلى حل الاتحاد بعد أن عادت الأمور إلى نصابها ؟ يقولون أن الاتحاد يقوم بأعمال سياسية تنافي القانون العام للمؤسسات الطلابية، ولكن هاته الأعمال الغير القانونية - كما يدعون - ترجع إلى مقررات المؤتمر الثاني الذي انعقد في شهر أفريل من سنة 1956م، عندما أعلن المؤتمر عن مطالبهم باستقلال الجزائر وتفاوض فرنسا مع زعماء جبهة التحرير الوطني.

أما العمل الغير القانوني الثاني الذي قام به الاتحاد في إعلان الإضراب اللاهائي ولم تترك الحكومة الفرنسية بعد انعقاد هذا المؤتمر وإعلان الإضراب داعيا إلى حل... فهل حدث جديد اليوم ؟ <sup>2</sup>

الحقيقة هو أن الطلبة الجزائريين قد أظهروا في أطوار كفاحهم رصانة وتعللا وحكمة جعلتهم يظفرون بعطف وتقدير وتشجيع المنظمات الطلابية العالمية، الأمر الذي استاء له "لاكوست" وأتباعه <sup>3</sup>.

**المبحث الرابع : دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس :**

**أولا: دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين**

إن التقارب بين الاتحادات الطلابية الثلاثة بشمال إفريقيا، بعد تكوين اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955م، قد أحدث هزة قوية في الأوساط الرجعية الفرنسية فأرادوا إخضاعهم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن يقضوا على هذه الوحدة قبل نشأتها، حيث كان "لاكوست" وأتباعه يعتقدون أن أعمالهم هاته ستمنع تحقيق الوحدة الطلابية في شمال إفريقيا، كما كانوا يعتقدون أن الاستفزاز والقمع

<sup>1</sup> - جريدة الصباح " القضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، 14 ماي 1957، ص 4.

<sup>2</sup> - جريدة العمل " الثورة الاستعمارية... "، 28 جانفي 1958، ص 3.

<sup>3</sup> - جريدة العمل " ثورة استعمارية "، 28 جانفي 1958، ص 3.

والتعذيب سيبعد الطلبة الجزائريين عن الدفاع عن مبادئهم السامية التي أعلنت في الفاتح من نوفمبر 1954م، وسيحول دونهم ودون العمل لتحقيق استقلال الجزائر .

وقد أجادت جريدة العمل التونسية لأكوست عن تلك المعتقدات في شكل سؤال مقوفا:

فيسأل "أكوست" عن نتائج سياسة أسلافه في المغرب وتونس... وليعظ ؟.

وفي العدد الصادر يوم التاسع والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، نشرت جريدة العمل التونسية برفقة موجهة من اتحاد طلبة تونس، إلى الرئيس الحبيب بورقيبة حول حل جمعية الطلبة المنسمين الجزائريين، مما جاء فيها : " إن المكتب التنفيذي للاتحاد العام لطلبة تونس يلفت سامي نظركم إلى خطورة العمل التعسفي الذي قامت به السلطات الفرنسية ضد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وما قامت به من تحطيم نوادي الاتحاد العام لطلبة تونس وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس، يرجو فخامتكم التدخل لضمان كرامة وأمن الطلبة التونسيين خاصة والمغاربة عامة " <sup>1</sup>.

رأينا في البرقية السابقة موقف اتحاد الطلبة التونسيين إزاء الإجراءات الاستعمارية التعسفية المتعاقلة ضد اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين عندما حطبت البرقية من الرئيس التونسي التدخل لصالح اتحاد الطلبة التونسيين وطلبة شمال إفريقيا على حد سواء.

أما في برقية أخرى نشرت في نفس العدد، وفي عمود آخر فقد عبرت عن احتجاج واستنكار اتحاد الطلبة التونسيين للقرار الفرنسي الخاص بحل اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، ومما جاء في هذا البلاغ : " لقد فوجئنا بخبر حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإيقاف قاداته بباريس من قبل السلطات الفرنسية، التي حطمت نأديه ونوادي الاتحاد العام لطلبة تونس، والاتحاد القومي لطلبة المغرب الكائنة بمقر جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس، كما عاثت بالملفات والأوراق وداست أعلام تونس والمغرب ".

إن هذا العمل الاستبدادي الرامي إلى خنق الحركة الثقافية الطلابية هو نعتنق للحريات الأولية. إن الاتحاد العام لطلبة تونس و فرع تونس للاتحاد العام للطلبة الجزائريين :

- 1 - يحتجون بنارم الاحتجاج لدى المنظمات الفرنسية على هذه الأعمال الرجعية.
- 2 يلفتون نظر الجامعة الفرنسية إلى خطورة مثل هذا الصنيع، الذي يشوه سمعتها ويمنس بتقاليد الديمقراطية. يعتبرون أن هذا القرار لا يؤثر على وجود اتحاد الطلبة الجزائريين لدى

الجامعة الشمال الإفريقية للطلبة فحسب، بل فقد يؤثر على المنظمات القومية والعالمية للطلّاب المتواجدين بفرنسا<sup>1</sup>.

يتضح من هذه التعاليق التي استقيناها من الصحافة التونسية أن تونس حكومة وشعبا كانت تولي القضية الجزائرية اهتماما كبيرا على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، وتجاوز المسؤولين الفرنسيين حوارا سياسيا وثقافيا منطقيا تريد إقناعهم بأن الأعمال التي يرتكبها الغلاة المعمرين بالجزائر هي أعمال وحشية لا تنتمي على الإطلاق للحضارة الفرنسية التي رفع شعارها مفكرون منذ قيام الثورة سنة 1789م، محاولة التأكيد لغلاة المعمرين في الجزائر على أن الشعب الجزائري لا يقل إنسانية وحضارة عن الشعب الفرنسي ذاته ومن ثمة فهو جري باسترجاع حقوقه في الحرية والاستقلال كسائر شعوب المعمورة التي اضطهدت من قبل إمبراطوريات استعمارية ثم حررها من رغبة العبودية والاستعمار . إن اتحاد الطلبة التونسيين قد وقف موقفا تاريخيا إلى جانب شقيقه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين طوال سنوات الثورة كلها .

#### ثانيا: دور المؤسسات التعليمية بتونس:

يعتبر التعليم من المهام الاجتماعية والثقافية التي أولتها الثورة الجزائرية اهتماما كبيرا وخاصة مسألة تعليم الأطفال الجزائريين من أبناء اللاجئين المستقرين بتونس، فكانت مصلحة الشؤون الاجتماعية بقاعدة تونس تقوم بالمهام التعليمية إلى جانب الإيواء والصحة والعناية الاجتماعية . وانتدبت المعلمين للتعليم بمراكز اللاجئين وقد نكفوا تعليم وتثقيف آلاف الأطفال<sup>2</sup> .

وسعت المصالح الاجتماعية لجهة التحرير الوطني إلى إدماج الأطفال الجزائريين بالمدارس التونسية لمزاولة تعليمهم وفق البرامج التونسية وأنشأت وزارة الشؤون الثقافية العديد من المدارس الابتدائية داخل الملاجئ وخارجها حيث تتكفل بكل شؤونهم، وقد أنشأت مدرسة خاصة بالجزائريين في باردو بتونس سنة 1957م كانت تضم مائة طفل يزاولون تعليمهم في نظام تربوي جماعي، وبعد مدة عمم هذا النظام على كل الطلبة واللاميد الجزائريين، وتكفلت جهة التحرير الوطني بالإنفاق عليهم ووضعوا في مؤسسات تربوية مشتركة<sup>3</sup>، ويذكر أحمد توفيق المدني أنه كان يوجد في سنة 1959م بتونس وخدها عشرون

1 - جريدة العمل : "اتحاد طلبة تونس يرأسه الحبيب"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م، ص3.

2 - جريدة العمل : "احتجاج طلبة تونس على حل جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين من قبل حكومة فرنسا"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م، ص3.

3 - بنظر المصالح : العدد 12 (15 ديسمبر 1957)، ص3.

مدرسة ابتدائية لتعليم أبناء اللاجئين ومائة مدرس<sup>1</sup> بالإضافة إلى 700 طالب جزائري بالكليات التونسية وإثر زيارة وزير الشؤون الثقافية لتونس عقد اجتماعا للطلبة وآخر للتلاميذ المدارس بتونس في ديسمبر 1958 وأعلمهم أن الوزارة ستتكفل برعايتهم وحل مشاكلهم وستخصص مبلغ مليون فرنك خلال تلك السنة لتحسين أوضاعهم المعيشية، كما قامت الوزارة بمبادرة هامة تمثلت في تخفيف الضغط على الطلبة بتونس وتوزيع أعداد منهم على الجامعات والمعاهد بالمشرق العربي<sup>2</sup>، وسعت الوزارة لبذل مساعيها لدى السلطات التونسية لتمكين الطلبة الجزائريين من مواصلة تعليمهم بالمدارس والمعاهد التونسية، وقد كانت الحكومة التونسية تتكفل سويًا بمائتي طالب جزائري بالثانويات التونسية وتدفع جميع مصاريفهم؛ وقدمت منحًا للجزائريين لإتمام دراستهم بالخارج<sup>3</sup>، وأولت وزارة الشؤون الاجتماعية اهتمامها الخاص بتعليم أبناء الشهداء فأقامت لهم بتونس خمسة مراكز تضم 800 طفل وطفلة<sup>4</sup>.

كما اهتم الاتحاد العام للعمال الجزائريين بمصير أبناء الشهداء وأسس لهم بتونس " دارين بالموسى (تونس) تضمان نحو مائتين وستين يتيما وهو مشروع إنساني عظيم... كما عمل الاتحاد على إعداد دار للبيئات بتونس كذلك"<sup>5</sup>؛ ومن ضمن الاهتمامات الاجتماعية للاتحاد التكفل بأبناء العمال اللاجئين، إذ اعتنى بهم وأنشأ لهم المدارس وكذا مراكز التكوين المهني المتعددة الاختصاصات والتي مكنت الشباب من الإحراز على تكوين مهني يمكنهم من الاندماج في المجتمع، وقد وظف كثير منهم بالورشات الصناعية وباللمؤسسات التونسية، ونذكر من بين مراكز التكوين المهني مركز عيسات إيدر للتكوين المهني الذي يعتبر مركزا هاما للتكوين الصناعي لأبناء الشهداء بتونس وأنشأ الاتحاد العشرات من دور الأطفال لليتامي منها دار عيسات إيدر لليتامي بتونس تأوي 150 طفلا ودار بن مهدي وضمت مائة طفل<sup>6</sup>؛ وقد بلغ عدد الأطفال الذين شملتهم رعاية الاتحاد حوالي 20 ألف طفل<sup>7</sup>.

وبفضل تسهيلات الحكومة التونسية ودعم الاتحاد العام التونسي للشغل تم تمكين الشباب الجزائريين من الإحراز على تدريبات مهنية بمراكز التكوين المهني التونسية، ويذكر رشيد قايد أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين سطر بالتعاون مع الاتحاد العام التونسي للشغل برنامجا يقضي تكوين 25 نقابي

<sup>1</sup> - بوعزيز يحي : دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير، الوطاني، الثقافة : العدد 83 ( سبتمبر - أكتوبر 1984)، ص 284.

<sup>2</sup> - المذني أحمد، أوفيق : مرجع سابق، ص 488.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 407.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 472.

<sup>5</sup> - أمفران عبد الحفيظ : مذكرات من مسيرة اتصال والجهاد، مرجع سابق، ص 116.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 11.

<sup>7</sup> - بطل حوار مع الشاهل ضاوي بوديسة، جريدة الشعب : عدد يوم (22 جوان 1987)، ص 12.

جزائري بمدارس التكوين النقابي التابعة لاتحاد العام التونسي للشغل، و18 نقابي في قطاع سكك الحديد، و26 نقابي في قطاع البريد، وتحصل الاتحاد العام للعمال الجزائريين على مساعدات هامة قدمتها النقابات الدولية المتعاطفة مع كفاح الشعب الجزائري تمثلت في منح لتكوين بالخارج ووسائل وتجهيزات خاصة بالدراسة والتمهين، كما ساهم الهلال الأحمر الجزائري كهيئة اجتماعية إنسانية في تعليم أبناء اللاجئين والتكفل بهم فأنشأ مراكزا للتمامي بضواحي تونس وهو عبارة عن عمارة كبيرة يقطن بها ألف طفل<sup>1</sup>.

إن الحكومة التونسية والمنظمات الاجتماعية التونسية شجعت وأزرت نشاط هذه المدارس والمراكز التعليمية كرمها تقوم مهام نبيلة لصالح أبناء اللاجئين، فسهلت السلطات التونسية استقبال المدارس الجاهزة التي قدمت كهدية لأطفال الجزائر، وأبدت الكثير من التسهيلات في هذا الشأن.

إن عناية الثورة التحريرية بتعليم وتكوين الآلاف من الأطفال اللاجئين كان يهدف إلى بناء مجتمع مثقف ومحصل بالمعارف والعلوم التي تمكنه من مواجهة المستقبل؛ وعليه فإن جبهة التحرير الوطني لم تنتظر انتهاء المعركة المسلحة لتفكر في مستقبل الشعب وتنظيم المجتمع الذي ستعرفه الجزائر المستقلة، حيث بدأت تنظيمات وبنية المجتمع التوري تتضح مع تطور الثورة التحريرية، والتحام الشعب الجزائري في معركة النضال من أجل الاستقلال، ولم تقتصر مهام جبهة التحرير الوطني بتنظيم وإحصاء الجالية الجزائرية والاهتمام بأوضاع اللاجئين، بل شملت شؤون المجتمع الجزائري والعناية بعناصره وفئاته الاجتماعية وتأطيره في المنظمات الاجتماعية والثقافية، وستعبر الحديث هنا على مهمة بناء المجتمع والعناية بعناصره الفاعلة لتحاول الوقوف على ملامح التعريف الاجتماعية لمجتمع اللاجئين.

وحمة القول أن النشاط الثقافي في الثورة الجزائرية من خلال ما نشرته بعض الصحف الجزائرية والتونسية كجريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني، وجريدتا الصباح والعمل التونسيان خلال الفترة الواقعة بين (1954-1962م)، كان نشاطا مركزا على دور الطلبة الجزائريين في الخارج، خاصة موقف سلطات الاحتلال من نشاطهم واتحادهم قبل حله وبعد حله، ولكن هذا لا يعني أن الثورة الجزائرية في هذه المرحلة لم يكن لها نشاط ثقافي آخر في البلدان العربية والغربية في ذلك الوقت، ولكن بما أن موضوعنا محدد بالعلاقات الثقافية الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية، فإننا اكتفينا بما نشر في صحف المجاهد والنصاح والعمل ومراجع أخرى، خلال الفترة المشار إليها آنفا.

وانتق أن الصحافة التونسية كانت مفتوحة للأفلام الجزائرية خاصة بعد استقلال تونس، فكانت أخبار الثورة الجزائرية تشكل المادة الأساسية فيما ينشر وتصدر الصفحات الأولى وهذا حتى استقلال الجزائر.

<sup>1</sup> المجاهد العدد 28، 58 ديسمبر 1958، ص 9.

وعموما فقد قام الجزائريون بتونس سياسيون ومتقنون بعمل دعائي كبير للثورة فرسموا عنفوانها بأقلامهم وصوروا معاناة الشعب ومحمودة وتصميمه على استرجاع الاستقلال الوطني مهما كلفه ذلك من تضحيات بشرية ومادية، وكشفوا بشاعة الأعمال التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي، وتميز عملهم بحارة عاطفية واندفاع قومي وغيرة عربية وإسلامية. إن العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس كانت ثورة أخرى ساهمت في تقديم الصورة البائسة والحزينة التي رسمها الاستعمار الفرنسي في الجزائر والشعب الجزائري حيلة قرن وربع قرن. وفي نفس الوقت ساهموا في تفتين الروابط الأخوية بين شعبين جزائري وتونسي وطلاب الحزينة في كل أنحاء العالم.

بعد هذه الدراسة المفصلة أحيانا والموجزة أحيانا أخرى نخلص إلى القول: أن العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس كانت لها أصول وجذور عميقة في التاريخ، ولكن غر الوعي القومي والشعور ببعث الهوية الوطنية الجزائرية بشكلها الحديث، لم يحدث إلا بعد صراع مرير مع الدولة المستعمرة التي أرادت استبدال الهوية الفرنسية بالهوية الجزائرية.

إن ثورة الفاتح من نوفمبر قد زادت الجزائريين رغبة في تحصيل العلوم والمعارف العربية: كما رفعت نسبة البعثات والوفود الدراسية، وصار جامع الزيتونة العتيق جامعة أهلة بالطلبة الجزائريين الذين امتزجت أفكارهم وسلوكياتهم الاجتماعية بأشقاتهم التونسيين؛ حتى صار الجميع يتطلع إلى مستقبل واحد ومجتمع واحد ودولة واحدة، ولما اتبلج فجر عصر الجماهير الذي واكب اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر الجزائرية، تطورت تلك العلاقات الثقافية من الامتزاج الثقافي والاجتماعي إلى الامتزاج السياسي والاقتصادي بل وحتى العسكري، وأصبحت المؤسسات التونسية على اختلاف مهامها واختصاصاتها تستقبل الإطارات الجزائرية في هياكلها ووظائفها الداخلية: في الطب وفي التمريض وفي التدريس وفي الصحافة وغير ذلك من الوظائف التي تتطلب الكفاءة العلمية والمهنية، وهكذا التحم المجتمعان الجزائري والتونسي بفضل الزخم الثوري الذي عم المنطقة العربية عامة والجزائر بصورة خاصة.



جامعة البحرين

## خاتمة البحث :

بعد هذه التجربة المتواضعة في بحث العلاقات الجزائرية التونسية إبان ثورة التحرير الجزائرية الكبرى وتنبع خلفياتها ومتحولاتها المختلفة، والوقوف عند عدد من المحطات السياسية والاجتماعية والثقافية نخلص إلى النتائج الآتية :

**أولاً :** إن العلاقات الجزائرية التونسية لم تكن وليدة سنوات الكفاح الجزائري المسلح فحسب وإنما هي علاقات عميقة الجذور بين السكان المغاربة على امتداد العصور التاريخية على أساس أن الشعب العربي والشعب الأمازيغي في هذه الربوع قد عرف امتزاجاً كلياً فيما بينه سياسياً وثقافياً واجتماعياً، ومهما حاول الاستعماريون فك الروابط الأصيلة بين هؤلاء السكان، فإنهم لم يتمكنوا من ذلك وباءوا بفشل ذريع، لأن الجميع قد انصهر في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية، التي نقلت أهل هذه البلاد من عصر الجهل والتشردم والتأخر إلى عصر المدينة والأعزوة والتعاون والعلم وانفتح على العالم، ومن هنا فإن القول بوجود شعبين متميزين عن بعضهما في الجزائر وتونس هو قول مردود على أصحابه من مثلي المدرسة الكونولبانية التي تعمدت التفريق بين هؤلاء السكان عن إدراك ودراسة بكل المنعطيات التاريخية والحضارية التي تبلورت فيها شخصية بلاد المغرب الإسلامي من أقدم العصور إلى يومنا هذا.

**ثانياً :** إن العلاقات السياسية بين البلدين كانت تزهو وتغتر باستمرار تبعاً لظروف البلدين في كل حقبة من حقبة التاريخ، وقد ظل المجال الجغرافي مفتوحاً بينهما على امتداد التاريخ. فمرة تمتد النفوذ الجزائري حتى إلى جبل نفوسة بليبيا عبر الجنوب التونسي، ومرة تصبح تونس تابعة لقسنطينة وأحياناً تصبح قسنطينة تابعة إلى تونس، وهكذا دواليك دون أن نحسب عصر الموحدين والمرايطين ونحو ذلك، ولكن العلاقات السياسية المتميزة قد ظهرت بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر، حيث أصبح كل من الجزائريين والتونسيين يخوضون حرباً واحدة ضد الهيمنة الاستعمارية المتغطرسة، التي مدت نفوذها على كل أقاليم المغرب وسيرتها جزءاً من الممتلكات الفرنسية.

فكان موقف أبناء البلدين موقفاً واحداً في النضود عن الشرف والكرامة واسترجاع السيادة الوطنية وأصبحت القيادتان الجزائرية والتونسية تعربان عن موقف واحد إزاء مستقبل البلدين ومطامح الشعبين حتى استرجعتا استقلاليهما الواحدة تلو الأخرى، وضار لكل بلد دولة وطنية خاصة، مع إبقاء التعاون مستمرا في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية بل والاجتماعية أيضاً، ولعل الخطوات التي خطتها الدولتان الآن ستؤدي مستقبلاً إلى إتمام الوحدة المغاربية وتكوين دولة واحدة.

**ثالثاً :** إن الروابط الثقافية التي تربط سكان البلدين هي روابط قديمة أيضاً تعود إلى تأسيس جامعة الزيتونة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، حيث أصبحت هذه الجامعة قبلة طلاب العلم والمعرفة، ليس فقط من

البلاد التونسية بل من كل البلدان المغاربية، وفي مقدمتها الجزائر، ولكن ثورة التحرير الجزائرية قد عمقت هذه العلاقات الثقافية أكثر من ذي قبل، حتى أصبح معظم المثقفين الجزائريين إبان الثورة وعلماء الاستقلال الوطني متخرجين من الزيتونة يرفعون تحدي الجهل والأمية في المدرسة الجزائرية، وفي وسائل الإعلام الوطنية باللغة العربية وكان كل من يتخرج من الزيتونة يطلق عليه في الجزائر اسم "عالم" وكان مفهوم العلم عند الجزائريين مقتصرًا على أولئك المثقفين في الدين والأدب والتاريخ ونحو ذلك من العلوم والفنون العربية والإسلامية.

رابعاً: أما عن التواصل الاجتماعي بين البلدين فإنك لا تستطيع في غالب الأحيان أن تفصل بين العائلات الجزائرية والتونسية، فهي أسر متشابكة مع بعضها البعض بالدم والمصاهرة، لاسيما المناطق العربية للبلاد التونسية، ولم تكن العلاقات الاجتماعية حديثة العهد هي الأخرى، بل فإنها ذات تاريخ عريق، ولكنها ازدهرت وتطورت إبان الثورة التحريرية الجزائرية حيث أصبحت الأسر الجزائرية والتونسية تتقاسم المسكن والمأكل والملبس، وتشارك في الآلام والأمال أمام الحرب الاستعمارية الشرسة، التي شنت على بلدان المغرب العربي قرناً وثلاث فترات من الزمن، فكثرت قرى الجزائريين والتونسيين يعيشون إخوة متضامنين ومتآزرين في أوقات الشدة ومتزاوئين منسرحين أوقات السلم والرخاء، بل ويتوتون جنباً إلى جنب على حدود البلدين من جراء قصف الآلة الاستعمارية لسكان المناطق الحدودية المتجاورة، وسواء في عهد الاحتلال أو في عهد الاستقلال، فإن لا أحد استطاع ويستطيع الفصل أو التفريق بين هؤلاء السكان، مهما كانت الظروف السياسية والاقتصادية بل وحتى الحربية، لأنهم يشكلون وحدة بشرية منجاسة متناغمة ومتعاونة في السراء وفي الضراء.

وصفوة القول أن العلاقات الجزائرية التونسية إبان مرحلة الكفاح المسلح في الجزائر، قد مثلت قمة التقارب والترايط والامتزاج على كل المستويات، حتى أصبح الإنسان لا يفرق بين جزائري وتونسي إلا بالبطاقة إن كانت ضم بطاقة أو رخصة تنقل أو إذن بالمرور، من دأبت به الأرض في الجزائر يغادرها إلى تونس، ومن دأقت به الأرض في تونس يغادرها إلى الجزائر.

وهكذا فإن الشعب الجزائري والشعب التونسي هما شعب واحد، لا يصح أن تطلق عليهما اسم الشعب الجزائري والشعب التونسي، وإنما يصح أن نقول سكان البلدين أو شعب البلدين الجزائري وتونس لأنهم لا يختلفون عن بعضهم البعض إلا باسم البلد الذي ينتمون إليه.

ایمان و حق

## الملحق رقم : 01

### ندعو ومازلنا ندعو إلى التفاوض المباشر الرسمي<sup>1</sup>

أدلى محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة الجزائرية ظهر أمس بتصريح جاء فيه :  
" أخذت بعض الأوساط السياسية والصحفية الفرنسية تروج من جديد منذ بضعة أيام تصريحات مزيفة منسوبة إلى ناطقين باسم الجزائريين يحيط بهم الخفاء والكتمان، وهذه الحملة تظهر آثارها في العالمين لتنتشر تصوراتها بين قومسي وتنسب إلى أشخاص يتكلمون كثيرا دون أن تعلن أسماءهم، وكل هذا من شأنه أن ييث الاضطراب في العقول وان يضاعف دواعي اللبس .

وبما أن الاضطراب واللبس لا يستفيد منه إلا خصوم التفاوض فإنه يسهل الاهتداء إلى مصدر هذه الحملة، ذلك أن المستفيدين من حرب الجزائر والاستعماريين العبيدين لم يياسوا بل أقام لهم لن يبتخلوا بأن جهد الاعتراض على إرادة أغلبية الأمة الفرنسية التي توالى ضغطها كي تبدأ حالا المفاوضات الرسمية المباشرة وما أهم أسلحتهم التي يعتمدون عليها إلا الكذب والتصريحات المرورة والأبناء المنفقة التي يصنعونها مسعاً، بالإضافة إلى عملية بعث الاضطراب في النفوس والركون إلى التشديق بخلافات موعومة يدعون أنها قائمة داخل حكومتنا أن اكتفي في هذا الصدد بأن أقول أن أولئك الذين يروجون تلك الأراجيف التبتت عليهم حكومتنا بغيرها .

كل هذا يثير سخرتنا ولكنه لا يجعلنا نعرض عن أهدافنا الأساسية، إن مساهمتنا في قضية السمع بالجزائر تكنسي صيغة موقف سياسي واضح لا لبس فيه، إننا ندعو ومازلنا ندعو إلى التفاوض الرسمي المباشر دون شرط مسبق مهما يكن نوعه، ونحن على استعداد لخوض هذه المفاوضات ونعلم ما نريد وإلى أين نسير .

وموقفنا يحظى بمساندة حكومات المغرب وشعوبه المتدفعه في طريق الوحدة، كما أننا واثقون من تأييد لا تحفظ فيه يحيط به العالم العربي وإفريقيا وآسيا والشعوب الحية للإسلام، ثم أننا واثقون أن جانباً كبيراً من الرأي العام الفرنسي يؤازرنا وهذا عنصر له أهميته أيضاً، وبما أننا نعتمد على كل ذلك فإننا لن نترك ما حدا لأقل ذاع من دواعي اللبلة ولالية متاورة".

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية بين الحزب العربي الدستوري، التونسي، 1673، يوم الخميس 22 رمضان 1380/04 مارس 1961، ص 1.

## الملحق رقم: 02

### رسالة العمل ساعة التفاوض<sup>١</sup>

ينتظر الناس في كل مكان الإعلان عن موعد افتتاح المفاوضات الرسمية بين حكومة باريس والحكومة الجزائرية المؤقتة، ولم يصبح التفكير منصرفا إلى العوامل السياسية الأخرى المساعدة والمسيئة، التي خف بالتفاوض نفسه فقد أجمع الرأي العام العالمي على اعتبار التفاوض المقبل نتيجة في حد ذاته.

وإذا ما حللنا هذا الإجماع وجدناه يركز على نظرة سياسية صحيحة ويستند إلى مراجع سياسية واقعة. إن حصول اتفاق بين الجانبين المعنيين مباشرة بقضية الحرب وقضية الحرية في الجزائر يعني تحقق استعداد للتفاهم وبالتالي لوجود الحل الملائم الذي لا سبيل إلى الظفر به بغير النقاش المفصل حول نقاط الخلاف وحول أسس المستقبل السياسي والإنساني لعلاقات البلدين ومدى ارتباطهما ببعضهما.

ولقد سجل التاريخ من قبل قضايا عسيرة تم حلها في ظروف ملائمة وعلى أسس مقبولة وغن كانت غير دائمة لما فتح باب التفاوض المباشر واستعد الجانبان للتفاهم. ولقد سجل التاريخ في تونس -مثلا- أن التفاوض كان نتيجة تطور سياسي ولدته فترة التصادم وانعدام التفاهم، ثم كان لتلك النتيجة حصول إنجاز ما اعتك يتسع حتى تحقيق الاستقلال الكامل للبلاد.

لذلك فقد وجب أن يكون التفاوض المقبل بين حكومة فرنسا وحكومة الجزائر خاليا من شوائب التردد وبعيدا عن أجواء التوقع التي يسعى لإيجادها شق أنصار الحرب والإبادة، وجب أن تكون نتيجة التفاوض مضمونة الإيجاب، ولضمان الإيجاب لزم الاستعداد ولزمت الصراحة وعزيمة التفاهم، فلا يمكن أن يؤول مفاوضات (إيفيان) إلى فشل قد يؤول بالمغرب الكبير إلى سلوك متعرج خطير ليس من صالح فرنسا مطلقا أن تعمل على إيجاده فيكون التصدع المطلق.

فإذا التفتنا إلى حكومة الجزائر دي غول لنؤكد لها أن قيامها بإدارة إطلاق سراح من بلده ونزلاء أوكس والمسجونين الكثيرة الأخرى سوف يقابله الرأي العام في المغرب الكبير بكل ارتياح، فضلا عما يرى فيه من تطبيقات وضمائم لنجاح المرافقة الفرنسية الجزائرية - فما هو إلا حرصا على تقريب ساعة السلم والتفاهم ولنسوف نخدم تلك المبادرة مبدأ التفاوض نفسه وتضمن مناعته-.

<sup>١</sup> - جريدة العمل التونسية بيان الحزب الحر الدستوري التونسي، العدد 1687، يوم الأحد 10 شوال 1380/26 مارس 1961، من 1.

## ملحق رقم: 03

السيد كريم بلقاسم يعود إلى تونس ويقول  
نحن على استعداد دائم للتفاوض<sup>1</sup>

أدلى السيد كريم بلقاسم بتصريح قال فيه:

" ليس لدي ما أقوله لكم سوى أنني وجدت أثناء زيارتي الدبلوماسية الأخيرة تفهما كبيرا لدى البلاد والحكومات العربية، وقد أكدت هذه الحكومات مساندتها المصطنقة لسياسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ولكفاح الشعب الجزائري في سبيل استقلاله..."

واستطرد السيد كريم بلقاسم قائلا: "... أن الأمور تتقدم بقدر ما نفاير نحن على عملنا الذي يتعزز به جهاز الثورة الجزائرية في الميدانيين الداخلي والخارجي ..."

وجوابا عن سؤال جرحه أحد الصحفيين قال نائب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مؤكدا: "... إننا نحن الذين طالبنا بالتفاوض لذلك فنحن على استعداد دائما لإجراء المفاوضات وموقفنا منها معروف".

وإجابة عن سؤال آخر يتعلق بتقديم الخطى نحو التفاوض قال السيد كريم بلقاسم: " لقد حصل تقدم بطيء ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك وإن الأيام المقبلة هي وحدها التي ستبين لنا هل أن هذه المفاوضات ممكنة أم لا".

وقد كان في استقبال السيد كريم بلقاسم في مطار العوينة كل من السيد محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة الجزائرية والأستاذ بوزيده نائب رئيس البعثة الجزائرية بتونس والسيد رشيد قايد مقرر ديوان السيد محمد سعيد وزير الدولة.

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية بيان الحزب الحر الدستوري التونسي، العدد 1676، يوم الأحد 25 رمضان 1380/12 مارس 1961، ص 1.

## ملحق رقم: 04

رسالة العمل  
في انتظار النتائج والأفعال<sup>1</sup>

لم تشد منذ أيام صحيفة قُسم بالقضبة الجزائرية في الحديث عما جرت العادة الآن على تسميته "المباحثات السريين بين الجزائريين والفرنسيين". فقد رددت كل صحيفة يومية أو أسبوعية تريد أن تكون لها يد في هذه التطورات أخباراً تفتقر إلى الصحة بقياس مقدار علم كبار محرريها بحقيقة الأوضاع الحالية. وشاهدنا الاهتمام بهذه المباحثات التي لم تبق على أية حال سرية في كتيبها يتزايد بقدر ما يلح المسؤولون من هذا الجانب أو ذاك على ضرورة ملازمة الصمت.

لكن مهما يكن من أمر فإن مجرد المقابلة بين مختلف التصريحات الرسمية تبرز بعض العناصر الثابتة: فأول عنصر هو أن الاتصال بين الجزائريين والفرنسيين قد ربط، وإن حافظ الطرفان على سرية هوية ممثليهم ومكان اجتماعهم وتاريخ التقائهم لأول مرة والفحوى الحقيقي لمباحثاتهم.

والعنصر الثاني هو أن هذا الاتصال لم ينقطع منذ انقطع في مولان بعد مباحثات تم تدم إلا بضعة أيام ولم يحدث من الجانبين إنكماش أو احتراز اللهم تلك المحاولة التي صدرت عن بعض الدوائر الفرنسية والتي أسرع المقربون إلى الجنرال دي غول إلى إلزائها.

أما العنصر الثالث فهو يتمثل في هذا الانتظار "الإنجائي" - إذا صح هذا التعبير، لأنه انتظار إن لم يتصف بكثير من التفاؤل فإنه لا يتسم على أية حال بالتشاؤم.

فمن خلال هذه النتائج وحدها - يكفينا إذا أردنا الانحصار عليها أن نقول أن ما تم إلى الآن يلقي ضوءاً ساطعاً على الموقف الموحد الذي أبرزته في المغرب الكبير ندوة دار السلام حيث استطاع فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة أن يتمم أهمية الدور التاريخي الذي بدأه في رامبوي وأن يلمس من النتائج ما أكد أمنيته في افتتاح طريق السلم.

فلنتظر حينئذ نهاية هذه المرحلة الهامة راجين أن نترجم الأفعال بسرعة عن "التطور السريع الإنجائي" الذي أقر ضرورته بلاغ رامبوي وأن يصبح ما أعلنه دار السلام من عدم وجود ما يحول دون التفاوض المباشر بين حكومة الثورة الجزائرية والحكومة الفرنسية واقعاً في أقرب الأيام.

<sup>1</sup> - جريدة العمل التونسية بين الحزب الحر السنوري التونسي، العدد 1676، يوم الأحد 25 رمضان 1380/12 مارس 1961، ص 2.



# كيمياء جغرافية البحر

## بيبلوغرافية البحث:

### المصادر والمراجع

#### 1/ باللغة العربية:

##### أ- الكتب:

- 1- إبراهيم مذكورة، وثنية من الأساتذة العرب : معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: 1975م
- 2- أحمد محسن: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود ومحمد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، القصبة، الجزائر، 2002م.
- 3- الحاج لخضر "العقيد": قيادات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها، كتبها انطاهر حليس، تركة الشهاب، الجزائر، دون تاريخ.
- 4- أرغندي محمد لحسن: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1989م.
- 5- أحمد توفيق المدني حياة كفاح ج3، تفصيل القضية وجهود أحمد المستيري سفير تونس بالقاهرة للحصول على القرض المالي من دولة الكويت .
- 6- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مذكرات ج3، ط2، م و ك، الجزائر، 1988م.
- 7- أبو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر ، م. و . ك. الجزائر 1985م .
- 8- الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998م.
- 9- الجندي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة ج3، طبع المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر، 1986م.
- 10- الجندي خليفة: حوار حول الثورة ج3.
- 11- الرائد عثمان معدي بن الحاج : مذكرات ، دار الأمة ، سنة 2000م.
- 12- - بيايمين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، ترجمة صادق عمري ومصطفى ماضي، دار القضية للنشر، الجزائر: 1999م.
- 13- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونهاية 1962م: دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت: 1997م.
- 14- بن يوسف بن خدة : شهادات ومواقف، دار النعمان للطباعة والنشر الجزائر: 2004م

- 15- بن يوسف بن خدة، اتفاقيا إيقيان، تعريب حسن زغلدار ومحل العير جبايلي، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ت ، الجزائر.
- 16- بورقية الحبيب: من أقوال مجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقية، منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري، طبع ب.ش.ف.ر.ذ.ص، تونس 1984م.
- 17 ثامر عبد الرؤوف، المؤتمرات الأفرو-آسيوية والقضية الجزائرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد 08 / ماي 2003م.
- 18 جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأمية ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1991 م .
- 13
- 19- جوان غيديسي: الجزائر الثائرة، ترجمة خيرتي حماد، دار الطليعة، بيروت لبنان: 1961م.
- 20- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المحاض، ترجمة نجيب عباد وصالح التلوئي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1994م
- 21- ديش اسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية اتحاد الثورة الجزائرية، ط1، دار افوسة، الجزائر 2000م.
- 22- دمي محمد، وفاء للشهداء: شركة العمل للنشر، تونس ، 1968م.
- 23- ديقول: مذكرات الأمل ، ج3، التجديد، (1958م-1962م)، ترجمة شوقي فوق العادة ط1: منشورات عويدات، بيروت، 1971م.
- 24 رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية، عرض مصور، ط18، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 2001.
- 25 رضا مالك، الجزائر في إيقيان: تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ت فارس غصوب، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر ودار الفارابي-بيروت-2003م.
- 26- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة محمد حافظ الجمالي، منشورات النكزي الأربعين للاستقلال 2002م.
- 27- شارل ديقول : مذكرات الحرب " الخلاص " 1944-1946، ترجمة : خليل هندواي وإبراهيم نوجاعة، مراجعة :أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان: 1970
- 28- شارل اندري جوليان :إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنحي سليم ، وآخرون، مراجعة: فريد السوداني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر: 1976م.

- 29- شارل روبيير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمه عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1982م.
- 30- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، غنابة، الجزائر: 2002م
- 31- عبد الحميد نخيث: الاجتماع العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف، مصر: 1961م.
- 32- عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة: 1965م.
- 33- عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة: 2004م.
- 34- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
- 35- عمار هلال: الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري، (1945-1947)، لجنة الذاكرة ع3، المتحف الوطني للمجاهد المطبعة الجزائرية للمجلات والخرائط، الجزائر، 1995م.
- 36- عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والجهود الإيديولوجية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م.
- 37- عنى تابليت "من جرائم فرنسا في الجزائر" مذابح 8 ماي 1945، كمقدمة وتمهيد لثورة أول نوفمبر 1954، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر، مطابع عمار قري، باتنة، الجزائر: 1994، ص ص 19-20.
- 38- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1981م.
- 39- عامر رحيقة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي.
- 40- عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية الجزء الأول 1991، السداسي الثاني، منشورات وزارة المجاهدين، بدون تاريخ.
- 41- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، نيل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة الشمسية، المغرب دون تاريخ.
- 42- فتحي الديب: عيد النصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984م.
- 43- فضيل الورتلاي: الجزائر الثائرة.
- 44- قرانز فانون: معدبو الأرض: ترجمة: د. سامي الداروي و د. جمال الأتاسي، ط3، دار الطليعة بيروت 1979م.

- 45- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج3 دار البعث، قسنطينة، 1991م.
- 46- مصطفى طلاس وبسام العسلي: الثورة الجزائرية، ط1، دار الشورى، بيروت، لبنان: 1982
- 47- محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المحاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر: 1994م.
- 48- مولود قاسم ثابت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر: 1983م.
- 49- محمود كامل المحامي: الدولة العربية الكبرى، ط2، دار المعارف، بمصر، دون تاريخ.
- 50- محمد كامل ليث: المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة 1966م.
- 51- محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1999م.
- 52- محمد العربي الزيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث الجزائر: 1984م.
- 53- محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان: 1983م.
- 54- شغوف فداش والجيلالي صاري: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحى والطريق الثورى، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1987م.
- 55- محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1997م.
- 56- مصطفى هشماوي: جنود نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- 57- محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة علي الخش، دار البقطة العربية، ب ت،.
- 58- محمد يوسف: الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن داوي حسين، وزارة المجاهدين، الذكرى 40 لاندلاع الثورة.
- 59- محمد عباس: ثوار عظماء، دار هومة الجزائر: 2003م.
- 60- مصطفى هشماوي، جنود نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- 61- محمد حسنين: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1986م.
- 62- محمد حسنين: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م.
- 63- محمد العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1996)، ج2 دار هومة، الجزائر: 2000م.

- 64- محمد الصالح الجابري : النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، 1983م.
- 65 محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأفلام الجزائرية، كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية (1954-1962)، بحث غير منشور.
- 66 محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع : ترجمة كميل داعتر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983م.
- 67 مصطفى طلاس، وسام العسلي: الثورة الجزائرية، ط1، مؤسس طلاس للدراسات والنشر دمشق، 1984م.
- 68- محمد الميلي : مواقف جزائرية، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984م.
- 69- محمد الصالح الجابري و آخرون : الأدب العربي في شمال إفريقيا، مقالات نقدية وبيبلوغرافية وصفتها، دار مهجر 1982م.
- 70 - محمد صالح الجابري : النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900- 1962، الدار العربية للكتاب .
- 71- محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأفلام الجزائرية، كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية 1954-1962، بحث جماعي غير منشور.
- 72- محمد صالح الجابري : الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس، مجلة الثقافة العدد 86، الجزائر 1985م.
- 73- محمد صالح الجابري : الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة العدد 96، الجزائر 1986م.
- 74- خللاء عز الدين وآخرون : العالم العربي، تقديم: حسن جلال العروسي، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مصر: 1962م.
- 75- وليم.ب. كواندت، الثورة والقيادة السياسية. الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق: 1981م.
- 76- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2. ط2 منشورات المتحف الوطني للمجاهد

ب/الدوريات:

- 1- المجاهد : العدد 18 (16 فيفري 1958م).
- 2- المجاهد الأسبوعي: العدد 72، 11 جريدة 1960م.
- 3- المجاهد: العدد 36 (06 فيفري 1959م).
- 4- المجاهد: العدد 20، (15 مارس 1958).
- 5- المجاهد: العدد 19 (01 مارس 1958).
- 6- المجاهد : العدد 66 (18 أبريل 1960).
- 7- المجاهد : العدد 12، (15 نوفمبر 1957).
- 8- المجاهد: العدد 36، (06 فيفري 1959).
- 9- المجاهد : العدد 120 (10 أبريل 1961).
- 10- المجاهد : العدد 54 (1 نوفمبر 1959).
- 11- المجاهد : العدد 55 (16 نوفمبر 1959).
- 12- المجاهد : العدد 33 (08 ديسمبر 1958).
- 13- المجاهد : العدد 45 (29 جوان 1959).
- 14- المجاهد: العدد 58 (28 ديسمبر 1958).
- 15- المقاومة الجزائرية: العدد 03، (03 ديسمبر 1956).
- 16- المقاومة الجزائرية : العدد 16 (03 جوان 1957).
- 17- المجاهد، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني (الطبعة التونسية): العدد 16
- 18- جريدة الشعب، حوار مع المناضلين صباي بوديسة: عدد يوم (22 جوان 1987).
- 19- جريدة الصباح " القضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، 14 ماي 1957م.
- 20- جريدة العمل " النعرة الاستعمارية... "، 28 جانفي 1958م.
- 21- جريدة العمل " نفرة استعمارية "، 28 جانفي 1958م.
- 22- جريدة العمل : "الاتحاد طلبة تونس يرأسل الخبيب"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م.
- 23- جريدة العمل : "إحتجاج طلبة تونس على حل جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين من قبل حكومة فرنسا"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م.
- 24- جريدة الصباح : " الطلبة الفرنسيون يطالبون بإيجاد حل سياسي لقضية الجزائر "، العدد 16 أبريل 1957م.
- 25- جريدة الصباح: جبهة متحدة أحزاب شمال إفريقيا.

- 26 - جريدة الصباح: نصر للقضية الجزائرية، العدد 965، 10/02/1955م.
- 27- جريدة الصباح التونسية: جمعية العداة الجزائرية، العدد 978، 05/03/1955م.
- 28 - جريدة الصباح التونسية: وفد شمال إفريقيا في مؤتمر بانكوف، العدد 1017، تونس 20/04/1955م.
- 29 - جريدة العمل التونسية: العدد: 484، 14 ماي 1975م.
- 30- جريدة العمل التونسية: ماكس لوجون وموقف بورقية من الجزائر، العدد 489، 19 ماي 1957م.
- 31 - جريدة العمل التونسية: "بيان من صحيفة العنم المغربية حول شررة ملوذة"، العدد: 504، 6 جوان 1957م.
- 32- جريدة العمل التونسية، العدد: 460، 16 أفريل 1957م.
- 33- جريدة العمل التونسية: "نشاط في الأمم المتحدة للتقدم بالقضية الجزائرية إلى الأمام"، 6 فيفري 1958م.
- 34- جريدة الصباح: الرئيس بورقية يتلقى شكر من وزير الأنباء الجزائرية، العدد 1972.
- 35 - جريدة المجاهد، العددان 12، 15، نوفمبر 1957م.
- 36- جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 16، جوان 1957م.
- 37- جريدة العمل: الحكومة التونسية ستطلب من هيئة الأمم إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين، العدد 482، 11/ 5/ 1957م.
- 38- جريدة العمل: حملة اكتتاب لقادة المقاومين الجزائريين، العدد: 480، 9/5/ 1957.
- 39 - جريدة العمل: فرنسا ترثي لحالة اللاجئين الجزائريين، العدد: 502، 4/ 6/ 1957.
- 40- جريدة الصباح برقية من الجزائريين المقيمين تونس إلى القسم الجزائري، مكتب المغرب العربي بالقاهرة، 21 جويلية 1956م.
- 41 - جريدة الزهرة برقية من الجزائريين بتونس إلى رئيس الحكومة الفرنسية، 4 أوت 1955م.
- 42 - جريدة الزهرة، نداء من جزائري تونس، 20 ماي 1956م.
- 43- جريدة الصباح نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين، 29 ماي 1956م.
- 44- جريدة الصباح نداء جمعية الطلبة الجزائريين، 28 سبتمبر 1956م.
- 45- جريدة الصباح: 20 ديسمبر 1956، 1 جانفي، 6 فيفري 1957م.
- 46- مجلة الندوة عدد فيفري 1954
- 47- صحيفة المجاهد العدد 27، 22 جوان 1958م.



48- مجلة المجاهد: العدد 115، 19 فيفري 1962م.

### ج/ المقالات المنشورة:

- 1- أحمد توفيق المديني: تصريح للعلم المغربي: جريدة الزهرة، 2 ديسمبر 1955م.
- 2- أوعمران: جدة الباحث، إغناطة السياسة للحين الوطني الشعبي، عدد خاص حول التسليح، جويلية 1987م.
- 3- إبراهيم رعيوب: "علام مختلف؟" جريدة الصباح، 24 فيفري 1956م.
- 4- أنيسة بركات: أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، مجلة الثقافة، عدد 95 الجزائر 1985م.
- 5- محمد ناصر: شعر الثورة من جانب الفني، مجلة الثقافة عدد 86، الجزائر 1985م.
- 6- الحبيب بن ناسي: "مجلة القلم الجزائري"، جريدة الأسبوع، العدد: 328، 30/03/1953م.
- 7- الطاهر وطار: إنا راجلون، جريدة الصباح، 6 أكتوبر 1956م.
- 8- الطاهر وطار: هات يدك يا أخي التونسي، الصباح، 12 أوت 1956م.
- 9- العربي لونيبي: عار عليك يا تونس، الأسبوع، 26 ديسمبر 1955م.
- 10- بيان أول نوفمبر 1954م.
- 11- برباي بانس: الاستسلام في تونس خطر على الجزائر، جريدة الصباح التونسية، العدد: 1017، 20/04/1955م.
- 12- بو عزيز يحيى: دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني، الثقافة، العدد 83 (سبتمبر أكتوبر 1984).
- 13- جان روس: "لا بد من الحل السياسي"، جريدة الصباح، العدد 1049، 26/5/1955م.
- 14- جريدة العمل التونسية: خطاب الرئيس بورقيبة 6 أبريل 1961م، العدد 5398، 13 جانفي 1973م.
- 15- جيلالي صاري، مظاهرات ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني، مجلة المصادر، العدد الثاني، 1999م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
- 16- حمادي بغريش: لو كنت ثائرا، جريدة الصباح، 8 جوان 1956م.
- 17- رابع بلعيد: "إقرار قانون جديد للجزائر 1947"، رسالة الأطلس، ع128، الحقة 35، مارس 1997م.
- 18- ربيعة عامر: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر العدد 4، مركز البحوث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (1954م-1962م)، الجزائر، 1999م.

- 19- رشيد: ميتي يتعظ الفرنسيون؟، الصباح، 19 جانفي 1957م.
- 20- صموت كرمال: حركة الشباب التونسي مولد الشعور الوطني التونسي، المجلة التاريخية المغربية، عدد2، 1974م.
- 21- عبد الكريم بوالصفصاف: التحولات الاساسية في الحركة الوطنية الجزائرية، 1945-1954، مجلة سرتاء، 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981م.
- 22- علي كافي: يوم 20 أوت 1955م أسبابه ونتائجه، المذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1955، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر.
- 23- عامر ربيعة، انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي 1945م-1954م، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد 6/ مارس 2002م.
- 24- عبد الرحمان شيبان: عيد تونس عيدنا، جريدة الصباح 20 مارس 1957م.
- 25- عبد الرحمان بالعقون: الإصلاحات المهنية، الأسبوع، 12 فيفري 1951م.
- 26- علي الخندوي: عهد علمي جديد بالجزائر، جريدة الأسبوع: العدد 5، 316/01/1953م.
- 27- علي الخندوي: من الشرق إلى تونس، جريدة الأسبوع 19 / أكتوبر 1953م.
- 28- محمد الطيب العلوي: " الشهيد يعود يوسف القائد الشعبي المتواضع "، مجلة المذاكرة، 5، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998م.
- 29- محمد حسني عباس: حول اتجاهات السياسة التونسية، مجلة العلوم تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية، القاهرة، العدد 3 (ديسمبر 1957م).
- 30- محمد ليحيوي: حائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971م.
- 31- محمد الأخضر السائحي: الإعانة الخالدة، جريدة الصباح، 27 جويلية.
- 32- محمد صالح الخابري: من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر، مجلة الحياة الثقافية العدد 32، تونس 1984م.
- 33- نداء من الاتحاد العام: الطلبة المسلمين الجزائريين إلى الطلبة الجزائريين بتونس، جريدة الصباح، 22 مارس 1956م.
- 34- نداء إلى الضمير العالمي، جريدة العمل التونسية لسان الحزب الدستوري الحر، العدد 731، 20 فيفري 1958م.
- 35- يوسف الروسي: نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، المجلة التاريخية المغربية، العدد 9: 1977م.
- 36- يحيى بوغزير: رد قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم ...، جريدة الصباح 10 أوت 1957م.
- 37- يحيى بوغزير: الصباح في معارك التحرير، وصوت الجزائر الحرة، الصباح 27 أكتوبر 1956م.

- 38- يحيى يوعزيز : لم نختلف أبدا ... جريدة الصباح ، 4 مارس 1956م.
  - 39- يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق ، المجلة التاريخية المغربية العدد: 9 1977 م.
- د/ الرسائل الجامعية والأطروحات:**
- 1- أحمد منغور : "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية (1954-1962)" رسالة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار وعلم الدراسات التاريخية والفلسفية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة: 2006 .
  - 2- آمال شلي: " التطور العسكري في الثورة الجزائرية (1954-1962)"، رسالة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار. كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة: 2005.
  - 3- بن قليس أحمد: " السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية"، رسالة ماجستير مخطوطة، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر ، 1986م.
  - 4- رياض بودلاعة: " الديمقراطية في الثورة الجزائرية (1954-1962)"، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة: 2005
  - 5- 1- عز الدين معزة : " فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985" مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر: 2000-2004م.
  - 6- عقيلة حنيف الله، " التنظيم السياسي- الإداري في الجزائر 1954-1962"، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 1995م.
  - 7- مجلة الرؤية، إضراب الثمانية أيام 28-4 فيفري 1957، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطني وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد الأول، جانفي فيفري 1996م. - 43- شارل ديغول، مذكرات الأمل، ترجمة سمويحي فوق العادة، ط2، منشورات عويدات بيروت: 1986م.
  - 8- مقال: عبد الله: دور بندان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية ، بحث محفوظ.
  - 9- مصطفى بوطورة: علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالحكومة المصرية، رسالة ماجستير محفوظ معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1982م.
- هـ / الوثائق:**
- 1 وثيقة مرقونة نشرتها مصلحة اللاجئين بجبهة التحرير الوطني بتونس مؤرخة في 05 أكتوبر 1958.

## II/ اللغة الفرنسية:

- 1- André Moine : Ma guerre d' Algérie , Edition sociales, Paris, 1979, p23
- 2- Ahmed Mehsas : le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'haramattan, Paris, p p 307-308
- 3- Ali Haroun, Nous avons étouffé les résultats jusqu'au 05 juillet, in La Tribune du 03/07/2005, n° Ilors Série P 05.
- 4- Ali Haroun, l'été de la discorde , Casbah éditions, Alger 2000, P 104.
- 5- Belaid Abdesselam, In Le hasard et l'histoire , entretiens de Mahfoud Bennoun et Ali Elkenz, ENAG éditions 1990.T 01 P 197.
- 6- BEN ATIA FAROUK : Les Actions humanitaires pendant la lutte de libération , dahleb , alger.1999 p93.
- 7- Charles Robert Ageron, les Algériens Musulmans et la France .P 36.
- 8- Dahou Ould Kablia , la guerre d'Algérie , contacts , pourparlers , négociations , l'autre combat pour l'indépendance , in El-Massadir, n° 07 p 23.
- 9- EL MOUJDAHID ORGANE CENTRALE DU FLN , Imprimé en Yougoslavie, Juin.
- 10- EL MOUJDAHID : N° (1 février 1958 ). TI,P.232.
- 11- Ferhat Abbas : guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, édition julliard, Paris, 1962.
- 12- GURNTRI MOHAMAD Organisation Plitico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962 OPU Alger 1994 T.1 P 715.
- 13- Jean Lacouture : cinq hommes et la France, édition de scuil, Paris , 1961, André -3-Noushi, la naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, édition de minuit, Paris, 1962.
- 14- Ibrahime Ghafa : l'intellectuel et révolution Algérienne, l'édition Distribution Houma, Alger, 2001, p60.
- 15- Khalfa Mammeri ,Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNED , Alger, 1969 p206.

- 16- La Dépêche de Constantine : N° 16743 vendredi 9 décembre 1960.
- 17- Le journal d'Algérie, octobre, 1954.
- 18- Marcel Egreteaut, réalité de la nation Algérien, Edition Social, Paris, 1957, p138.
- 19- Rédha Malck, Méritons notre Indépendance , in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 07.
- 20- Slimane Shikh : l'Algérie en armes, office des publications universitaires , Alger : 1981, p85.

مذكرات البعث

### فهرس الأعلام:

- أبو العبد دودو: 160-165
- أبو القاسم سعد الله: 160 162-165
- ابن جلدون: 163 164
- ابن رشد: 164
- ابن ماجة: 164
- ابن حزم: 164
- إبراهيم الكائي: 153
- ابن خاور: 96-108-111
- أبو القضاة: 146
- آيت شعلاية:
- 170 آيت أحمد حسين: 59-60-62-66-80 81-85
- أحمد مصالي: 18-19
- أحمد فرانسيس: 57-60
- أحمد بن بنة: 59 60-62-66-67 70 71-80-95
- أحمد توفيق المدني: 60-67 146-173
- أحمد رضا خوجو: 146-149-157
- أحمد سخون: 146 149
- أحمد الشقيري: 81
- أحمد يرند: 57-65-71-132
- أندري مندوري: 56
- اسمهان التونسية: 156
- اعمر أو عمران: 19-62-64
- إدريس السنوسي: 109
- أموري هرتون: 111
- أوربا: 152
- الأمير عبد القادر الجزائري: 146-147-149

- الأحضر الساتحي: 149-146  
 - الأمير محمد: 149  
 الأمين العمودي: 149-146  
 - الأمين دباغين: 18-19 62 64  
 البشير الإبراهيمي: 31  
 - الحاج حفص: 32  
 الحبيب بورقيبة: 7-12-38-89-92-94-95-96-97 98 99 102 103  
 104 105 106 107 108 111 113 115 116 118 119 130-132  
 138-139-140-159 171  
 الجنيدى خليفة: 160  
 - العباس بن الشيخ الحسين: 60  
 العربي بن مهدي: 62-174  
 - الفيلالي: 136  
 المنجي سليم: 105-106-110-123-132-133-136  
 - المصمودي: 137  
 - المرسي: 173  
 الحبيب بن ناسي: 102-146-150-151-152-153 155 156 165  
 - السعيد الصالحى: 146 154  
 السعيد الزاهري: 146-149  
 - البشير الإبراهيمي: 80-84 146 151 153 154-160-  
 البشير العربي: 166  
 - الشيخ عارف: 166  
 - افادي السنوسي: 146-149  
 - المهدي أبو عبد الله: 146  
 - العربي التبسي: 146-148  
 الشيخ محمد عبده: 150-153  
 - الشيخ الفضيل الوزناني: 80  
 الشيخ الشاذلي المكي: 80



- الشمشي: 157
- الصحر اوي أنور: 156
- القايسي: 157
- الطاهر النصرافي: 157
- الطيب العناوي: 157
- الصادق حماني: 157
- الطاهر وطار: 159-160 165-166-101
- الطاهر صفر: 7
- الطاهر الأسود: 78-80
- الققادي: 110
- المصمودي: 119
- الهادي عبيدي: 159 166
- الوزاني: 9
- برور تيتو: 57
- برنار تريكو: 69
- " براري بانس: 86 87-88
- بورديو: 41
- بن يوسف بن خدة: 51-56-62-65 66 67
- بن با أحمد الحاج: 61
- بن حليم: 105
- بن طويان: 62
- بن مسعود: 154
- بوروخ أحمد: 160
- بو الصوف عبد الحفيظ: 62-64 65
- بوضياف محمد: 59-60-62-66
- بينو: 112
- بجانك سوستيل: 46-47-48-51 56
- جان دانيان: 56

- جان مارسيل جيني: 75
- جان روس: 89-90-91
- جبايلي: 70
- جاك دودور: 19
- جان عبد الناصر: 67
- جمال الدين الافغاني: 150-153
- جينة هام: 156
- جني مارتيني: 82
- جاماد رويحي: 60
- جويل خول: 56
- حسين الشريكي: 92-93
- حمادي بغيريش: 101
- حميسي الحجري: 133
- غير الدين: 56
- حنا: 140
- حنا: 107
- حنا: 156
- حنا: 112
- رويو بارك: 56
- رويو ستيو: 56
- رومنا: 57
- روصا مائك: 71
- رجة: 166
- رويو لاکومنت: 170-171
- رويو موري: 107
- رايو بيطاط: 66
- رجة مبروك: 157
- ريتشارد: 112

- زغوت يوسف: 45-62  
 - يوسف: 60  
 - سعد حبيب: 62-65  
 - سائر بن دور: 74  
 - سبيح: 157  
 - سليم مصطفى: 157  
 - سوسن: 83-90-109  
 - شارل ديغول: 2-10-14-53-54-55-57-58-59-66-74 112 113-119 125  
 - شارل غاريني: 56  
 - شبله راشد: 156  
 - شريط الزهر: 78-80  
 - صابحة الكحلوي: 156  
 - صالح بن يوسف: 85-92 94 -- 102-103-104 159  
 - صالح بن يحيى: 77-79  
 - صالح حرقى: 160-161 165  
 - صالح عماش: 160-161  
 - عبد الكريم الخطاي: 9-10-81  
 - عبان رمضان: 56-62-64  
 - عبد الرحمان كيوان: 60  
 - عبد الرحمان فارس: 69-75  
 - عبد الحميد مهري: 62-64-65  
 - عبد الحميد بن باديس: 146 149-150-151-152 153  
 - عبد الرحمان شيان: 146-160  
 - عبد الوهاب بن منصور: 146-149-155  
 - عبد الرحمان عزيز: 156  
 - عبد العالي الأعظم: 148  
 - عبد الحميد بن حدوقة: 159-160-165

- عبد الله الركني: 160-166
- عبد الله شريط: 160 163
- عبد الله فرحات: 109
- عبد الله البوعمراني: 78 80
- عبد القادر السانحي: 160-161
- عبد العزيز التعلالي: 77-79
- عبد الحفي الأوراسي: 94
- عثمان سعدي: 61
- علال الفاسي: 9-10-85
- علي منجلي: 56
- علي هارون: 75
- علي الخامي: 78-80
- علي درغال: 78 80
- علي الجندوبي: 146-147-148 149 154
- علي الراشدي التريسي: 157
- عمر المحطار: 139
- عمر بن قينة: 164
- عمر أوعمران: 117
- علي مزي: 56-57-112-125
- غزي: 70
- غزي: 83
- فرحات حشاد: 8 11
- فرانكفون رورلقت: 10
- فرحات عياني: 15 39-48-56-62-64-67 85 87 88-93
- فرانسييس جسون: 17
- فرانزو فلانوي: 160
- فرانسوا فيترون: 19-56
- فيصل: 124

- قصبة حتمى: 156
- قائد أحمد: 65
- قنور حمزى: 157
- قنور: 14
- كويت: 17
- كرم القاسم: 19-62-64-65-67
- كرمستان قوشى: 69
- كشور بخارى: 146-157
- كوكا القوشى: 156
- كرهوى: 83
- كشمى: 83
- لوتر: 152
- ماتسى كوخ: 2
- ماكس كوخ: 105
- ماتس كوش: 3-56-84-102
- شمس خانوى: 7
- محمد المصطفى: 7
- محمد بن يوسف: 10-11
- محمد المصطفى: 11-38
- محمد بن المصطفى: 65
- محمد المصطفى بن حى: 71
- محمد حوى: 71
- محمد شام: 71
- محمد على شوى: 75
- محمد حى: 57-59-60-66-80
- محمد بن يوسف: 45-56
- شمس: 94
- محمد المصطفى الحوى: 146-154

- محمد النعمان آل خليفة: 146-149
- علي القطين باشقاروئي: 146-156
- محمد طراد: 148
- محمد يوزورم: 156-157
- محمد المنكي: 157
- محمد الموري: 157
- محمد الموري: 159
- محمد شبيب: 160-165
- محمد الصالح الجاني: 162
- محمد ناصر: 162
- شساء الجاني: 103
- محمد إسماعيل: 95-97-111
- محمد (أبيد): 93-110-111-115
- مصطفى الأشرف: 60-71-160-165
- حفادي زكرياء: 146-160-161-162
- مفاداد: 70
- مورييس: 129-132-138
- نوسوليني: 139
- نوسوليني: 170
- نزهة أمير: 157
- نعيم النعماني: 160
- ونشون تشرشل: 10
- وأصل عبد الحفي: 94
- هامر شولد: 111
- يحيى بوعزيز: 101-128

### فهرس الأماكن

- أمريكا: 13 /- أمريكا اللاتينية: 3 / أوروبا: 123-158
- أوروبا الغربية: 1 13 21-24-25-27-28 30 41-46
- .. أوروبا الشرقية: 1-15-21-24 35 60
- أفريقيا: 3-4-13 20
- إيطاليا: 4-5-57-139
- .. إسبانيا: 9-139
- إسبانيا: 139
- أسني: 10
- آسيا: 3-4-13-20
- .. أواسط إفريقيا: 20
- إيفوا: 59-65-68 71-72
- الولايات المتحدة الأمريكية: 1-4 10 41-110 - 140
- .. الاتحاد السوفياتي: 1-4-41
- الأوس: 45-47-85-89
- الأستانة: 147
- .. الأقطار المغارية: 121-143 145 158-164
- الأمم المتحدة: 105 110-111-112
- الإسكندرية: 147-149
- البلدان المغارية: 1-2-4-5-6 8 9 10-11-12-21
- .. البلدان الغربية: 78
- .. البليدة: 54
- الدول العربية الإسلامية: 79-80
- البلدان الإفريقية: 1
- .. البلطيق: 139
- .. الحظنة: 51
- الحجاز: 154

- الجروب: 46
- البحر الأبيض المتوسط: 13-20
- الجواثر: 1-2-3-4-6-7-12-13-14 15 16-17-18-19 20-21-22-23 24
- 25 26 27-28-30-31-32-33-36-37-38 41 42 43-44-46-54
- 70-77-78-79-80 82 83-84-85-86-87-88-90-91-92 93 94
- 95-96-97-99-100-101 102 103 105-106-107-109
- الجريد: 77-79
- الجلفة: 27-51
- القالة: 79 132
- القل: 46
- القصيرين: 77-79-134-135
- الهند الصينية: 2 3 90
- الفينام: 3 118
- الغزوات: 48
- القاهرة: 78-79-80-81-93 97
- المغرب: 4 6 9 12-29-44-52-57-60-92-93 95 96-97-98-100-101
- 102-107 114 119-123-124-130-136-139-153 156 158
- 166-167-171
- البحر: 123
- المدينة المنورة: 154
- الشمال القسنطيني: 11 19 22-28-45-46-47-54-85
- الشلف: 10-54
- الصحراء: 20 26 27-65-129-132-139
- الصواري: 28
- الصين: 118
- المشرق العربي: 80
- المينة: 46 89
- الماء الأبيض: 134



- .. الرباط: 10 69
- .. انذار البيضاء: 10
- الدواوير: 134
- الدبر: 134
- انعام الجندب: 21
- العاصمة: 19 20 28 51
- .. النمامشة: 19
- الكوبف: 22 134
- الكويون: 161
- .. الكاف: 129-134
- .. الكناسة: 147-148
- اليابان: 39
- باكستان: 2
- .. باريس: 11-24-78-111-112-113-119-126
- باحد: 129-134
- باردو: 28-173
- بحاية: 54
- بحيرة الأرنب: 134
- بعداد: 77 124
- بريطانيا: 1-3-6-38
- بركة: 6
- برازافيل: 14
- .. برج بوعرييج: 28
- بكارية: 134
- .. بنغراد: 57
- سدان الشمال الإفريقي: 77 78-79-81-84-91
- بلاد القبائل: 85-90
- بوزنت: 119 134

- بومعادي: 51
- بون: 137
- تالة: 77 79 134-135
- تالوت: 135
- تازينت: 134
- تبسة: 79
- تونس: 4 6-7-8-11-12-28 44 52-57-60-77-78 79 80-81-82-83-85
- 86 87-88-89-90-91 92 93-94-95-96-97 98 99-100-101
- 121-122 123 124-125-126-127 128-129-130-131 132
- 133 134-135-136-137 139 140-141-142 143 144-146
- 148-150 153 156-157-158-159 160-161-162-163 164
- 165 166-167-171 172 173-174
- تلمسان: 153
- توزر: 129-134
- تيزي وزو: 54
- جبل الكوشة: 106
- جعيف: 3-46 123-124-133
- جذة: 154
- جندوبة: 129
- جيجل: 46
- خراطة: 15 16
- خنشلة: 19
- دار الخديك: 147
- دمشق: 2-28 77 147
- ديان بيان فو: 3-11-55
- روسيا: 118
- زغوان: 135
- ساقية سيدي يوسف: 106-129-134 138-140

- مريظنة: 129-131-134-135
- مطبخ: 15-16-29
- سكنكة: 46-54-89
- ممرى أهم امر: 79
- سوق الأربعة: 134
- سورنا: 77-154
- سورنا: 134
- سباني بلعاس: 54
- مريديو مريديو: 57
- مسريو: 139
- شمال مريديو: 3-6-104-105-107-119-153-158-160-161-163-171-172
- مسافس: 134
- طنجة: 11-113
- طيرقة: 129-131
- غسابة: 79
- عين عريو: 46
- مريو مريديو: 54
- عين مريديو: 106-129-133
- عين مريديو: 134-135
- عين مريديو: 134-135
- غار اللدماو: 129-131
- مريديو: 1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-19-20-21-24-25
- 26-27-28-29-30-31-34-36-38-46-82-83-84-86-87-89-91
- 92-93-94-95-96-98-99-103-105-106-107-108-109-111
- فندطون: 8
- فريديو مريديو: 39
- فريديو: 135
- فم الخنفة: 106

- قنات السمرقند: 3-149
- قرطبة: 6
- قسب هلال: 7
- قسب: 15-16
- قسطنطين: 89-125 138 139 148-150 151-165
- قسطنطين: 51
- قسطنطين: 129-134
- قسطنطين: 1 4 5 6-12 38-44 65-96 105 124 114-130 139-166
- قسطنطين: 2-154
- قسطنطين: 65
- قسطنطين: 139
- قسطنطين: 1-3 4-6 10 51 57 60-61 62-64 114-116 117 124-147-154
- قسطنطين: 159-166
- قسطنطين: 9-10-11
- قسطنطين: 11
- قسطنطين: 44
- قسطنطين: 46
- قسطنطين: 48
- قسطنطين: 129-134
- قسطنطين: 129-135
- قسطنطين: 129
- قسطنطين: 134
- قسطنطين: 139
- قسطنطين: 149
- قسطنطين: 154
- قسطنطين: 147
- قسطنطين: 48 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000

## فهرس الأحزاب والجمعيات والأحلاف والمنظمات:

- أحزاب شمال إفريقيا: 81
- أمريكا: 123
- إقطاعيين: 27-42
- الألمانية: 2
- الأوروبيون: 46
- الاتحاد العام للنساء الجزائريات: 141 143 144
- الاتحاد العام للعمال الجزائريين: 8-49-104-141-173
- الاتحاد العام التونسي للشغل: 104
- الاتحاد العام للتجار: 49
- الاتحاد العام للصناعة والتجارة: 141
- الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: 127 128 140 166-170-171
- الاتحاد العام للعمال: 25
- الإخاء العلمي: 151
- الأزهر: 166
- الإسلام: 31-37-38-42-43
- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: 39-63
- البعث: 15
- البرلمان الفرنسي: 17
- الشيوعية: 116
- التيار البعثي: 116
- 
- الثورة الديمقراطية الشعبية: 73
- الثورة الجزائرية: 11-12-15-16-17-18-19 20 22 26 43-44-45-100
- الجبهة الوطنية الليبية المتحدة: 5
- الجامعة العربية: 81
- الجالية اليهودية: 14

- الجماعة الزيتونية: 148
- الجامع الأخضر: 153
- الحركات الوطنية: 2
- الحلف الأطلسي: 3
- الحركة السنوسية: 5
- الحزب الوطني الليبي: 5
- الحلف الأطلسي: 112
- الحلفاء: 5-8-10
- الحركة الوطنية التونسية: 6-7-8-43-103
- الحركة الوطنية الجزائرية: 6-14-16-17-18-19-20-40-43-72
- الحزب العربية الإسرائيلية: 8
- الحركة الوطنية المغربية: 9-10-43-82
- الحركة الوطنية السياسية: 77
- الحركة المصالية: 48-51
- الحرب العالمية الثانية: 77-82
- الحركة الوطنية لشمال إفريقيا: 77
- حركات الإصلاحية: 152
- الحكومات الأوربية: 152
- الحزب الدستوري: 7-103-104
- الحزب الدستوري الحر: 102-106-118-159
- الحزب الوطني المغربي: 9
- الحزب الشيوعي الجزائري: 63
- الحكومة المؤقتة: 138-140-141-142-144
- الحكومة الجزائرية المؤقتة: 115-117-118
- الهندوتية: 162-163
- الدولة الجزائرية: 43
- الدولة الوطنية: 128-140
- الديوان السياسي: 102

- الزاوية الحسلاوية: 148-159-160-166-175
- السلطات الفرنسية: 47
- الشعوب المستعمرة: 2
- الشيوعية السوفياتية: 139-159
- الصليب الأحمر الدولي: 132-133-134
- الطلبة الزيتونيين: 127
- الفرنسيون: 46
- القضية التونسية: 8
- القضية المغربية: 11
- القضية الجزائرية: 46-47-55-59-60-61-62-67-130-137-140-143-144
- 160-172
- القرويين: 166
- القوة الثالثة: 71
- الكتلة الوطنية الليبية الحرة: 5
- الكتلة الأفرو آسيوية: 51-85
- الكتلة العربية: 51
- الكنيسة الكاثوليكية: 152
- اللجنة المركزية: 19
- اللجنة الثورية للوحدة والعمل: 39-51
- اللجنة المركزية للإستفتاء: 74
- اللجنة الزيتونية: 148-162-163-164
- الميثاق الأطلسي: 91
- المعسكر الشرقي: 1-3-4
- المعسكر الغربي: 1-3-4
- نخور: 2-5
- الماركسية: 116
- المؤتمر العام التونسي: 8
- المقاومة الوطنية الجزائرية: 12

- المسلمين الفرنسيين: 13
- المنظمة السرية الخاصة: 18-40-75
- المسلمون: 46
- المجلس الوطني للثورة الجزائرية: 49-50-61-63-64-65-66-
- المجالس الشعبية المنتخبة: 49
- المحافظون السياسيون: 49 المكتب السياسي: 71
- المنظمة الإرهابية: (o.a.s): 74
- المحافظة السامية للألجنين: 137
- المالكية: 162
- المازية: 2-16-48
- الناصرية: 116
- النشاط العسكري السري: 17-18
- النزعة البروتية: 19
- النهج الاشتراكي: 73
- الكتلة الإفريقية الآسيوية: 111
- الهيئة التنفيذية المؤقتة: 74
- الحلال الأحمر التونسي: 129-132-133-134-138
- الحلال الأحمر الجزائري: 133 137 140 141
- الحلال الأحمر المصري: 134
- ثورة البربر: 30-36-37-71
- ثورة الريف: 9
- ثورة تونس: 78 80
- ثورة المغرب العربي: 93
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 32-37-47-63-84 - 147-148-151-152-153-
- 154 160 161 167
- جمعية التمرير والتعليم: 37-38
- الجمهورية الجزائرية: 39
- جيش التحرير الوطني: 39-46-47





- مؤتمر الدار البيضاء: 10
- مكتب المغرب العربي: 10 60
- معاهدة الحماية: 12
- مجلس الشيوخ: 17
- مؤتمر أغرطل: 19
- منظمة اليونسكو: 27
- مؤتمر الصومام: 48 50 51 57-61-62-63-71
- مؤتمر ضرابلس: 64-65-66-70-71-72-73
- مؤتمر القاهرة: 64
- مؤتمر طنجة: 66
- مجلس الوزراء الفرنسي: 68
- منظمة نجم شمال إفريقيا: 6
- جبهة الكا: 46
- جبهة التحرير: 71
- هيئة الأمم المتحدة: 3-6-8-38-44-46-50-51-55 109 132 136-137
- وحدة الشمال الإفريقي: 44-112
- وحدة المغرب العربي: 44

## فهرس الحكومات:

- بريطانيا: 1 3-6
- ثورة المغرب العربي: 93
- جيونس الخور: 5
- جيونس الخلفاء: 5
- فرنسا: 1-3-82-85-93-94
- سنطات الاحتلال الفرنسي: 121-122-123-124-125 126 129-131-134-138-
- 139-145-162-170-171 174-
- نفوذ القوطاجيين: 79
- بختة التنسيق والتنفيذ: 61 62 63-64-97
- الاتحاد السوفييتي: 1-3-4
- الثورة الجزائرية: 4 89 95-100-101-102-103 108 112-118-120-121-
- 122-130-136-137 138 141-142-144-145-146 156 157
- 158 159 163-164-165-166-168 169 170-171-172-173-
- 174-175
- الثورة الفينامية: 2
- الثورة الفلسطينية: 4
- الدول العربية الإسلامية: 79
- 
- الجامعة العربية: 8-81-91-138
- الجمهورية الفرنسية الرابعة: 53-67
- الجمهورية الفرنسية الخامسة: 69
- الجمهورية الجزائرية: 76
- الحكومة المغربية: 96
- الحكومة الفرنسية: 3-69-80-83-84 87 88-90-91-95-98-99-102 104
- 106-107 112-113-116-118
- الحماية: 6-8-9-11
- الحكومة المؤقتة: 55-58-61-62-63-64 65 66-67-68-69-70-74 76

- الحكومة الجزائرية: 114-115-116 117-118-120
- الحكومة المصرية: 60
- الحكومة التونسية: 66-67-93 94-95-96-98-101-106 109-113-114-115-
- 116-117-118-120
- الحكومة المغربية: 66-67
- الدول العربية الإسلامية: 79
- الدول الأوروبية: 5
- الدولة الجزائرية: 13-73
- السلطات التونسية: 121 123-124-126-127 129-130-131-132-134-135-
- 136-137-138-140 141 144-145-147-167 171-173-174-175-
- المنظمات الفرنسية: 11 12-13-14-15-16 17-24
- العالم العربي: 11-14
- الكويت: 138
- المنظمات الجزائرية: 84-92
- المملكة النيبية: 5
- المنظمات المصرية والعربية: 60
- الولايات المتحدة الأمريكية: 1-4-96

# فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
أ ي	المقدمة
01	<b>الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المعارمة عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م</b>
01	- المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية.
04	- المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المعارمة.
13	- المبحث الثالث: التطورات السياسية عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م
20	- المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة.
26	- المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة.
32	- المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.
40	<b>الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية</b>
40	- المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر .
44	- المبحث الثاني: هجمات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م.
47	- المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م.
49	- المبحث الرابع: إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 04 فيفري 1957م
53	- المبحث الخامس: مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات.
58	- المبحث السادس: الوفد الخارجي ولجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.F).
62	- المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A).
76	<b>الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1954-1962)</b>
77	- المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر.
90	- المبحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة.
103	- المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية (1957-1962).

119	<b>الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة</b>
120	- المبحث الأول: أسباب الهجرة ومطامرها في تونس.
126	- المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1962).
138	- المبحث الثالث: تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية (1957-1962)
144	<b>الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية</b>
144	المبحث الأول: النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقاليم التونسية.
156	- المبحث الثاني: الأقاليم الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية.
164	- المبحث الثالث: دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية.
167	- المبحث الرابع: دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس
173	الخاتمة.
175	الملاحق
179	بيبلوغرافية البحث
191	فهارس البحث
213	فهرس الموضوعات

